مجموع رسائل

الحافظ ابن رجب الحنبلي

زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

٧٣٦ - ٧٩٥ هـ

رسائل جمعت علوماً شتى في التوحيد والفقه والتفسير والحديث
والزهد والآداب والمواعظ والرقائق والسير والتاريخ

جميع الرسائل حققت على نسخ خطية أصلية

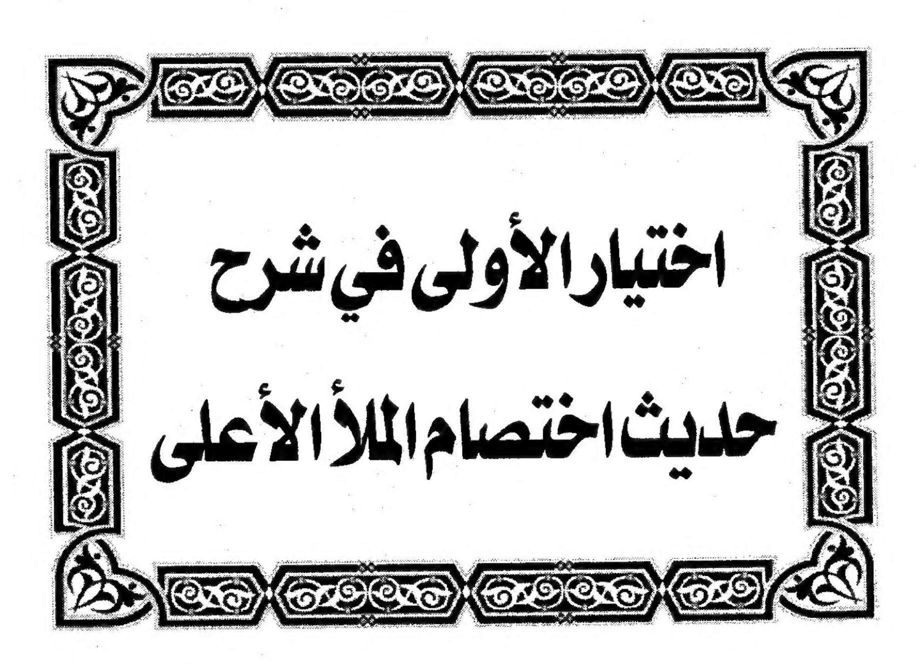
دراسة وتحقيق

أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني

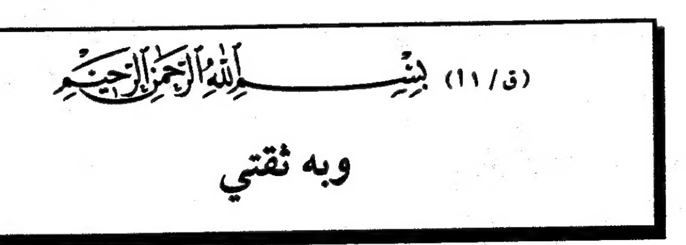
الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر





اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى



(ق/ ١١) بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين ، وإمام (المتقين) (*) ، ورسول رب العالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

خرَّج الإمام أحمد [(١)] - رحمه الله - : من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج رسول الله ﷺ سريعًا فثوَّب [(٢)] بالصلاة وصلَّى وتجوَّز في صلاته ، فلما سلَّم قال : « **كما أنتم على مصافِّكم كما أنتم** » . ثم أقبل (إلينا)(**) فقال : « **إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة : إني قمت من الليل فصلَّيت ما قُدِّر لي ، فنعستُ في صلاتي حتى استثقلت [(٣)] ، فإذا أنا بربيٍّ - عزَّ وجل - في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ! فيم يختصم الملأ الأعلى ؟**

قلت : لا أدري ربِّ . قال : يا محمد! فيمَ يختصم الملأ الأعلى ؟. قلت : لا أدري ربِّ . قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري ربِّ فرأيته وضع كفَّه بين كتفي حتى وجدت بردَ أنامله في صدري ، وتجلَّى لي كلُّ شيء وعرفتُ ، فقال : يا محمد ! فيمَ يختصم الملأ الأعلى ؟.

قلت : في الكفَّارات والدرجات .

(*) المرسلين : « نسخة » .

(١) (٥/ ٢٤٣) .

(٢) التثويب : إقامة الصلاة (النهاية مادة : ثوب) .

(**) علينا : « نسخة » .

(٣) كذا في الأصول وجامع الترمذي وتوحيد ابن خزيمة ،ووقع في المسند « استيقظت » .

قال : وما الكفارات ؟.

قلتُ : نقلُ الأقدام إلى الجُمُعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء (على) (*) الكريهات .

فقال : وما الدرجات ؟ قلت : اطعام الطعام ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام .

قال : سل يا محمد . قلت : اللهم إني أسألك فعلَ الخيرات ، وترك المنكرات، وحُبَّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفَّني غير مفتون ، وأسألك حبَّك وحُبَّ من يحبك وحب عمل يقرِّبني إلى حبك » .

وقال رسول الله ﷺ : « إنها حق ، فادرسوها وتعلّموها» .

وخرّجه الترمذي (١) ، وقال : « حديث (حسن صحيح) (**) » ، قال : (ق١/أ) وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا ، فقال : « هذا حديث حسن صحيح »(٢).

(*) عند : « نسخة » .

(**) صحيح : « نسخة » .

(١) برقم (٣٢٣٥) .

(٢) ونقل الترمذي في السنن (٥/ ٣٤٤) قول البخاري : هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنا خالد بن اللجلاج حدثني عبد الرحمن بن عائش الحضرمي قال : سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وهذا غير محفوظ . هكذا ذَكَرَ الوليدُ في حديثه عن عبد الرحمن بن عائش قال : سمعت رسول الله ﷺ . وروى بشر بن بكر عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحديث بهذا الإسناد عن عبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ . وهذا أصح ،وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبي ﷺ.

وفي علل الترمذي الكبير (٦٦١) قال الترمذي : سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: عبد الرحمن بن عائش لم يدرك النبي ﷺ .

وحديث الوليد بن مسلم غير صحيح .

والحديث الصحيح ما رواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير حديث معاذ بن جبل هذا .

قلت : وفي إسناده اختلاف ، وله طرق متعددة ، وفي بعضها زيادة وفي بعضها نقصان ، وقد ذكرت عامة أسانيده وبعض ألفاظه المختلفة في كتاب « شرح الترمذي » .

وفي بعض ألفاظه عند الإمام أحمد (١) والترمذي (٢) أيضًا : « **المشي على الأقدام إلى الجماعات** » بدل « **الجُمُعات** » .

وفيه أيضًا عندهما (٣) بعد ذكر الكفّارات زيادة : «**ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .**» .

وفيه (٤) أيضا عندهما : «**والدرجات : إفشاء السلام ...** » بدل « **لين الكلام**».

وفي بعض رواياته (٥) : « **... فعلمت ما في (السماء) (*) والأرض** » . ثم تلى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ [الأنعام : ٧٥].

وفي رواية أخرى (٦) :« **...فتجلّى لي ما بين السماء والأرض** » .

وفي رواية (٧) : . . . « **ما بين المشرق والمغرب** » .

---

(١) (٥/ ٣٧٨) عن بعض أصحاب النبي ﷺ .

(٢) برقم (٣٢٣٣) عن ابن عباس .
قال الترمذي : وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلا ، وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس .

(٣) انظر رقمي (١ ، ٢) .

(٤) الترمذي (٣٢٣٣) .

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥٨٥) بلفظ: «**فعلمت ما في السموات**».

(*) السموات : « نسخة » .

(٦) أخرجها الروياني في مسنده (٦٥٦) .

(٧) أخرجها الترمذي (٣٢٣٤) عن ابن عباس ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وفي بعضها زيادة في الدعاء الذي فيه وهي [1] : « ... وتتوب عليَّ . » .

وفي بعضها [2] : « إسباغ الوضوء في السَّبرات » .

وفي بعضها [3] : « وقال : يا محمد! إذا صلّيت فقلْ : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ... » فذكره .

والمقصود هنا : شرحُ الحديث وما يُستنبط منه من المعارف والأحكام وغير ذلك.

ففي الحديث دلالة على أن النبي - ﷺ - لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح إلى قرب طلوع الشمس ، وإنما كانت عادتُه التغليس بها ، وكان أحيانًا يسفر بها عند انتشار الضوء على وجه الأرض ، وأما تأخيرها إلى قريب طلوع الشمس فلم يكن من عادته ، ولهذا اعتذرَ لهم عنه في هذا الحديث .

وقد قيل : إن تأخيرها إلى هذا الإسفار الفاحش لا يجوز لغير عذر ، وأنه وقت ضرورة كتأخير العصر إلى بعد اصفرار الشمس ، وهو قول القاضي من أصحابنا في بعض كُتبه ، وقد أومأ إليه الإمام أحمد ، وقال : « هذه صلاة مفرط، إنما الإسفار (ق/ ١٢)أن ينتشر الضوءُ على الأرض » .

وفي الحديث : دلالة على أنّ من أخَّر الصلاة إلى آخر الوقت لعذرٍ أو غيره وخاف خروج الوقت في الصلاة إن طوّلها أن يخففها حتى يدركها كلَّها في الوقت.

---

(١) أخرجها ابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨) ،وفي الآحاد والمثاني (٢٥٨٥) .

(٢) أخرجها البزار في البحر الزخار (٢٦٦٨) ،والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٠) ، والأوسط (٥٤٩٦) .

(٣) أخرجها الترمذي (٣٢٣٣) .

وانظر في الكلام على هذا الحديث علل الدارقطني (٦/ ٥٤ ـ ٥٧) برقم (٩٧٣) ، والعلل المتناهية لابن الجوزي (١/ ٣٠ ـ ٣٥) ، فقد ذكر الدارقطني الخلاف في هذا الحديث ثم قال : ليس فيها صحيح ، وكلها مضطربة ، ونقل كلامه ابن الجوزي وقال: قال أبو بكر البيهقي : قد روي من أوجه كلها ضعاف .

وأما قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لما طوّل في صلاة الفجر وقرأ بالبقرة فقيل له : كادت الشمس أن تطلع !

فقال : « لو طلعت لم تجدنا غافلين»[1]، فإن أبا بكر - رضي الله عنه - لم يتعمد التأخير إلى طلوع الشمس ولا أن يَمُدَّها ويطيلها حتى تطلع الشمس لأنه دخل فيها بغلس ، وأطال القراءة وربما كان قد استغرق في تلاوته فلو طلعت الشمس حينئذ لم يضره لأنه لم يكن متعمداً لذلك .

وهذا يدل على أنه كان يرى صحة الصلاة لمن طلعت عليه الشمس وهو في صلاته كما أمر النبي ﷺ من طلعت عليه الشمس - وقد صلى ركعةمن الفجر - أن يضيف إليها أخرى [2] .

وفي حديث معاذ : دليل على أن من رأى رؤيا تسرُّه فإنه يقصها على أصحابه وإخوانه المحبين له ، ولاسيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم ، وتعليمًا لما ينفعهم ، وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه : « **من رأى منكم الليلة رؤيا**»؟ [3].

وفيه أيضًا : أن من استثقل نومه في تهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره فإنَّ في ذلك بشرى له .

وفي مراسيل الحسن : « **إذا نام العبد - وهو ساجد - باهى الله به الملائكة ، يقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي : جسده في طاعتي وروحه عندي** » .

وفيه : دلالة على شرف النبي ﷺ وتفضيله بتعليمه ما في (السموات)(*) والأرض، وتجلّى ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في السماء وغير ذلك ، كما أُريَ

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبير (١/ ٣٧٩) ، وفيه أن القراءة كانت « بآل عمران ».
(٢) أخرجه « أحمد » (٢/ ٤٨٩) .
(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٦) ، ومسلم (٢٢٧٥) من حديث سمرة .
(*) السماء : « نسخة » .

إبراهيم ملكوت السموات والأرض .

وقد ورد في غير حديث مرفوعًا [(١)] وموقوفًا[(٢)] أنه ﷺ أعطي علم كلِّ شيء خلا مفاتيح الغيب الخمس التي اختص الله عز وجل بعلمها ، وهي المذكورة في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ الآية . [لقمان: ٣٤].

وأما وصف النبي ﷺ (ق/ ٢ ب) لربه عز وجل بما وصفه به فكل ما وصف النبي ﷺ به ربه عز وجل فهو حق وصدق يجب الإيمان والتصديق به كما وصف الله عز وجل به نفسه مع نفي التمثيل عنه ، ومن أشكل عليه فهمُ شيء من ذلك واشتبه عليه فليقل كما مدح الله تعالى به الراسخين في العلم وأخبر عنهم أنهم يقولون عند المتشابه : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] .

وكما قال النبي ﷺ في القرآن: « وما جهلتهم منه فكلوه إلى عالمه » ، خرَّجه الإمام أحمد [(٣)] والنسائي وغيرهما ، ولا يتكلَّف ما لا علم له به فإنه يُخشى عليه من ذلك الهلكة .

سمع ابن عباس يومًا من يروي عن النبي ﷺ شيئًا من هذه الأحاديث فانتفض رجل استنكاراً لذلك ، فقال ابن عباس : « ما فرق هؤلاء ؟! يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه » خرَّجه عبد الرزاق في « كتابه » [(٤)] عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

فكلما سمع المؤمنون شيئًا من هذا الكلام قالوا : هذا ما أخبرنا الله به ورسوله ﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

---

(١) أخرجه « أحمد » (٢/ ٨٥ ـ ٨٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا .
وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٣) رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح وهو بنحوه عند البخاري في صحيحه (١٠٣٩) من حديث ابن عمر .
وأخرجه أحمد (١/ ٣٨٦، ٤٣٨ ، ٤٤٥) وغيره من حديث ابن مسعود .

(٢) أخرجه الطيالسي (١٨٠٩) عن ابن عمر بنحوه .

(٣) في مسنده (٢/ ١٨٥) وفي (٢/ ١٨١ ، ٣٠٠) بلفظ : « فردوه إلى عالمه » .

(٤) كما في الجامع لمعمر (١١/ ٤٢٣ مع المصنف) برقم (٢٠٨٩٥) .

وفي الحديث دلالة على أن الملأ الأعلى - وهم الملائكة أو المقرَّبون منهم - يختصمون فيما بينهم ، ويتراجعون القول في الأعمال التي تُقرِّب بني آدم إلى الله عز وجل وتكفر بها عنهم خطاياهم ، وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم .

وفي الحديث الصحيح [1] : « **إن الله إذا أحبَّ عبداً نادى : يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء : إنّ الله يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض** » .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « إذا مات ابن آدم قال الناس : ما خلَّف ؟ . وقالت الملائكة : ما قدَّم ؟» [2] .

فالملائكة يسألون عن أعمال بني آدم ولهم اعتناء بذلك واهتمامٌ به .

وبقي الكلام على المقصود من الحديث ، وهو : **ذكر الكفّارات والدرجات والدعوات** ، ونعقد لكل واحدة منها فصلاً مفرداً .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) .

(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٠٤٧٥) بلفظ : « إذا مات الميت ، قالت الملائكة: ما قدّم ، وقال بنو آدم ما خلّف » .

(ق/ ١٣) الفصل الأول
في ذكر الكفَّارات

وهي إسباغ الوضوء في الكريهات ، ونقلُ الأقدام إلى الجمُعات (أو) (*) الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات .

وسميت هذه كفارات لأنها تكفر الخطايا والسيئات ، ولذلك جاء في بعض الروايات : « **من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه** » .

وهذه الخصال المذكورة الأغلب عليها تكفيرُ السيئات ، ويحصل بها أيضًا رفعُ الدرجات كما في صحيح مسلم [(١)] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفعُ به الدرجات ؟!** » .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : « **إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد ، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرِّباط ، فذلكم الرباط** » .

وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من وجوه متعددة . فهذه ثلاثة أسباب تُكفَّر بها الذنوب : **أحدها : الوضوء** ، وقد دلَّ القرآن على تكفيره للذنوب في قوله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ** ﴾ [المائدة:٦] فقوله تعالى : ﴿ **لِيُطَهِّرَكُمْ** ﴾ يشمل طهارة ظاهر البدن بالماء ، وطهارة الباطن من الذنوب والخطايا ، وإتمامُ النعمة إنما يحصل بمغفرة الخطايا وتكفيرها ، كما قال تعالى لنبيه

(*) (و) : « نسخة » .

(١) برقم (٢٥١) .

ﷺ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ [الفتح: ٢].

وقد استنبط هذا المعنى محمد بن كعب القرظي ، ويشهد له الحديث الذي خرّجه الترمذي [(١)] وغيره [(٢)] عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو ، يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة .

فقال له : « **أتدري** (ق/ ٣ ب) **ما تمامُ النعمة؟** » . قال: دعوةٌ دعوت بها ، أرجو بها الخير .

فقال النبي ﷺ : «**إن تمام النعمة : النجاةُ من النار ، ودخول الجنة** » . فلا تتِمُّ نعمة الله على عبده إلا بتكفير سيئاته .

وقد تكاثرت النصوص عن النبي ﷺ بتكفير الخطايا بالوضوء كما في «صحيح مسلم » [(٣)] عن عثمان رضي الله عنه أنه توضأ ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال : « **من توضأ هكذا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة** » .

وفيه [(٤)] أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال : « **من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره** » .

وفيه أيضًا [(٥)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا توضأ**

---

(١) برقم (٣٥٢٧) وقال : هذا حديث حسن .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١ ، ٢٣٥) ،والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٥) ،والطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٤) .

قال أبو نعيم في الحلية : تفرد به عن اللجلاج أبو الورد ، وحدث به الأكابر عن الجريري منهم : إسماعيل بن علية ، ويزيد بن زريع ، وعنهما الإمامان : علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل .

(٣) برقم (٢٢٩) .

(٤) برقم (٢٤٥) .

(٥) برقم (٢٤٤) .

العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ حتى يخرج نقيًّا من الذنوب » .

وفيه أيضًا [1] عن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من رجل يُقَرِّب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا (خرَّجت) [*] خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا (خرَّجت) [*] خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرَّجت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرَّجت خطايا رجليه من أنامله مع الماء ، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو (ق/ ١٤) أهله وفرَّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه » .

وفي « الموطأ » [2] « ومسند الإمام أحمد » [3] « وسنن النسائي » [4] « وابن ماجه » [5] عن الصنابحي عن النبي ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة » .

---

(١) برقم (٨٣٢) .
(*) في صحيح مسلم « خرَّت » .
(٢) (١/ ٥٦) برقم [٣٠].
(٣) (٤/ ٣٤٨ ، ٣٤٩) .
(٤) (١/ ٧٤ ، ٧٥) .
(٥) برقم (٢٨٢) .

وفي المسند عن أبي أمامة (١) عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يتوضأ ويغسل يديه ويمضمض فاه ويتوضأ كما أمر الله إلا حطَّ الله عنه يومئذ : ما نطق به فمه، وما مسَّ بيديه ، وما مشى إليه ، حتى إن الخطايا تحادرُ من أطرافه ، ثم إذا هو مشى إلى المسجد فرجلٌ تكتب حسنة ، وأخرى تمحو سيئة » . وفيه أيضًا (٢) عن النبي ﷺ قال : « أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه ، نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة ، فإذا مضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفتيه مع أول قطرة ، فإذا غسل وجهه نزلت خطيئته من سمعه وبصره مع أول قطرة ، فإذا غسل يديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلم من كل ذنب هو له ، ومن كُل خطيئة كهيئته يوم ولدته أمه ، فإذا قام إلى الصلاة رفع الله بها درجته ، وإن قعد قعد سالـمًا ».

وفي هذا المعنى أحاديثُ (أُخر) (*) ، وفيما ذكرناه كفاية . وقد وردت النصوص أيضًا بحصول الثواب على الوضوء، وهذا زيادة على تكفير السيئات به:

ففي «صحيح مسلم » (٣) عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من توضأ فأحسن الوضوء (ق/ ٤ ب) ثم قال : أشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله، فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » .

وفيه أيضًا (٤) : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «تبلغ الحلية من المؤمن حيث

---

(١) لم أجده في « المسند » وهو عند « الطبراني في « الكبير » (٨/ ٧٩٩٥) وقال : الهيثمي في « المجمع » (١/ ٢٢٣) : رواه الطبراني في « الكبير » وفيه: لقيط أبو المساور (*) ، روى عن أبي أمامة ، وروى عنه الجريري وقرة بن خالد ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ،وقال يخطيء ويخالف .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤) من طرق عن شهر بن حوشب . وشهر ضعيف . وانظر الترغيب والترهيب للمنذري (١/ ١٥٥) ومجمع الزوائد للهيثمي (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦).

(*) كثيرة : « نسخة »

(٣) برقم (٢٣٤) .

(٤) برقم (٢٥٠) .

(*) هكذا في المجمع ، وفي الثقات لابن حبان « أبو المثنى وفي إسناد الطبراني الكبير «أبو المشاء » .

يبلغ الوضوء» .

وفيه أيضًا [1] : عنه عن النبي ﷺ قال : **« أنتم الغر المحجلون من إسباغ الوضوء »** .

وخرّجه البخاري [2] ، ولفظه : **« إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الوضوء »** .

واعلم أن حديث معاذ بن جبل في المنام إنما فيه ذكر إسباغ الوضوء على الكريهات ، وكذا في حديث أبي هريرة المبدوء بذكره في هذا الفصل ، فهاهنا أمران :

أحدهما : إسباغ الوضوء ، وهو إتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ المغطي للبدن .

وفي « مسند البزار » [3] عن عثمان مرفوعًا : **« من توضأ فأسبغ الوضوء غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »** . وإسناده لا بأس به ، وأخرجه ابن أبي عاصم [4] من وجه آخر عن عثمان .

وخرّج النسائي [5] وابن ماجه [6] من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **« إسباغ الوضوء شطر الإيمان »**

[وخرّجه مسلم [7] ، ولفظه : **«الطهور شطر الإيمان »**] (*) .

---

(١) برقم (٢٤٦) .

(٢) برقم (١٣٦) .

(٣) برقم (٢٦٢ ـ كشف) بنحوه
وقال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٢٣٧) : « ورجاله موثقون والحديث حسن إن شاء الله» وكذا حسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠٣).

(٤) لم أقف عليه .

(٥) في المجتبى (٥/٥).

(٦) برقم (٢٨٠).

(٧) برقم (٢٢٣) .

(*) ما بين المعقوفتين من المطبوع .

وثانيهما : **أن يكون إسباغه على الكريهات** ، والمراد أن يكون على حالة تكره النفس فيها الوضوء ، وقد فُسِّر بحال نزول المصائب فإن النفس حينئذ تطلب الجزع، فالاشتغال عنه بالصبر والمبادرة إلى الوضوء والصلاة من علامة الإيمان كما قال الله عز وجل : **﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾** [البقرة: ٤٥] وقال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾** [البقرة: ١٥٣] .

والوضوء مفتاح الصلاة ، وقد يُطفأ به حرارة القلب الناشئة عن ألم المصائب، كما يؤمر من غضب بإطفاء غضبه بالوضوء .

وفُسِّرت الكريهات بالبرد الشديد ، ويشهد له أن في بعض روايات حديث معاذ : « ... **إسباغ الوضوء (على)** (*) **السبرات** » ، والسبرة (ق/ ١٥) : شدة البرد ، ولا ريب أن إسباغ الوضوء في البرد يشق على النفس وتتألم به ، وكل ما يؤلم النفوس ويشق عليها فإنه كفارة للذنوب وإن لم يكن للإنسان فيه صنعٌ ولا تسبب كالمرض وغيره كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك .

وأما إن كان ناشئًا عن فعل هو طاعة لله فإنه يكتب لصاحبه به أجر ، وترفع به درجاته كالألم الحاصل للمجاهد في سبيل الله تعالى ، قال الله تعالى : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾** [التوبة: ١٢٠] ، وكذلك [ألم](**) الجوع والعطش الذي يحصل للصائم، فهكذا التألم بإسباغ الوضوء في البرد . ويجب الصبر على الألم بذلك ، فإن حصل به الرضى فذلك مقام خواصٍّ العارفين المحبين ، وينشأ الرضا بذلك عن ملاحظة أمور:

أحدها : تذكر فضل الوضوء من حطّه للخطايا ، ورفعه للدرجات وحصول الغرة والتحجيل به ، وبلوغ الحلية في الجنة إلى حيث يبلغ ،وهذا كما انكسر ظفر

(*) في : « نسخة » .

(**) من المطبوع .

بعض الصالحات من السلف من عثرة عثرتها فضحكت وقالت : أنساني حلاوة ثوابه مرارة وجعه .

وقال بعض العارفين : من لم يعرف ثواب الأعمال ثَقُلت عليه في جميع الأحوال .

الثاني : تذكُّر ما أعده الله عز وجل لمن عصاه من العذاب بالبرد والزمهرير ، فإن [شدة] (*) برد الدنيا يذكِّر بزمهرير جهنم ، وفي الحديث الصحيح [1] : « **إن أشد ماتجدون من البرد من زمهرير جهنم** » .

فملاحظة هذا الألم الموعود يهون الإحساس بألم برد الماء ، كما روي عن زبيد اليامي أنه قام ليلة للتهجد ـ [وكان] (*) البرد شديداً ـ فلما أدخل يده في الإناء وجد شدة برده فذكر زمهرير جهنم فلم يشعر ببرد الماء بعد ذلك ، وبقيت يده في الماء حتى أصبح ، فقالت له جاريته : مالك لم تصل الليلة كما كنت تصلي ؟!.

فقال : إني لما وجدت شدة برد الماء (ذكرتُ) (**) (ق/ ٥ ب) زمهرير جهنم فما شعرت به حتى أصبحت ، فلا تخبري بهذا أحداً ما دمت حيًّا.

الثالث : ملاحظة جلال من أمر بالوضوء ، ومطالعة عظمته وكبريائه ، وتذكُّر التهيؤ للقيام بين يديه ومناجاته في الصلاة (فذلك يهوِّن) (***) كل ألم ينال العبدَ في طلب مرضاته من برد الماء وغيره ،وربما لم يشعر بألمه بالكلية كما قال بعض العارفين : بالمعرفة هانت على العاملين العبادة .

قال سعيد بن عامر : بلغني أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا توضأ سُمع لعظامه قعقعة .

(*) من المطبوع .

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦) ، مسلم (٦١٧) .

(**) تذكرت : « نسخة » .

(***) فبذلك يهون : « نسخة » .

وكان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه ، فيقال له : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟! . فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟.

وكان منصور بن زاذان إذا فرغ من وضوئه يبكي حتى يرتفع صوته ، (فقيل)(*) له: ما شأنك؟!. (فقال) (**) : وأي شيء أعظم من شأني، إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم ، فلعله (يعرض) (***) عني .

وكان عطاء السليمي إذا فرغ من وضوئه ارتعد وانتفض وبكى بكاءً شديداً ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني أريد أن أتقدم إلى أمر عظيم : إني أريد أن أقوم بين يدي الله عز وجل .

الرابع : استحضار اطلاع الله عز وجل على عبده في حال العمل له ، وتحمل المشاق لأجله ، فمن تيقَّن أن البلاء بعين من يحبه هان عليه الألم كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور: ٤٨] .

وقوله تعالى لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ : ﴿ **لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [طه:٤٦] . وقال ﷺ : « **اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»(١) .

وقال أبو سليمان الداراني: قرأت في بعض الكتب: يقول الله عز وجل: «**بعيني ما تحمَّل المتحمِّلون من أجلي ، وكابد المكابدون في طلب مرضاتي، فكيف بهم وقد صاروا في جواري ، وتبجبحوا في رياض خلدي ؟**

فهنالك فليبشر الْمُصَفُّون (ق/١٦) لله أعمالهم بالمنظر العجيب من الحبيب

(*) فيقال : « نسخة » .

(**) فيقول : « نسخة » .

(***) في المطبوع : « يرضى » .

(١) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٨) في سياق حديث جبريل الطويل .

القريب ، أترون أني أضيع لهم عملاً ؟

فكيف وأنا أجود على المولين عني ، فكيف بالمقبلين إليّ؟».

فإسباغ الوضوء في البرد - لاسيما في الليل - يطلع الله عليه ، ويرضى به ، ويباهي به الملائكة ، فاستحضار ذلك يهون ألمه .

وفي « المسند » (١) وصحيح ابن حبان (٢) عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « **رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقَدٌ فيتوضأ ، فإذا وضّأ يديه انحلَّت عقدة ، وإذا وضّأ وجهه انحلَّت عقدة ، وإذا مسح برأسه انحلّت عقدة ، وإذا وضّأ رجليه انحلَّت عقدة ، فيقول الرب عز وجل للذين وراء الحجاب : انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ، ما سألني عبدي هذا فهو له...** » وذكر بقية الحديث .

وروى عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ : « **إن الله يضحك إلى ثلاثة نفر : رجل قام من جوف الليل فأحسن الطُّهور فصلى ...** » (٣) وذكر الحديث .

كان بعض السلف له ورد بالليل ففتر عنه ، فهتف به هاتف يقول :

بعين الله في الليل لما يصنع خدّامه … إذا قاموا وحثَّهم على الخدمة أحكامه

الخامس : الاستغراق في محبة من أمر بهذه الطاعة ، وأنه يرضى بها ويحبها كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فمن امتلأ قلبه من محبة الله عز وجل أحب ما يحبه وإن شق على النفس وتألمت به ، كما يقال : المحبة تهوّن الأثقال .

وقال بعض السلف في مرضه : أَحَبُّهُ إليَّ أَحَبُّهُ إليه .

---

(١) (٤/ ١٥٩ ، ٢٠١) وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٢٤) عن الثاني: رجاله ثقات.

(٢) برقم (١٦٨ - موارد) .

(٣) أخرجه « البزار » (٧١٥ - كشف) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطية العوفي به ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٦) ، فيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام كثير لسوء حفظه لا لكذبه .

وكما قيل :

فما لجرح إذا أرضاكم ألم

وكما قيل أيضًا :

في حبكم يهون ما قد ألقى　　ما يسعد بالنعيم من لا يشقى

من خدم من يحب تلذّذ بشقائه في خدمته .

وقال بعضهم : القلبُ المحبُّ لله يحب النصب له .

وقال عبد الصمد : أوجدهم في عذابه عُذوبةً .

فإسباغ الوضوء على المكاره من علامات المحبِّين كما في « كتاب الزهد » (ق/ ٦ ب) للإمام أحمد [1] عن عطاء بن يسار قال : « قال موسى عليه السلام : يا رب ! من أهلك الذين هم أهلك ، الذين تظلهم في ظل عرشك ؟ .

قال : هم البريئة (أيديهم) (*) ، الطاهرة قلوبهم ، الذين يتحابون بجلالي ، الذين إذا ذُكرت ذكروا بي ، وإذا ذُكروا ذُكرت بذكرهم ، الذين يُسبغون الوضوء في المكاره ، ويُنيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى أوكارها ، ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ، ويغضبون لمحارمي إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حَرِبَ » .

وقد يخرق الله العادة لبعض المحبِّين له فلا يجد ألم برد الماء ، كما كان بعض السلف قد دعا الله أن يهوِّن عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتى بالماء وله بخار ، وربما سُلِب بعضهم الإحساس في الحرِّ والبرد مطلقًا

وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد دعا له النبي ﷺ أن يذهب الله عنه الحر والبرد ، فكان يلبس في الصيف لباس الشتاء ، وفي الشتاء لباس

---

(١) (ص ٧٤ ـ ٧٥) وبين عطاء بن يسار وموسى عليه السلام مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي.

(*) أبدانهم : « نسخة » .

الصيف[1] .

وقال النبي ﷺ فيه : « إنه يحب الله رسوله ، ويحبه الله ورسوله»[2] .

ورأى أبو سليمان الداراني في طريق الحج في شدة برد الشتاء شيخًا عليه أخلاقٌ رثَّة وهو يرشح عرقًا ، فسأله عن حاله ، فقال : إنما الحر والبرد خلقان لله عز وجل ، فإن أمرهما أن يغشياني أصاباني ، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني . وقال: أنا في هذه البرية منذ ثلاثين سنة يلبسني في البرد فيحًا من محبته ، ويُلبسني في الصيف بردًا من محبته .

وقيل لآخر ـ وعليه خرقتان في برد شديد : لو استترت في موضع يكنك من البرد ! . فأنشد :

ويحسن ظني أنني في فنائه   وهل أحدٌ في كنِّه يجد البردا

* * * *

---

(1) أخرجه ابن ماجه (١١٧) قال البوصيري في الزوائد (١/ ٧٠) : هذا إسناد ضعيف، ابن أبي ليلى شيخ وكيع هو محمد ، وهو ضعيف الحفظ لا يحتج بما ينفرد به وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢٢٨٦) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٢٢):إسناده حسن .

(2) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) ، ومسلم (٢٤٠٦) .

السبب الثاني من مكفّرات الذنوب : المشيُ على الأقدام إلى الجماعات (ق/ ١٧) وإلى الجُمُعات

ولا سيما إن توضأ الرجل في بيته ثم خرج إلى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة فيه كما في الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفًا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلارفعت له بها درجة ، وحُطَّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه : اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة** » .

وفي صحيح [(٢)] مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطوتاه [(*)] : إحداهما تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة** » .

وفي الصحيحين [(٣)] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **كل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة** ».

وفي المسند [(٤)] وصحيح ابن حبان [(٥)] عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال :

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧) ، ومسلم (٦٤٩) .

(٢) برقم (٦٦٦) .

(*) خطواته : « نسخة » .

(٣) ليس في الصحيحين بهذا اللفظ عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد (٢/ ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٥٠) .

(٤) (٤/ ١٥٧) .

(٥) برقم (٢٠٤٥ ـ إحسان) .

« إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات » [1] .

وفيهما أيضًا [2] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « من راح إلى مسجد جماعة فخطوتاه : خطوة تمحو سيئة ، وخطوة تكتب حسنة ذاهبًا وراجعًا » .

وفي سنن أبي داود [3] عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم » .

وفيه [4] أيضًا عن رجل من الأنصار عن النبي ﷺ قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة ، لم يرفع قدمه اليمنى (ق/ ٧ ب) إلا كتب الله له بها حسنة ، ولم يضع قدمه اليسرى إلاحط الله عنه بها خطيئة ، فليقرب أو ليبعد ، فإن أتى المسجد فصلى في جماعة غُفر له » .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

والمشي إلى الجُمُعات له مزيد فضل ، لاسيما إن كان بعد الاغتسال ، كما في السنن [5] عن أوس بن أوس ـ عن النبي ﷺ قال : « من غسّل يوم الجمعة

---

(١) قال المنذري في الترغيب (١/ ٢٠٧) عن هذا الحديث : « بعض طرقه صحيح » وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٩): « رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، وفي بعض طرقه ابن لهيعة ، وبعضها صحيح وصححه الحاكم » قلت : ولفظ الحاكم في المستدرك (١/ ٢١١) : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٢) ، وابن حبان (٤١٩ ـ موارد) .
وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٩) رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجال الطبراني رجال الصحيح ورجال أحمد فيهم ابن لهيعة .

(٣) برقم (٥٥٨).

(٤) برقم (٥٦٣) .

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٣٤٥ ، ٣٤٦) ، والترمذي (٤٩٦) وقال : حسن ، والنسائي (٣/ ٩٥، ٩٦، ٩٧) ، وابن ماجه (١٠٨٧) .

واغتسل ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام ، واستمع ولم يلغُ ، كان له بكل خطوة أجرُ سنةٍ : صيامُها وقيامُها » .

وكلما بعد المكان الذي يمشي منه إلى المسجد كان المشي منه أفضل لكثرة الخُطا.

وفي صحيح مسلم [1] عن جابر قال : كانت دارُنا نائية عن المسجد ، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد ، فنهانا رسول الله ﷺ وقال : « **إن لكم بكل خطوة حسنة** » .

وفي صحيح البخاري [2] عن أنس أن النبي ﷺ قال : « **يا بني سلمة ! ألا تحتسبون آثاركم ؟** » .

وفي الصحيحين [3] عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « **إن أعظم الناس أجراً في الصلاة : أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم** » .

ومع هذا فنفس الدار القريبة من المسجد أفضل من الدار البعيدة عنه لكنَّ المشي من الدار البعيدة أفضل .

ففي المسند [4] عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : «**فضلُ الدار القريبة من المسجد على الدار البعيدة الشاسعة كفضل الغازي على القاعد** » وإسناده منقطع .

والمشيُ إلى المسجد أفضل من الركوب كما تقدّم في حديث أوس في الجُمُعة، ولهذا جاء في حديث معاذ ذكرُ المشي على الأقدام ، وكان النبي ﷺ لا يخرجُ إلى الصلاة إلا ماشيًا حتى العيد يخرج إلى المُصلَّى ماشيًا ، فإن الآتي للمسجد زائر

---

(١) برقم (٦٦٤) .

(٢) برقم (٦٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥١) ، ومسلم (٦٦٢) .

(٤) (٥/ ٣٨٧) وقال الهيثمي في المجمع (٢ / ١٦) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام. قلت : وفي إسناده أبي عبد الملك وهو علي بن يزيد الألهاني ، وهو مع ضعفه فإن روايته عن حذيفة منقطعة .

الله ، والزيارة على الأقدام أقربُ إلى الخضوع والتذلل كما قيل :

لو جئتكم زائراً أسعى على بصري   لم أدِّ حقًّا وأي الحق أديت؟!

(ق/ ١٨)وفي صحيح البخاري [١] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **من غدا إلى المسجد أو راحَ أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح** » .

والنزل : هو ما يعد للزائر عند قدومه .

وفي الطبراني [٢] من حديث سلمان مرفوعًا : « **من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد فهو زائرُ اللهِ تعالى ، وحق على المزور أن يكرم الزائر** » .

وفي « صحيح مسلم » [٣] عن أبي بن كعب قال : كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه ، وكان لا تُخطئه صلاة في المسجد ، قال : فقيل له ـ أو قلت له ـ لو اشتريت حماراً تركبه في الظلمات وفي الرمضاء . فقال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يُكتبَ لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ : « **قد جمع الله لك ذلك كله** » .

وكلما شقَّ المشي إلى المسجد كان أفضل ، ولهذا فضل المشي إلى صلاة العشاء وصلاة الصبح ، وعدل بقيام الليل كله كما في « صحيح مسلم » [٤] عن عثمان عن النبي ﷺ قال : « **من صلّى العشاء في جماعة فكأنّما قام نصف الليل، ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله** » .

وفي « الصحيحين » [٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **أثقل صلاة**

---

(١) برقم (٦٦) .

(٢) في « الكبير » (٦/ ٣١١ ـ ٣١٢) وقال المنذري (١/ ٢١٤) : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد وقال الهيثمي (٢/ ٣١) : وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح.

(٣) برقم (٦٦٣) .

(٤) برقم (٦٤٤) .

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٤) ومسلم (٦٥١) .

على المنافقين : صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ».

وإنما ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين لأن المنافق لا ينشط للصلاة إلا إذا رآه الناس كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢] .

وصلاة العشاء والصبح يقعان في ظلمة، فلا ينشط للمشي إليهما إلا كل مخلصٍ يكتفي برؤية الله عز وجل وحده لعلمه به.

وثواب المشي إلى المساجد في الظلم : النور التام في ظلم القيامة كما في سنن أبي داود [١] والترمذي [٢] عن بريدة عن النبي ﷺ قال : « بشر المشائين (ق/ ٨ب) في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » وخرّجه ابن ماجه [٣] من حديث سهل بن سعد ، وقد روي من وجوه كثيرة [٤] .

---

(١) برقم (٥٦١) .

(٢) برقم (٢٢٣) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٣) برقم (٧٨٠) .

(٤) من حديث :

١ ـ أنس : أخرجه ابن ماجه (٤٢٢) وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤٠٦): فيه مجاهيل وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١٠٠) حديث ضعيف .

٢ ـ أبي الدرداء : عند ابن حبان (٤٢٢ ـ موارد) .وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠) فيه جناد بن أبي خالد ولم أجد من ترجمه ، وبقية رجاله ثقات .

٣ ـ أبي سعيد الخدري : أخرجه الطيالسي (٢٢١٢) ، والعقيلي (٣/ ١٠٥) ، وابن عدي (٥/ ٣٣٤) . وقال العقيلي عن هذه الرواية : فيها لين . وقال ابن عدي: ولعبد الحكم غير ما ذكرت من الأحاديث وعامة أحاديثه مما لا يتابع عليه ، وبعض متون ما يرويه مشاهير إلا أنه بالإسناد الذي يذكره عبد الحكم لعله لا يروي ذاك . وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤٠٨) : هذا لا يصح ، وقال ابن حبان : لا يحل كتابة حديث عبد الحكم إلا على سبيل التعجب .

٤ ـ أبي هريرة : أخرجه ابن ماجه (٧٧٩) وقال البوصيري : هذا إسناد ضعيف ، أبو رافع أجمعوا على ضعفه ، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعنه . =

وفي بعضها زيادة : « يفزع الناسُ ولا يفزعون »[1] .

قال النخعي : وكانوا يرون أن المشي في الليلة الظلماء موجبة ، يعني : تُوجب المغفرة .

وروينا عن الحسن قال : أهل التوحيد في النار لا يقيدون ، فيقول الخزنة بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء لا يقيدون وهؤلاء يقيدون ؟! فيناديهم منادٍ : إن هؤلاء كانوا يمشون في ظُلَم الليل إلى المساجد .

كما أن مواضع السجود من عصاة الموحدين في النار لا تأكلها النار[2] ، فكذلك الأقدام التي تمشي إلى المساجد في الظلم لا تقيد في النار ، ولا يُسَوِّي في العذاب بين من خدمه وبين من لم يخدمه وإن عذبه :

= ٥ - عائشة : أخرجه الطبراني في الأوسط (١٢٧٥) وقال : لم يرو هذا الحديث عن عطاء عن عائشة إلا الحسن ، تفرد به قتادة . وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٠): فيه الحسن بن علي الشروي قال الذهبي : لا يعرف وفي حديثه نكرة ، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

٦ - أبي أمامة : أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٧٦٣٣ ، ٧٦٣٤ ، ٨١٢٥) .

٧ - عمر : أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية : (٦٨٣) وقال : هذا حديث لا يثبت.

٨ - ابن عمر : عند الطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٣٣٥) .

٩ - زيد بن حارثة : أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٤٦٦٢) قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠) : رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير ، وفيه ابن لهيعة ، وهو مختلف في الاحتجاج به .

١٠ - ابن عباس : أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٦٨٩) . قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠) : رواه الطبراني في الكبير وفيه العباس بن عامر الضبي ، ولم أجد من ترجمه ، وبقية رجاله موثقون .

١١ - أبي موسى الأشعري : أخرجه البزار (٤٣٢ - كشف) . قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠) : وفيه محمد بن عبد الله بن عمير بن عبيد ، وهو منكر الحديث .

(١) وهي في حديث أبي أمامة .

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) كلاهما من حديث أبي هريرة مطولاً.

ومن كان في سخطه محسنًا فكيف يكون إذا ما رضي؟!

لما كانت الصلاة صلة بين العبد وربه ، ومناجاة تظهر فيها آثارُ تَجَلِّيه لقلوب العارفين وقربه ، شرع قبل الدخول فيها الطهارة ، فإنه لايصلح للوقوف بين يدي الله عز وجل والخلوة بمناجاته إلا طاهر ، فأما المتلوث بالأوساخ الظاهرة والباطنة فلا يصلح للقرب ، فشرع الله عز وجل للمُصلي غسل أعضائه بالماء ، ورتب عليها طهارة الذنوب وتكفيرها ، حتى يجتمع لمن يريد المناجاة طهارة ظاهره وباطنه، ثم شرع المشي إلى المساجد .

وفيه أيضًا : تكفير الخطايا حتى تكمل طهارة الذنوب إن بقى منها شيء بعد الوضوء ، حتى لا يقف العبد في مقام المناجاة إلا بعد كمال طهارة ظاهره وباطنه من درن الأوساخ والذنوب .

ولهذا شرع له تجديد التوبة والاستغفار عقيب كل وضوء حتى تكمل طهارة ذنوبه كما خرَّج النسائي [1] من حديث أبي سعيد مرفوعا وموقوفًا : « **من توضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قال عند فراغه من وضوئه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك** (ق/ ١٩) **وأتوب إليك خُتم عليها بخاتم ، فوضعت تحت العرش فلم يكسر إلى يوم القيامة** » .

ومتى اجتهد العبد على تكميل طهارته ومشيه إلى المسجد ولم يقوَ ذلك على تكفير ذنوبه فإن الصلاة يكمل بها التكفير ، كما في الصحيحين [2] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **أرأيتم لو أنَّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ،هل يبقى من درنه شيء ؟** »

قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا** » .

وإن قويَ الوضوء وحده على تكفير الخطايا فالمشي إلى المسجد والصلاة بعده

(١) في عمل اليوم والليلة (٨١) وقال : هذا خطأ ، والصواب موقوف ثم ساقه موقوفًا .
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧).

تكون زيادة حسنات ، وهذا هو المراد بقول النبي ﷺ في حديث عثمان والصنابحي : « ... **وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة** » ، وقد سبق ذكرُ الحديثين .

واعلم أن جمهور العلماء على أن هذه الأسباب كلها إنما تكفر الصغائر دون الكبائر ، وقد استدل بذلك عطاء وغيره من السلف في الوضوء.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: الوضوء يكفر الجراحات الصغار، والمشيُ إلى المسجد يكفر (أكثر) (*) من ذلك، والصلاة تكفر (أكثر) (*) من ذلك. خرّجه محمد بن نصر المروزي.

ويدل على أن الكبائر لا تكفر بذلك ما في « الصحيحين » [1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » .

وفي « صحيح مسلم » [2] عن عثمان عن النبي ﷺ قال : « **ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله** » .

فانظر إلى كم تُيَسَّرُ لك أسباب تكفير الخطايا لعلك تطهر منها قبل الموت فتلقاه طاهرًا ، فتصلح لمجاورته في دار السلام ، وأنت تأبى إلا أن تموت على خبث الذنوب فتحتاج إلى تطهيرها في كير جهنم .

يا هذا ! أما علمت أنه لا يصلح لقربنا إلا طاهرٌ؟ ! فإن أردت قربنا ومناجاتنا اليوم فطهِّر ظاهرك وباطنك لتصلح لذلك، وإن أردت قربنا و مجاورتنا (ق/ ٩ ب) غدًا فطهر قلبك من سوانا لتصلح لمجاورتنا ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ** ﴿٨٨﴾ **إِلَّا مَنْ**

(*) أكبر : « نسخة » .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) ، وليس عند البخاري ، وعزوه له وهم من ابن رجب رحمه الله.

(٢) برقم (٢٢٨) .

أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩] ، القلب السليم الذي ليس فيه غير محبة الله، ومحبة ما يحبه الله ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، فما كل أحد يصلح لمجاورة الله تعالى غدًا، ولا كل أحد يصلح لمناجاة الله اليوم ، ولا على كل الحالات تحسن المناجاة:

الناس مـن الهـوى على أصنـاف   هذا نقض العهـد وهذا وافي

هيهات من الكدور تبغي الصافي   ما يصلح للحضرة قلبٌ جافي

****

السبب الثالث من مكفرات الذنوب
الجلوس في المساجد بعد الصلوات

والمراد بهذا الجلوس انتظارُ صلاةٍ أخرى كما في حديث أبي هرير : « ... **وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط** » [1] فجعل هذا من الرباط في سبيل الله عزوجل ، وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها فإن الجالس لانتظار الصلاة ليؤديها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره، بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإن مدته تطول ، فإن كان كلما صلى صلاة جلس ينتظر ما بعدها فقد استغرق عمره بالطاعة ، وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل .

وفي « المسند » [2] وسنن ابن ماجه [3] عن عبد الله بن عمرو قال : صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب ، فرجع من رجع ، وعقب من عقب ، فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا قد حفزه النفس ، قد حسر عن ركبيته فقال : « **أبشروا ! هذا ربكم قد فتح بابًا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى** » .

وفي المسند [4] عن أبي هريرة عن النبي ، قال : « **منتظر الصلاة من بعد**

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) (٢/ ١٨٦ ، ٢٠٨) .

(٣) برقم (٨٠١) قال المنذري في « الترغيب » (١/ ٢٨٢) : رواته ثقات وأبو أيوب هو المراغي العتكي ثقة ما أراه سمع عبد الله والله أعلم ا .هـ .
وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١٠٢) : رجاله ثقات .

(٤) (٢/ ٣٥٢) قال المنذري في الترغيب (١/ ٢٨٤) إسناد أحمد صالح وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٦) : وفيه نافع بن سليمان القرشي وثقه أبو حاتم وبقية رجاله رجال الصحيح .

الصلاة كفارس اشتدَّ به فرسه في سبيل الله على كشحه [1] **تُصلِّي عليه ملائكة الله ما لم يحدث أو يقوم** (ق/ ١١٠) **، وهو في الرباط الأكبر »** .

ويدخل في قوله : « **والجلوس في المساجد بعد الصلوات** » : الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك ، لاسيما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، فإنَّ النصوص قد وردت بفضل ذلك ، وهو شبيه بمن جلس ينتظر صلاة أخرى ، لأنه قد قضى ما جاء إلى المسجد لأجله من الصلاة وجلس ينتظر طاعة أخرى .

وفي « الصحيح » [2] عن النبي ﷺ قال : « **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** » .

وأما الجالس قبل الصلاة في المسجد لانتظار تلك الصلاة خاصة فهو في صلاة حتى يصلي ، وفي « الصحيحين » [3] عن أنس عن النبي ﷺ أنه لما أخر صلاة العشاء الآخرة ثم خرج فصلى بهم : قال لهم : « **إنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة** » .

وفيهما أيضا [4] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه . ولا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة** » . وفي رواية لمسلم [5] : « **ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه** » .

وهذا يدل على أن المراد بالحدث : حدث اللسان ونحوه من الأذى ، وفسره

---

(١) قال ابن الأثير : الكاشح : العدو الذي يُضمر عدواته ويطوي عليها كشحه ، أي : باطنه . والكشح : الخصر .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٢) ، ومسلم (٦٤٠) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) برقم (٦٤٩) .

أبو هريرة بحدثِ الفرج ، وقيل : إنه يشمل الحدثين .

وفي « المسند »[1] عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « **القاعد يرعى الصلاة كالقانت ، ويكتب من المصلين من حينِ يخرج من بيته حتى يرجع إليه** » .
وفي رواية له[2] : « **فإذا صلى في المسجد ثم قعد فيه كان كالصائم القانت حتى يرجع** » . وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة .

وبالجملة فالجلوس في المسجد للطاعات له فضلٌ عظيمٌ ، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **لا يوطِّنُ رجلٌ المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله عز وجل** (ق/ ١٠ ب) **به كما يتبشبش أهل الغائب إذا قَدِمَ عليهم غائبهم** »[3] .

وروى درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « **من ألف المسجد ألفه الله** »[4] .

وقال سعيد بن المسيب : من جلس في المسجد فإنما يجالس الله عز وجل .
وصح عن النبي ﷺ أنه عدَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « **رجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه** »[5].

وإنما كان ملازمة المسجد للطاعات مكفراً للذنوب لأن فيه مجاهدة النفس ، وكفًا لها عن أهوائها فإنها لا تميل إلا إلى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب أو لمجالسة الناس لمحادثتهم أو للتنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن النَّزه ونحو ذلك ، فمن حبس نفسه في المساجد على الطاعة فهو مرابط لها في سبيل الله ، مخالف لهواها وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد .

(١ ، ٢) أخرجهما أحمد (٤/ ١٥٩) .
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٨ ، ٤٥٣) ، وابن ماجه (٨٠٠) وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١٠٢) : هذا إسناد صحيح .
(٤) أخرجه ابن عدي (٤/ ١٥٢) ، والطبراني في الأوسط (٦٣٨٣) .
قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن دراج إلا ابن لهيعة ، تفرد به عمرو بن خالد .
وقال الهيثمي (٢/ ٢٣) : وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .
(٥) أخرجه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) .

وهذا الجنس - أعني ما يؤلم النفس ويخالف هواها - فيه كفارة للذنوب وإن كان لا صنع فيه للعبد كالمرض ونحوه ، فكيف بما كان حاصلاً عن فعل العبد واختياره إذا قصد به التقرب إلى الله عز وجل ؟!

فإن هذا من نوع الجهاد في سبيل الله الذي يقتضي تكفير الذنوب كلها .

ولهذا المعنى كان المشيُ إلى المساجد كفارة للذنوب أيضًا ، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله أيضًا ، كما خرّجه الطبراني [1] من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: «**الغدو والرّواح إلى المساجد من الجهاد في سبيل الله** » .

كان زياد مولى ابن عباس أحد العباد الصالحين ، وكان يلازم مسجد المدينة ، فسمعوه يومًا يعاتب نفسه ويقول لها : « أين تريدين أن تذهبي ؟! إلى أحسن من هذا المسجد !! تريدين أن تُبصري دار فلان ودار فلان » .

لما كانت المساجد في الأرض بيوت الله أضافها الله إلى نفسه تشريفًا لها ، وتعلّقت قلوب المحبين لله عز وجل بها ، لنسبتها إلى محبوبهم ، وارتاحوا (ق/١١١) إلى ملازمتها لإظهار ذكره فيها ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

أين يذهب المحبون عن بيوت مولاهم ؟!

قلوبُ المحبين ببيوت محبوبهم متعلقة، وأقدام العابدين إلى بيوت معبودهم مترددة :

يا حبذا العرعر النجدي والبان ... ودار قوم بأكناف الحمى بانوا

وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى ... سم الخياط مع المحبوب ميدان

لا يذكر الرمل إلا حنّ مغترب ... له بذي الرمل أوطار وأوطان

يهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البانُ بل من داره البان

---

(١) في « المعجم الكبير » (٨/ ٧٧٣٩) ، وفي « مسند الشاميين » (٨٧٩) قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٩ - ٣٠) : وفيه القاسم بن عبد الرحمن وفيه اختلاف .
وذكر الدارقطني في العلل (٨/ ١٤١) برقم (١٤٦٠) اختلافا في الحديث في الرفع والوقف ثم قال : والموقوف أولى .

الفصل الثاني
في ذكر الدرجات المذكورة في حديث معاذ

وهي ثلاث درجات :

أحدها : إطعام الطعام ، وقد جعله الله في كتابه من الأسباب الموجبة للجنة ونعيمها ، قال الله عز وجل : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ۝١٥ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان:٨ـ٢١] . فوصف فاكهتهم وشرابهم جزاء لإطعامهم الطعام .

وفي « الترمذي » [(١)] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » .

وفي « المسند » [(٢)] و« الترمذي » [(٣)] عن علي عن النبي ﷺ قال : « إن في

---

(١) برقم (٢٤٤٩) .
قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقد روي هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوف ، وهو أصح عندنا وأشبه .
وسئل أبو حاتم كما في العلل لابنه (٢/ ١٧١) برقم (٢٠٠٧) عن هذا الحديث فقال : الصحيح موقوف ، الحفاظ لا يرفعونه .
وأخرجه أبو داود (١٦٨٢) من طريق آخر عن أبي سعيد .
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/ ١٥٥ ـ ١٥٦) .
(٣) برقم (١٩٨٤ ، ٢٥٢٧) وقال : حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم في =

الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها». قالوا: لمن هي يا رسول الله؟. قال: **«لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وصلى بالليل والناس نيام»**.

وفي حديث عبد الله بن سلام الذي خرَّجه «أهل السنن» (1) أنه سمع النبي ﷺ أول قدومه المدينة يقول: **«أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»**.

وفي حديث عبادة عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: **«إيمان بالله وجهاد في سبيله وحج مبرور، وأهون من ذلك: إطعام الطعام، ولين الكلام»** خرجه الإمام أحمد (2).

وفي حديث هانيء بن يزيد أن رجلاً قال: يا رسول الله! دُلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟. قال: **«تطعم الطعام، وتفشي السلام»** (3).

وفي حديث حذيفة عن النبي ﷺ قال: **«من ختم له بإطعام مسكين دخل الجنة»** (4).

وفي الصحيحين (5) من حديث عبد الله بن عمرو أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الإسلام خير؟.

= عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قِبل حفظه.

(1) أخرجه الدارمي (١٤٦٨، ٢٦٣٥)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١).

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(2) ليس في المسند، وهو عند الطبراني كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٥/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) حيث ذكره وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما: ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف، وفي الآخر سويد بن إبراهيم وثقه ابن معين في روايتين وضعفه النسائي، وبقية رجالهما ثقات.

(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨١١)، وفي خلق أفعال العباد (ص٦٨)، والبزار (٢٨٨٩ ـ كشف)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٦٧، ٤٦٨).

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٧): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(4) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، وفي إسناده انقطاع.

(5) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

قال : « تطعم الطعام ، وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وفي حديث صهيب عن النبي ﷺ قال : « **خيركم من أطعم الطعام** » خرجه الإمام أحمد [(١)] .

فإطعام الطعام يوجب دخول الجنة ، ويباعد من النار وينجي منها كما قال تعالى : ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ [البلد: ١١ـ١٦].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » [(٢)] .

وكان أبو موسى الأشعري يقول لولده : اذكروا صاحب الرغيف . ثم ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل عبد الله سبعين سنة ، ثم إن الشيطان حسَّن في عينيه امرأة فأقام معها سبعة أيام ، ثم خرج هاربًا فأقام مع مساكين فتصدق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين (يريده) [(*)] ، فآثره به ثم مات، فوُزنت عبادته بالسبعة أيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة (ق/ ١٢أ) بعبادته ، ثم وزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها [(٣)] .

ويتأكد إطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصًا ، وفي « الصحيح » [(٤)] عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « **أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العاني** » [(٥)] .

وفي « صحيح مسلم » [(٦)] عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا ذر ! إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك** » .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٦) وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٧) : رواه أحمد ، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل ، وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٠) ، ومسلم (١٠١٦) .

(*) أحق به : « نسخة » .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٣) مطولاً .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤٦) .

(٥) هو الأسير ، وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا . (النهاية : ٣/ ٣١٤) .

(٦) برقم (٢٦٢٥) .

وفي « المسند »[1] و« صحيح الحاكم »[2] عن [ابن] عمر عن النبي ﷺ قال : « أيما أهل عَرْصَةٍ[3] أصبح فيهم امرؤ جائعًا فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل » .

وقال ﷺ : « لا يشبع المؤمن دون جاره »[4] .

وفي « صحيح الحاكم »[5] عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « ليس بالمؤمن الذي يشبع وجاره جائع » . وفي رواية : « ما آمن من بات شبعانًا ، وجاره طاويًا »[6] .

فأفضل أنواع إطعام الطعام : الإيثار مع الحاجة كما وصف الله تعالى بذلك الأنصار رضي الله عنهم فقال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] ، وقد صحَّ أن سبب نزولها أن رجلاً منهم أخذ ضيفًا من عند النبي ﷺ يضيفه ، فلم يجد عنده إلا قوت صبيانه، فاحتال هو وامرأته حتى نوّما صبيانهما ، وقام إلى السراج كأنه يصلحه فأطفأه ، ثم جلس مع الضيف يريه أنه يأكل معه ولم يأكل ، فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له : « عجب الله من

---

(١) (٢/ ٣٣) عن ابن عمر .

(٢) (٢/ ١١-١٢) عن ابن عمر .

وسئل أبو حاتم كما في العلل لابنه (١/ ٣٩٢) عن هذا الحديث فقال : « هذا حديث منكر » .

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات .

(٣) كل موضع واسع لابناء فيه (النهاية ٣/ ٢٠٨) .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٥٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٧) بلفظ : « الرجل » بدلاً من « المؤمن » .

قال أبو نعيم : غريبٌ لم نكتبه من حديث عمر بن الخطاب إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عبد الرحمن .

وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٧ ـ ١٦٨) : رواه أحمد وأبو يعلى ببعضه ، ورجاله رجال الصحيح إلا أن عباية بن رفاعة لم يسمع من عمر .

(٥) (٤/ ١٦٧) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٧٥١) بنحوه .

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٧) : رواه الطبراني والبزار ،وإسناد البزار حسن .

صنيعكما الليلة » . ونزلت هذه الآية [1] .

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره غيره وهو صائم ويصبح صائما ، منهم : عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وداود الطائي ، وعبد العزيز بن سليمان ، ومالك بن دينار ، وأحمد بن حنبل وغيرهم .

وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين ، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة .

ومنهم من كان لا يأكل إلا مع ضيف له ، قال أبو السوار العدوي : كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد ، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده ، إن وجد من يأكل معه أكل ، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد (ق/ ١٢ ب) (فأكله) (*) مع الناس، وأكل الناس معه .

وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ، ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن وابن المبارك ، وكان ابن المبارك ربما يشتهي الشيء فلا يصنعه إلا لضيف ينزل به فيأكله مع ضيفه .

وكان كثير منهم يفضل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين .

وقد روي هذا المعنى مرفوعًا من حديث أنس بإسناد ضعيف ، ولاسيما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام .

كان بعضهم يعمل الأطعمة الفاخرة ثم يطعمها إخوانه الفقراء ، ويقول : إنهم لا يجدونها . ومنهم من يقول : إني لا أشتهيه ، وإنما صنعته لأجلكم . وبعضهم اتخذ حلاوة فأطعمها المعتوه ، فقال له أهله : إن هذا لا يدري! . فقال : لكن الله يدري .

واشتهى الربيع بن خثيم حلواء فلما صنعت له دعا بالفقراء فأكلوا ، فقال له أهله : أتعبتنا ولم تأكل !. فقال : ومن أكله غيري !

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨) ، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة بنحوه .

(*) فيأكله : « نسخة » .

وقال آخر منهم ـ وجرى له نحو من ذلك :ـ إذا أكلته كان في الحش ، وإذا أطعمته كان عند الله مذخوراً .

وروي عن علي قال : لأن أجمع أناسًا من إخواني على صاع من طعام ، أحب إليَّ من أن أدخل سوقكم هذا فأبتاع نسمة فأعتقها .

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال : لأن أدعو عشرةً من أصحابي فأطعمهم طعامًا يشتهونه أحب إليَّ من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل .

أأصف الإيثار لمن يبخل بأداء الحقوق الواجبة عليه ؟! أأطلب الشجاعة من الجبان ، وأستشهد على رؤية الهلال من هو من جملة العميان ؟! كم بين من قيل فيه : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ [التوبة:٧٦] وبين من قيل فيه : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩]. ؟! كم بيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم :

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

فيا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح هيهات هيهات ! ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ (ق/ ١١٣) اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

نزلوا بمكة في قبائل هاشم   ونزلت بالبيداء أبعد منزل

(الثاني من الدرجات) : لين الكلام ، وفي رواية :« إفشاء السلام » . وهو داخل في لين الكلام ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:٥٣]، وقال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٤ ـ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، ولما قال النبي ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » قالوا له : وما الحج المبرور يا

رسول الله ؟ قال : « **إطعام الطعام ، ولين الكلام** » . خرَّجه الإمام أحمد [1] ، وقد تقدَّم في ذكر إطعام الطعام أحاديث أُخر في طيب الكلام .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « **والكلمة الطيبة صدقة** » [2] .

وفيه أيضًا : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة** » [3] .

وأما إفشاء السلام فمن موجبات الجنة ، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة [4] عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ،ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم**».

وخرّج أبو داود من حديث أبي أمامة [5] عن النبي ﷺ قال : « **إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام** » .

ويروى من حديث ابن مسعود مرفوعًا [6] وموقوفًا [7] : « **إذا مر الرجل بالقوم فسلّم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم بالسلام ، وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب** » .

وقد رُوي من حديث عمران بن (ق/ ١٣ ب) حصين وغيره أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال : السلام عليكم . فقال النبي ﷺ :« **عشر** » ، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله . فقال رسول الله ﷺ « **عشرون** » ، ثم جاء

---

(١) (٣/ ٣٢٥ ، ٣٣٤) عن جابر بن عبد الله ، قال الحافظ في الفتح (٣/ ٣٨٢) : «في إسناده ضعف » وطرف الحديث الأول في الصحيحين من حديث أبي هريرة .

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (٢/ ٦٩٩) عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٤) برقم (٥٤) .

(٥) برقم (٥١٩٧)

(٦) أخرجه البزار (١٩٩٩ ـ كشف) والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٨٠٠) قال البزار : رواه غير واحد موقوفًا .

وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٩) : « رواه البزار بإسنادين ، والطبراني بأسانيد ، وأحدهما رجاله رجال الصحيح عند البزار والطبراني » .

(٧) أخرجه البخاري في الأدب (١٠٣٩) .

وقال الحافظ في الفتح (١١/ ١٣) : « وطريق الموقوف أقوى » .

آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال رسول الله : « **ثلاثون** » . خرجه الترمذي [1] وغيره [2] .

وخرّجه أبو داود [3] . وزاد : ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته. قال النبي ﷺ: « **أربعون** » ثم قال : « **هكذا تكون الفضائل** » [4].

وقد سبق حديث : « **أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » .

وفي حديث ابن مسعود مرفوعًا : « **من أشراط الساعة : السلام بالمعرفة** » . خرَّجه الإمام أحمد [5].

وإنما جمع بين إطعام الطعام ولين الكلام ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل ، فلايتم الإحسان بإطعام الطعام إلا بلين الكلام وإفشاء السلام ، فإن أساء بالقول بطل الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره كما قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٤] ، وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من الإحسان باعطاء المال كما قال لقمان لابنه : يا بني ! لتكن كلمتك طيبة، ووجهك منبسطا ، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة . وقد كان النبي ﷺ يلين القول لمن يشهد له بالشر فيتقي بذلك شره ، وكان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره في وجهه ، ولم يكن ﷺ فحاشًا ولا متفحشًا .

وروي عن ابن عمر أنه كان ينشد :

بني إن البر شيء هين   وجه طليق وكلام لين

---

(١) برقم (٢٦٨٩) وقال : حسن صحيح .

(٢) وأخرجه أحمد (٤/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) ، والدارمي (٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٣٧).

(٣) برقم (٥١٩٥) .

(٤) هذه الزيادة أخرجها أبو داود (٥١٩٦) وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٦) : سندها ضعيف .

(٥) (١/ ٣٨٧ ، ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

ولبعضهم :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوي الجاه لين

وقد وصف الله عز وجل في كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق بالإحسان بالمال واحتمال الأذى ، فقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ (ق/ ١١٤) أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣_١٣٤] فالإنفاق في السراء والضراء يقتضي غاية الإحسان بالمال من الكثرة والقلة ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس يقتضي عدم المقابلة على السوء بمثله من قول وفعل ، وذلك يتضمن إلانة القول ، واجتناب الفحش والإغلاظ في المقال ولو كان مباحًا، وهذا نهاية الإحسان ، فلهذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

ومن هذا قول بعضهم وقد سئل عن حسن الخلق ، فقال : بذل الندى [١] وكف الأذى . وهذا الوصف المذكور في القرآن أكملُ من هذا ، لأنه وصفهم ببذل الندى ، واحتمال الأذى .

وحُسن الخُلُق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة ، كما قال النبي ﷺ: « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار، القائم الليل » [٢] . ورؤي بعض السلف في المنام فسئل عن بعض إخوانه الصالحين ، فقال : وأين ذلك ؟ رُفع في الجنة بحُسن الخلق .

ومما يندب إلى إلانة القول فيه : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يكون برفق كما قال تعالى في حق الكفار : ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:

(١) الندى : السخاء والكرم . (لسان العرب : ١٥/ ٣١٥) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) وغيره وفيه إرسال بين المطلب بن حنطب وعائشة .
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٤) وغيره عن أبي هريرة .
وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٢٧٣) عن علي وقال : لا يروى هذا الحديث عن علي رضي الله عنه إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إسماعيل بن عياش .

. [١٢٥

قال بعض السلف : ما أغضبت أحدًا فقبل منك .

وكان أصحاب ابن مسعود إذا رأوا قومًا على ما يُكره يقولون لهم : مهلاً مهلاً بارك الله فيكم .

ورأى بعض التابعين رجلاً واقفًا مع امرأة فقال لهما : إن الله يراكما ، سترنا الله وإياكما .

ودُعي الحسن إلى دعوة ، فجيء بآنية فضة فيها حلواء ، فأخذ الحسن الحلواء فقلبها على رغيف وأكل منها ، فقال بعض من حضر : هذا نهيٌ في سكون .

ورأى الفُضيل رجلاً يعبث في صلاته فزبره ، فقال له الرجل : يا هذا ! ينبغي لمن يقوم لله أن يكون ذليلاً . فبكى الفضيل ، وقال له : صدقت .

قال شعيب بن حرب : ربما مرَّ سفيان الثوري بقوم يلعبون الشطرنج ، فيقول: ما يصنع (ق/ ١٤ب)هؤلاء ؟ فيقال له : يا أبا عبد الله ينظرون في كتاب . فيُطأطيء رأسه ويمضي، وإنما يريد بذلك ليُعلم أنه قد أنكر .

وقال سفيان : لا يأمرُ بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث : رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى .

وقال الإمام أحمد: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً معلنًا بالفسق فإنه لا حرمة له .

وكان كثير من السلف لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا سرًا فيما بينه وبين من يأمره وينهاه .

وقالت أم الدرداء : من وعظ أخاه سرًّا فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد شانه [١] .

وكذلك مقابلة الأذى بإلانة القول كما قال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

---

(١) أخرجه الخلال (ص ١٠) .

[الرعد: ٢٢]، قال بعض السلف : هو الرجل يسبه الرجل فيقول له : إن كنت صادقًا فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك .

قال رجل لسالم بن عبد الله وقد زحمت راحلتُه راحلتَه في سفر : ما أراك إلا رجل سوء . فقال له سالم : ما أراك أبعدت .

وقالت امرأة لمالك بن دينار : يا مرائي ! . قال : متى عرفت اسمي ؟! ما عرفه أحدٌ من أهل البصرة غيرك .

ومرَّ بعضهم على صبيان يلعبون بجوزٍ ، فوطيء على بعض الجوز بغير اختياره فكسره ، فقال له الصبي : يا شيخ النار ! فجلس الشيخ يبكي ويقول : ما عرفني غيره .

ومرّ بعضهم مع أصحابه في طريق فرموا عليهم رماداً ، فقال الشيخ لأصحابه : من يستحق النار فصالحوه على الرماد؟! يعني فهو رابح .

ورأى جندي إبراهيم بن أدهم خارج البلد فسأله عن العمران ، فأشار له إلى القبور ، فضرب رأسه ومضى ، فقيل له إنه إبراهيم بن أدهم ! فرجع يعتذر إليه، فقال له إبراهيم : الرأس الذي يحتاج إلى اعتذارك تركته ببلخ .

ومرَّ به جندي آخر وهو ينظر بستانًا (ق/ ١١٥)لقوم بأجرة ، فسأله أن يناوله شيئًا فلم يفعل وقال : إن أصحابه لم يأذنوا لي في ذلك . فضرب رأسه ، فجعل إبراهيم يُطأطيء رأسه وهو يقول : اضرب رأسًا طالما عصى الله [1] .

من أجلك قد جعلت خدي أرضًا   للشامت والحسود حتى ترضى

---

(١) قال الشيخ جاسم الدوسري : هذا ضعف وخور ، وينبغي للمسلم أن يكون عزيز النفس أبيًا لا يرضى بالذل والمهانة ، ومثل هذه الحكايات نلاحظ فيها التأثر بحكمة نصرانية تقول : « إذا ضرب خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » . وهذا غير مجود في الإسلام ، وقد ألصقت بهذا الزاهد حكايات وأقوال هو منها براء ، قد افتراها عليه المتأخرون ، فينبغي التثبت من صحتها قبل أن يُحكم على الرجل على ضوء هذه الروايات المختلفة فيكون الحكم جائراً ولابد .

(الثالث من الدرجات) : الصلاة بالليل والناس نيام ، فالصلاة بالليل من موجبات الجنة كما سبق ذكره في غير حديث ، وقد دلّ عليه قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٥ـ ١٩] ، فوصفهم بالتيقظ بالليل ، والاستغفار بالأسحار ، وبالإنفاق من أموالهم .

وكان بعض السلف نائمًا فأتاه آتٍ في منامه فقال له : قم فصلِّ ، أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل ، هم خزّانها هم خزّانها .

وقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود ، وهو أعلى درجاته ﷺ .

قال عون بن عبد الله : يدخل الله الجنة أقوامًا فيعطيهم حتى يملوا ، وفوقهم ناس في الدرجات العلى ، فلما نظروا إليهم عرفوهم ، فقالوا : ربنا إخواننا كنا معهم ، فبم فضلتهم علينا ؟ فيقول : هيهات هيهات ! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، ويظمئون حين تروون ، ويقومون حين تنامون ، ويشخصون حين تخفضون » .

ويوجب أيضًا من نعيم الجنة ما لم يطلع عليه العباد في الدنيا ، قال الله عز وجل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ـ ١٧]. وفي «الصحيح » [(١)] عن النبي ﷺ (ق/ ١٥ ب) قال : « **يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . اقرءوا إن شئتم : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٨٠) ومسلم (٢١٧٤ ـ ٢١٧٥) عن أبي هريرة .

﴿يعملون﴾ [السجدة: ١٧] .

قال بعض السلف : أخفوا لله العمل فأخفى الله لهم الجزاء ، فلو قدموا عليه لأقرَّ تلك الأعين عنده .

ومما يجزي به المتهجدين في الليل : كثرة الأزواج من الحور العين في الجنة ، فإن المتهجد قد ترك لذة النوم ولذة التمتع بأزواجه طلبًا لما عند الله عز وجل ، فعوضه الله تعالى خيراً مما تركه وهو الحور العين في الجنة ، ومن هنا قال بعضهم: طول التهجد مهور الحور العين في الجنة .

وكان بعض السلف يحيي الليل بالصلاة ففتر عن ذلك ، فأتاه آتٍ في منامه فقال له : قد كنت يا فلان تدأب في الخطبة ، فما الذي قصر بك عن ذلك ؟. قال : وما ذلك ؟. قال : كنت تقوم من الليل ، أو ما علمت أن المتهجد إذا قام إلى التهجد قالت الملائكة : قد قام الخاطب إلى خطبته ؟!

ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقال لها : من أنت ؟ قالت: حوراء أمة الله . فقال لها : زوجيني نفسك . قالت : اخطبني إلى سيدي وأمهرني . قال : وما مهرك ؟. قالت : طولُ التهجد .

نام بعض المتهجدين ذات ليلة فرأى في منامه حوراء تنشد :

أتخطب مثلي وعني تنام ونوم المحبين عنا حرام

لأنا خلقنا لكل امرىء كثير الصلاة براه [١] الصيام

وكان لبعض السلف ورد من الليل فنام عنه ليلة ، فرأى في منامه جارية كأنّ وجهها القمرُ ومعها رق فيه كتاب مكتوب ، فقالت : أتقرأ ؟ قال : نعم . فأعطته إياه ففتحه فإذا فيه مكتوب :

(ق/ ١١٦) أألهتك / لذة نومة عن خير عـيش مع الخيرات في غُرف الجنـان

تعيش مخـلداً لا موت فيـه وتنعم في الجنان مع الحسـان

(١) أهزله وأضعفه : (اللسان : ١٤/ ٧١) .

تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقران

فاستيقظ ، قال : فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عني النوم .

كان بعض الصالحين له وردٌ فنام عنه ، فوقف عليه فتى في منامه فقال له بصوت محزون :

تيقظ لساعات من الليل يا فتى   لعلك تحظى في الجنان بحورها

فتنعم في دار يدوم نعيمها   محمد فيها والخليل يزورها

فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة   عساك تُوفِّي ما بقى من مهورها

كان بعض السلف الصالحين كثير التعبد ، وبكى شوقًا إلى الله ستين سنة ، فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك ، حافتاه شجر لؤلؤ ونبتٌ من قضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد :

ذرانا إله الناس رب محمد   لقوم على الأقدار بالليل قُوَّم

يناجون رب العالمين إلههم   وتسري هموم القوم والناس نُوَّم

فقال : بخ بخ لهؤلاء ! من هم ؟ لقد أقر الله أعينهم بكن .

فقلن : أوما تعرفهم ؟ قال : لا .

فقلن : بلى هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر .

وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجده فتوقظه الحوراء في منامه فيستيقظ بإيقاظها .

وروي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : ذهب بي النوم ذات ليلة في صلاتي ، فإذا بها ـ يعني : الحوراء ـ تنبهني وتقول : يا أبا سليمان ! أترقد وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام ؟! .

وفي رواية (ق/ ١٦ب) عنه أنه نام ليلة في سجوده قال : فإذا بها قد ركضتني برجلها وقالت : حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في

تهجدهم؟ بؤسًا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ، ولقي المحبون بعضهم بعضا ، فما هذا الرقاد يا حبيبي وقرة عيني ؟

أترقد عيناك وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام ؟. فوثب فزعًا وقد عرق من توبيخها له ، قال : وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي (١) .

وكان أبو سليمان يقول : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

وقال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي : ما أعلم شيئًا أقر لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل ، وما أعلم شيئًا من نعيم الجنان وسرورها ألذّ عند العابدين ولا أقرّ لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم إذا رفعت تلك الحجب وتجلّى لهم الكريم . فصاح حبيب عند ذلك وخرّ مغشيًا عليه .

وكان السري يقول : رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل .

وقال أبو سليمان : إذا جنّ الليل وخلا كل حبيب بحبيبه ، افترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، أشرف الجليل جل جلاله فنادى ؛ يا جبريل ! بعيني من تلذذ بكلامي ، واستروح إلى مناجاتي ،ناد فيهم يا جبريل : ما هذا البكاء ؟! هل رأيتم حبيبا يعذب أحبّاءه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قومًا إذا جنّهم الليل تلمقوني ؟ فبي حلفت إذا قدموا عليّ يوم القيامة لأكشفنّ لهم عن وجهي الكريم ينظرون إليّ وأنظر إليهم (٢) .

وسئل الحسن : لم كان المتهجدون أحسن الناس وجوهًا ؟.

قال : لإنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

---

(١) قال الشيخ جاسم الدوسري : قد أسرف المصنف رحمه الله في إيراد مثل هذه الحكايات التي هي من نسج الخيال ، وتظهر عليها لوائح الوضع والانتحال ، وإن امرءا لم يرغبه في قيام الليل ما ورد في الكتاب والسنة ،لن يرغبه فيه أمثال هذه الحكايات الغثة .

(١) قال الشيخ جاسم الدوسري : الإخبار عن الله عز وجل أمر عظيم ، وما لم يرد في أحد الوحيين : كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهو مردود على قائله .

رأت امرأة من الصالحات في منامها كأن حللا قد فرقت على أهل مسجد محمد بن جحادة ، فلما انتهى الذي يفرقها إليه دعا بسفط [1] (ق/ ١١٧) مختوم فأخرج منه حلة صفراء ، قالت : فلم يقم لها بصري ، فكساه إياها ، وقال : هذه لك بطول السهر .

قالت : فوالله لقد كنت أراه ـ تعني: محمد بن جحادة ـ بعد ذلك فأتخايلها عليه ـ تعني تلك الحلة .

قال كرز بن وبرة : بلغني أن كعبًا قال : إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين (يتهجدون) [*] بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء .

يا نفس فـاز الصالحـون بالتقى   وأبصـروا الحق وقلبي قد عمي

يا حُسْنَهُم والليل قـد جنـهم   ونورهـم يفوق نـور الأنجـم

ترنموا بالذكـر في ليلهـم   فعيشهم قد طـاب بالترنـم

قلوبهم للذكـر قد تفرغـت   دمـوعهـم كلـؤلؤ منتظـم

أسحارهم بهم لهم قد أشرقت   وخـلع الغفـران خير القِسَم

في بعض الآثار يقول الله عز وجل كل ليلة : يا جبريل أقم فلانًا وأنم فلانًا.

قام بعض الصالحين في ليلة باردة ، وكان عليه خلقان رثَّة فضربه البرد فبكى ، فسمع هاتفًا يقول : أقمناك وأنمناهم ، ثم تبكي علينا !

تنبهوا أيا أهـيل ودي   كم ذا الكرى ، هب نسيم نجـد

كـم بين خال وجوٍ وساهـر   وراقـد وكـاتم ومـبدي

قيل لابن مسعود : ما نستطيع قيام الليل .

قال : أبعدتكم ذنوبكم .

وقيل للحسن : أعجزنا قيام الليل .

---

(١) كيس يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (اللسان : ٧/ ٣١٥) .

(*) يصلون : « نسخة » .

قال : قيدتكم خطاياكم . إنما يؤهل الملوك للخلوة بهم ومخاطبتهم من يخلص في ودادهم ومعاملتهم ، فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك :

الليـل لي ولأحـبابي أحـادثهـم　　قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا

لهـم قلـوب بأسـرار لها ملئـت　　على ودادي وإرشادي لهم طبعوا

قد أثمرت شجرات الفهـم عندهـم　　فما جنَوْا إذ جنَوْا مما به ارتفـعوا

(ق/ ١٧ ب) سَرَوْا فما وهنوا عجزاً وما ضعفـوا　　وواصلوا حبل تقريبي فما انقطعوا

***

الفصل الثالث
في ذكر الدعوات المذكورة في هذا الحديث

وهي : « **اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب العمل الذي يبلغني حبك** » .

فقال النبي ﷺ : « **تعلموهن وادرسوهن فإنهن حق** » .

هذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها ، فقوله ﷺ :« **أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات** » ، يتضمن طلب كل خير وترك كل شر ، فإن الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى ويقرب منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات ، والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى ويباعد منه من الأقوال والأعمال ، فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة .

وقد كان النبي ﷺ يستحب مثل هذه الأدعية الجامعة ، قالت عائشة : **كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ، ويدع ما بين ذلك** . خرّجه أبو داود [١] .

وقوله : « **وحب المساكين** » ، هذا قد يُقال أنه من جملة فعل الخيرات ، وأفرده بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به ، كما أفرد أيضًا ذكر حب الله تعالى وحب من يحبه وحب عمل يبلغه إلى حبه ، وذلك أصل فعل الخيرات كلها ، وقد يقال أنه طلب من الله عز وجل أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح ، وأن يرزقه ما يوجب له ذلك ، وهو حبه وحب من يحبه وحب عمل يبلغه حبه ، فهذه المحبة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح ولترك المنكرات بالجوارح ، وسأل (ق/ ١١٨) الله تعالى أن يرزقه المحبة فيه .

---

(١) برقم (١٤٨٢) .

فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله عز وجل وحب أحبابه وحب الأعمال التي تقرب من حبه والحب فيه ، وذلك مقتض فعل الخيرات كلها .

وتضمن ترك المنكرات والسلامة من الفتن ، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله، فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا ، وتضمن سؤال المغفرة والرحمة ، وذلك يجمع خير الآخرة كله ، فجمع هذا الدعاء خير الدنيا والآخرة .

والمقصود أن حب المساكين أصل الحب في الله تعالى ، لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله ، فلا يحبون إلا لله عز وجل ، والحب في الله من أوثق عرى الإيمان .

ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان ، وهو صريح الإيمان ، وهو أفضل الإيمان، وهذا كله مروي عن النبي ﷺ أنه وصف به الحب في الله تعالى [1] .

---

(١) منها حديث : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله » .
أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦) عن البراء بن عازب ، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧) وغيره عن معاذ ، وأخرجه أحمد (٥/ ١٤٦) وأبو داود (٤٥٩٩) عن أبي ذر .
وأخرجه الطيالسي (٣٧٨) والطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٣٥٧ ، ١٠٥٣١) ، والصغير (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) والحاكم (٢/ ٤٨٠) عن ابن مسعود .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي قائلا : ليس بصحيح ، فإن الصعق وإن كان موثقًا ، فإن شيخه منكر الحديث ،قاله البخاري.
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٩٠ ، ١٦٣) : وفيه عقيل بن الجعد قال البخاري : منكر الحديث .
وقال الهيثمي (٧/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير بن معروف ، وثقه أحمد وغيره ، وفيه ضعف .
ومنها حديث : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » وذكر منها : « وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله » .
أخرجه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) عن أنس .
ومنها حديث : « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى . . » الحديث .
أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠) عن عمرو بن الجموح .
ومنها حديث معاذ بن أنس أنه سأل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان . قال : « أن تحب لله وتبغض لله » . أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : « به تنال ولاية الله ، وبه يوجد طعم الإيمان»[1] .

وحب المساكين قد وصى به النبي ﷺ غير واحد من أصحابه ، قال أبو ذر : أوصاني رسول الله ﷺ أن أحب المساكين ، وأن أدنو منهم . خرّجه الإمام أحمد[2] .

وخرّج الترمذي [3] عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « **يا عائشة ! أحبي المساكين وقرِّبيهم فإن الله يقربك يوم القيامة** » .

ويروى أن داود عليه السلام كان يجالس المساكين ، ويقول : يا رب مسكين بين مساكين .

ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين ، كتب سفيان الثوري إلى بعض إخوانه : « عليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم ، فإن رسول الله ﷺ كان يسأل ربه حب المساكين » .

وحب المساكين مستلزم لإخلاص العمل لله تعالى ، والإخلاص هو أساس الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه ، فإن حب المساكين يقتضي إسداء النفع إليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا ، (ق/ ١٨ ب) فإذا حصل إسداء النفع إليهم حبًّا لهم والإحسان إليهم كان هذا العمل خالصًا ، وقد دلّ القرآن على ذلك ، قال عز وجل : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان: ٨-٩]، وقال عز وجل : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ**

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣) .

(٢) (٥ / ١٥٩) وقال الهيثمي (١٠/ ٢٦٣) : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه ، وأحد إسنادي أحمد ثقات » .

(٣) برقم (٢٣٥٢) وقال : هذا حديث غريب . وقال الحافظ في التلخيص (٣/ ١٠٩): « إسناده ضعيف » .

﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨].

قال سعد بن أبي وقاص : نزلت هذه الآية في ستة : فيَّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال ، قالت قريش لرسول الله ﷺ : إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهم فاطردهم عنك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ الآية [1] .

وقال خباب بن الأرت في هذه الآية : جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وعمار وبلال وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقَّروهم ، فأتوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وجوه العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : « نعم ». قالوا : فاكتب لنا عليك كتابًا . قال : فدعا بصحيفة ، ودعا عليًا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣] ثم قال : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤. (ق/ ١١٩) قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه ، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ وتجالس الأشراف ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف: ٢٨] يعني : عيينة والأقرع . قال خباب : فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٨) .

بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم . خرّجه ابن ماجه [(١)] وغيره [(٢)] .

وكان النبي ﷺ يعود المرضى من مساكين أهل المدينة ويشيِّع جنائزهم ، «وكان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي حاجتهما» [(٣)] ، وعلى هذا الهدي كان أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان .

وروي عن أبي هريرة قال : كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ويجلس إليهم ، ويحدثهم ويحدثونه ، وكان النبي ﷺ يكنيه : أبا المساكين [(٤)] .

وفي رواية: أنه كان يطعمهم ، وربما أخرج لهم عكَّة [(٥)] العسل فشقوها ولعقوها[(٦)] .

وكانت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين تسمى أم المساكين لكثرة إحسانها إليهم ، و توفيت في حياة النبي ﷺ .

وقال ضرار بن مرة في وصف علي بن أبي طالب في أيام خلافته : كان

---

(١) برقم (٤١٢٧) .

(٢) وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير - كما في تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٤ - ١٣٥) ، وابن جرير في تفسيره (٧/ ١٢٧ - ١٢٨) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٣٥) : « هذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ،والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر » .

(٣) أخرجه الدارمي (١/ ٣٥) والنسائي (٣/ ١٠٩) ،والحاكم (٢/ ٦١٤) عن عبد الله ابن أبي أوفى وقال : صحيح على شرط الشيخين ،ولم يخرجاه .
وأخرجه الحاكم (٢/ ٦١٤) عن أبي سعيد الخدري .وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٦٦) وقال : هذا حديث غريب .وأبو إسحاق المخزومي هو إبراهيم بن الفضل المدني ، وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه وله غرائب. وابن ماجه (٤١٢٥) .

(٥) وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن والعسل . (النهاية : ٣/ ٢٨٤).

(٦) أخرجها البخاري (٥٤٣٢) من حديث أبي هريرة بنحوه .

يُعظم أهل الدين ، ويحب المساكين .

ومرَّ ابنه الحسن على مساكين يأكلون ، فدعوه فأجابهم وأكل معهم ، وتلا : ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] ثم دعاهم إلى منزله فأطعمهم وأكرمهم.

وكان ابن عمر لا يأكل غالبًا إلا مع المساكين ، ويقول : لعلَّ بعض هؤلاء أن يكون ملكًا يوم القيامة .

وجاء مسكين أعمى إلى ابن مسعود ـ وقد ازدحم الناس عنده ـ فناداه : يا أبا عبد الرحمن ! آويت أرباب الخزِّ واليمنية [1] وأقصيتني لأجل أني مسكين. فقال له: أدنه . فلم يزل يدنيه حتى أجلسه إلى جانبه أو بقربه .

وكان مطرف بن عبد الله يلبس الثياب الحسنة ثم يأتي المساكين ويُجالسهم .

(ق / ١٩ ب) وكان سفيان الثوري يعظم المساكين ويجفو أهل الدنيا ، فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء ، والأغنياء هم الفقراء .

وقال سليمان التيمي : كنا إذا طلبنا علية أصحابنا وجدناهم عند الفقراء والمساكين .

وقال الفضيل : من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين.

ومن فضائل المساكين أنهم أكثر أهل الجنة كما قال النبي ﷺ : « **قُمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين** » [2].

وقال ﷺ : « **تحاجت الجنة والنار ، فقالت الجنة : لا يدخلني إلا الضعفاء والمساكين** » [3] .

وسئل النبي ﷺ عن أهل الجنة، فقال : « **كل ضعيف متضعف** » [4] .

---

(١) أي أصحاب الثياب الفاخرة ، يكني بذلك عن أهل الغنى والسعة.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦٥٤٧) ، ومسلم (٢٧٣٦) من حديث أسامة بن زيد .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٦ / ٣٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣) عن حارثة بن وهب الخزاعي .

وهم أول الناس دخولاً الجنة كما صحَّ عنه ﷺ : « **أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين عامًا** »[1] .

وفي رواية : « **أنهم يدخلون الجنة بنصف يوم، وهو خمسمائة سنة** »[2] .

وهم أول الناس إجازة على الصراط كما صحَّ عنه ﷺ أنه سئل : من أول الناس إجازة على الصراط ؟. فقال :« **فقراء المهاجرين** »[3] .

وهم أول الناس وروداً الحوض كما قال ﷺ : « **أول الناس وروداً عليه : فقراء المهاجرين ، [الدنس ثيابًا والشعث رؤوسًا]**[4] **، الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد**[5] »[6] .

وهم أتباع الرسل كما أخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام أن قومه عيَّروه باتباع الضعفاء له فقالوا : ﴿ **أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ** ﴾ [الشعراء:١١١] ، وكذلك قال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي ﷺ : وهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . قال هرقل : هم أتباع الرسل[7] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا . . . » .

(٢) أخرجها أحمد (٢/ ٣٤٣ ، ٤٥١) والترمذي (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الرواية الأخرى : صحيح والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١/ ٦) وابن ماجه (٤١٢٢) من حديث أبي هريرة .

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٣١٥) عن ثوبان .

(٤) جاء في الأصول: (الدنسة رؤوسهم ، الشعثة ثيابهم) وهو خطأ ،والمثبت من مصادر التخريج .

(٥) الأبواب ، جمع سدَّة . (النهاية : ٢/ ٣٥٣) .

(٦) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) والترمذي (٢٤٤٤) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي ﷺ ، وأبو سلام الحبشي اسمه ممطور ، وهو شامي . وابن ماجه (٤٣٠٣) والحاكم (٤/ ١٨٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه من طريق أبي سلام ممطور عن ثوبان .

(٧) أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس عن أبي سفيان .

وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء أو أكثرهم ، وقد دلَّ على ذلك أدلة كثيرة ، منها قول النبي ﷺ حين مرَّ به الغني والمسكين في المسجد : « **هذا - يعني : المسكين - خير من ملء الأرض من مثل هذا - يعني : الغني** » وقد خرجه البخاري [1] وغيره [2] .

ومنهم من لو أقسم على الله لأبره كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في أهل الجنة : « **كل ضعيف متضعف لو أقسم** (ق/ ١٢٠) **على الله لأبره** » [3] .

وفي رواية : « **أشعث ذو طمرين** » [4] ، وفي رواية خرَّجها ابن ماجه: «**أنهم ملوك الجنة** » [5] ، وفي الحديث المشهور : « **رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » خرّجه الحاكم [6] وغيره [7] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٧)عن سهل بن سعد .

(٢) وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٠) .

(٣) تقدم .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٥) من حديث أنس ، وقال الهيثمي (١٠/ ٢٦٤) : « وفيه ابن لهيعة وحديثه يعتضد » .

وأخرجه ابن ماجه (٤١١٥) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٤) من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا : « ألا أخبرك عن ملوك الجنة ؟ قلت : بلى . قال : « ورجل ضعيف مستضعف ذو طمرين ... » .

قال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١٩٧) : « سنده جيد » . ا.هـ وانظر : روايات أخرى في ذكر ذي طمرين في المجمع (١٠/ ٢٦٤ - ٢٦٥) .

(٥) برقم (٤١١٥) .

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، أظن مسلمًا أخرجه من حديث حفص بن عبد الله بن أنس .

(٧) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧) من حديث أبي هريرة وعندهما : «تنبو عنه أعين الناس » .

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٦١) وقال : لم يرو هذا الحديث عن حفص إلا أسامة . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٤) : « وفيه عبد الله بن موسى التيمي وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم ، وقد وثقه ابن حبان على=

رب ذي طمرين نضوٍ [1] يأمن العالم شره
لا يُرَى إلا غنيًا وهو لا يملك ذره
ثم لو أقسم في شيء على الله أبره

قال ابن مسعود : كونوا جددالقلوب ، خلقان الثياب ، سرج الليل ، مصابيح الظلام ، تُعرفون في أهل السماء ، وتخفون على أهل الأرض .

طوبى لعبد بحبل الله مُعتصَمُه على صراط سوي ثابت قدمه
رث اللباس جديد القلب مستتر في الأرض مشتهر فوق السماسمه
ما زال (يستحقر) (*) الأولى بهمته حتى ترقت إلى الأخرى به هممه
فذاك أعظم من ذي التاج متكئًا على النمارق محتفًا به خدمه

واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة ، منها : أنها توجب إخلاص العمل لله عز وجل ، لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عز وجل ، لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا ، فأما من أحسن إليهم ليمدح بذلك فما أحسن إليهم حبًّا لهم بل حبًّا لأهل الدنيا ، وطلبًا لمدحهم له بحب المساكين .

ومنها : أنها تزيل الكبر ، فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين كما سبق عن رؤساء قريش والأعراب ومن حذا حذوهم من هذه الأمة ممن تشبّه بهم ، حتى إنَّ بعض علماء السوء كان لا يشهد الصلاة في جماعة خشية أن تُزاحمه المساكين في الصف .

ويمتنع بسبب هذا الكبر خير كثير جداً ، فإن مجالس الذكر والعلم يقعُ فيها كثيراً مجالسة المساكين ، فإنهم أكثر هذه المجالس ، فيمتنع المتكبر من هذه (ق/ ٢٠ ب) المجالس بتكبره ، وربما كان المسموع منه الذكر والعلم من جملة المساكين ، فيأنف

=ضعفه » .

وأخرجه البزار في البحر الزخار (٢٠٣٥) من حديث ابن مسعود ، وقال : وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا بهذا الإسناد .

(١) أي : ذو ثياب خلقة بالية . (اللسان : ١٥/ ٣٢٩).

(*) يحتقر : « نسخة » .

أهل الكبر من التردد إلى مجلسه لذلك فيفوتهم خير كثير .

وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] يشيرون إلى عظماء مكة والطائف كعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة ونحوهما من صناديد قريش وثقيف ذوي الأموال والشرف فيهم ممن كان أكثر مالاً من محمد ﷺ وأعظم رياسة عندهم ، ورد عليهم سبحانه بأنه يقسم رحمته كما يشاء ، وأنه كما رفع درجات بعضهم على بعض في الدنيا فكذلك يرفعها في الآخرة ،وأن رحمته بالنبوة والعلم والإيمان خير مما يجمعونه من الأموال التي تفنى، فهو سبحانه يختص بهذه الرحمة الدينية من يشاء ويرفعه على أهل النعم الدنيوية ، وقد خص محمداً ﷺ بما لم يشركه فيه غيره من هذه النعم كما قال تعالى له : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] .

وقد كان علي بن الحسين يجلس في مجلس زيد بن أسلم فيُعاتب على ذلك فيقول : إنما يجلس المرءُ حيث يكون له فيه نفعٌ. أو كما قال ، يشير إلى أنه ينتفع بسماع ما لم يسمعه من العلم والحكمة ، وزيد بن أسلم أبوه مولى لعمر ، وعلي ابن الحسن سيد بني هاشم وشريفهم .

ولما اجتمع الزهري وأبوحازم الزاهد بالمدينة عند بعض بني أمية - لما حج - وسمع الزهري كلام أبي حازم وحكمته أعجبه ذلك ، وقال : هو جاري منذ كذا وكذا ، وما جالسته ولا عرفت أن هذا العلم عنده!. فقال له أبو حازم : أجل إني من المساكين ، ولو كنت من الأغنياء لعرفتني فوبَّخه بذلك .

وفي رواية عنه أنه قال له: لو أحببت الله لأحببتني ، ولكنك نسيت الله فنسيتني . يشير إلى أنَّ من أحبَّ الله تعالى أحبَّ المساكين من أهل العلم (ق/ ١٢١) والحكمة لأجل محبته لله تعالى ، ومن غفل عن الله تعالى غفل عن أوليائه من المساكين فلم يرفع بهم رأسًا ، ولم ينتفع بما اختصَّهم الله عز وجل به من الحكمة والعلوم النافعة التي لا توجد عند غيرهم من أهل الدنيا .

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله والغالبُ عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة في الدنيا ، ويدعون أهل الرياسات والولايات فلا يأخذون عنهم شيئًا مما عندهم من العلم بالكلية .

ومنها : أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه ، وفي المسند عن أبي هريرة أن رجلاً شكى إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال له : « **إن أحببت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم** »[1] .

ومنها : أنَّ مجالسة المساكين تُوجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل ، وتعظُمُ عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه . ومجالسة الأغنياء تُوجب التسخط بالرزق ، ومدَّ العين إلى زينتهم وما هم فيه ، وقد نهى الله عز وجل نبيه ﷺ عن ذلك فقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ [طه: ١٣١]، وقال النبي ﷺ : « **انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم ، فإنَّه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم** »[2] .

قال أبو ذر أوصاني رسول الله ﷺ أن أنظر إلى من دوني ولا أنظر إلى من فوقي ، وأوصاني أن أحبَّ المساكين وأن أدنو منهم[3] .

وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غمٍّ ، لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباسًا ومركبًا ومسكنًا ومطعمًا ، فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك .

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه نهى عائشة من مخالطة الأغنياء[4] .

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣ ، ٣٨٧) من طريق أبي عمران الجوني عن رجل عن أبي هريرة ، وفي الرواية الثانية عند أحمد : عن أبي عمران عن أبي هريرة دون ذكر التابعي المبهم ، قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣ / ٩) من حديث أبي هريرة .

(٣) تقدم .

(٣) أخرجه الترمذي (١٧٨٠) والحاكم (٤/ ٣١٢) ، وابن الجوزي في الموضوعات =

وقال عمر : إياكم والدخول على أهل السعة فإنه مسخطةٌ للرزق .

واعلم أن المسكين إذا أُطلق يُراد به غالبًا (ق/ ٢١ ب) من لا مال له يكفيه ، فإن الحاجة توجب السكون والتواضع ، بخلاف الغنى فإنه يوجب الطغيان ، ولهذا ذُمَّ الفقير المختال وعظم وعيده لأنه عصى بما ينافي فقره ، وهو الاختيال والزهو والكبر .

ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى من لا كفاية له من المال وصى الله تعالى بإيثار المساكين وإطعامهم الطعام ، ومدح من يُطعمهم ، وذمَّ من لا يحض على إطعامهم ، وجعل لهم حقًّا في أموال الصدقات والفيء وخُمس الغنائم وحضور قسمة الأموال .

وهؤلاء المساكين على قسمين :

أحدهما : من هو محتاج في الباطن وقد أظهر حاجته للناس .

والثاني : من يكتم حاجته ويظهر للناس أنه غنيٌّ فهذا أشرف القسمين ، وقد مدح الله عز وجل هذا في قوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣]، وقال النبي ﷺ : « **ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكنَّ المسكين من لا يجد ما يغنيه ، ولا يُفطن له فيتصدق عليه** »[1] . وقال بعضهم : هذا المحروم المذكور في قوله عز وجل : ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٩] .

=(٣/ ١٣٩ - ١٤٠) عن عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « **إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ..** » الحديث .
قال الترمذي: « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان ، قال : وسمعت محمدًا يعني البخاري يقول : صالح بن حسان منكر الحديث » . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وتعقبه الذهبي قائلا : الوراق - يعني : سعيد بن محمد - عدم » .

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٦) ومسلم (١٠٣٩) عن أبي هريرة بنحوه .

فأخبر النبي ﷺ أن من كتم حاجته فلم يُفطن له أحقُّ باسم المسكين من الذي أظهر حاجته بالسؤال ، وأنه أحقُّ بالبر منه ، وهذا يدل على أنهم كانوا لا يعرفون من المساكين إلا من أظهر حاجته بالسؤال ، وبهذا فرَّق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين ، فقالوا : من أظهر حاجته فهو مسكين ، ومن كتمها فهو فقير .

وفي كلام الإمام أحمد إيماء إلى ذلك ، وإن كان المشهور عنه أن التفريق بينهما بكثرة الحاجة وقلتها كقول كثيرمن الفقهاء ، وهذا حيث جمع بين ذكر الفقير والمسكين كما في آية الصدقات، (ق/ ١٢٢) (وأما إن) (*) أفرد أحدُ الاسمين دخل فيه الآخر عند الأكثرين .

وقد كان كثيرمن السلف يكتم حاجته ويظهر الغنى تعففًا وتكرمًا ، منهم : إبراهيم النخعي كان يلبس ثيابًا حسانا ، ويخرج بها إلى الناس وهم يرون أنه تحل له الميتة من الحاجة .

وكان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة وفي كمه مفتاح دار كبيرة ولا مأوى له إلا المساجد .

وكان آخر لا يلبس جبة في الشتاء لفقره ، ويقول : بي علة تمنعني من لبس المحشو ، وإنما يعني به الفقر .

شعر :

إن الكريم ليُخفي عنك عُسرته حتى تراه غنيًا وهو مجهود

وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثياب المساكين مع الغنى تواضعًا لله عز وجل ، وبُعدًا من الكبر كما كأن يفعله الخلفاء الراشدون الأربعة وبعدهم عمر بن عبد العزيز، وكذلك كان جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضي الله عنهم .

وروي أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ كان يُنشد :

(*) فإذا أفرد : « نسخة » .

إذا أردتِ شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي حسُنت في الناس سيرته وذاك يصلح للدنيا وللدين

وكان علي رضي الله عنه يعاتب على لباسه فيقول : هو أبعدُ من الكبر ، وأجدر أن يقتدي بي المسلم [(١)] .

وعُوتب عمر بن عبد العزيز على ذلك فقال : إن أفضل القصد عند الجدة . يعني : أفضل ما اقتصد الرجل في لباسه مع قدرته ووجدانه .

وفي سنن أبي داود [(٢)] وغيره [(٣)] عن النبي ﷺ أنه قال : « **البذاذة من الإيمان** » يعني : التقشف .

وفي الترمذي [(٤)] عن النبي ﷺ : « **من ترك اللباس تواضعًا لله عز وجل وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة [على رؤوس الخلائق]** [(٥)] **حتى يخيره من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها** » .

وخرَّجه أبو داود [(٦)] من وجه آخر ولفظه : « **من ترك ثوب جمال ـ أحسبه قال : تواضعًا ـ كساه الله حلة الكرامة** » .

وإنما يُذم من ترك اللباس مع قدرته عليه بخلا على نفسه ، أو كتمانًا لنعمة الله عز وجل ، وفي هذا جاء الحديث المشهور : « **إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده** » [(٧)] .

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٣٢) والفضائل (٩٢٤) والحاكم (٣/ ١٤٣) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨٢ ـ ٨٣) وفيه شريك القاضي صدوق سيء الحفظ . وأخرجه أحمد في الفضائل (٩٢٣) وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص ١٣١) والفضائل (٨٩٣) وأبو نعيم (١/ ٨٣) .

(٢) برقم (٤١٦١) .

(٣) وأخرجه ابن ماجه (٤١١٨) وغيره ، وانظر الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٣٤١).

(٤) برقم (٢٤٨١) وقال : هذا حديث حسن . وقال ابن الجوزي في العلل (١١٢٩) : هذا حديث لا يصح .

(٥) ما بين المعقوفتين من جامع الترمذي .

(٦) برقم (٤٧٧٨) . قال المنذري في مختصر السنن (٧/ ١٦٤) : فيه رواية مجهول .

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٨) ، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٨١، ٤١٨) قال الهيثمي=

ومن لبس لباسًا حسنًا إظهاراً لنعمة الله ولم يفعله اختيالاً كان حسنًا .

وكان كثير من الصحابة والتابعين يلبسون لباسًا حسنًا، منهم: ابن عباس، والحسن البصري.

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يحب أن يكون لباسه حسنًا ونعله حسنًا؟

قال: «ليس ذلك بالكبر ، إنما الكبر بطر الحق وغمط الناس» [١] .

يعني: التكبر عن قبول الحق والانقياد له، واحتقارُ الناس وازدراؤهم فهذا هو الكبر ، فأما مجرد اللباس الحسن الخالي عن الخيلاء فليس بكبر ، واحتقارُ الناس مع رثاثة اللباس كبر .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان ماشيًا في طريق، وهناك أمة سوداء ، فقال لها رجل : الطريق ! الطريق ! للنبي ﷺ .

فقالت: الطريق يُمنةً ويُسرةً! .

فقال النبي ﷺ : « دعوها فإنه جبارة » . خرّجه النسائي[٢] وغيره [٣] ، وفي رواية للطبراني [٤] وغيره : قالوا: يا رسول الله ! إنها . يعني: مسكينة . قال :

= في المجمع (٥/ ١٣٢) : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات.

(١) أخرجه مسلم (٩١) بنحوه من حديث ابن مسعود .

(٢) في السنن الكبرى (٦/ ١٤٣) برقم (١٠٣٩١) من حديث أبي بردة عن أبيه . قال النسائي : عافية بن يزيد ثقة ، وسليمان الهاشمي . لا أعرفه .

(٣) وأخرجه أبو يعلى (٣٢٧٦) ، والطبراني في الأوسط (٨١٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٩١) من حديث أنس .

وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٩٩) : رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى ، وفيه يحيي الحماني ضعفه أحمد ، ورماه بالكذب ، ورواه البزار وضعفه براوٍ آخر .

وقال البوصيري في الإتحاف (٧١٠٧ ـ ط. دارالوطن): رواه أبو يعلى عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ، وقد ضعفه الجمهور .

(٤) في المعجم الكبير كما في المجمع (١/ ٩٩) من حديث أبي موسى بلفظ : « إن لا يكن ذلك في قدرتها ، فإنه في قلبها » . قال الهيثمي : وفيه بلال بن أبي بردة .

« إن ذاك في قلبها » .

يعني : أن الكبر في قلبها وإن كان لباسها لباس المساكين .

وقال الحسن : إن قومًا جعلوا التواضع في لباسهم والكبر في صدورهم ، إن أحدهم أشد كبراً بمدرعته من صاحب السرير بسريره ، وصاحب المنبر بمنبره . قال أحمد بن أبي الحواري : قال لي سليمان بن أبي سليمان ـ وكان يُعدلُ بأبيه : أي شيء أرداو بثياب الصوف ؟.

قلت : التواضع . قال : وما يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف!.

وقال أبو سليمان : يكون ظاهرك قطنيًا وباطنك صوفيًا .

قال أبو الحسن بن بشار : صوِّف قلبك ، والبس القوهي على القوهي . يعني : رفيع الثياب .

فمتى أظهر الإنسان لباس المساكين لدعوى الصلاح ليشتهر بذلك عند الناس كان (ق/ ١٢٣) ذلك كبراً ورياء ، ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين ، وقالوا : إنه شهرة .

ولما قدم سيّار أبو الحكم البصرة لزيارة مالك بن دينار لبس ثيابًا حسنة ثم دخل المسجد فصلى صلاة حسنة ، فرآه مالك ـ ولم يعرفه ـ فقال له : يا شيخ ! إني أرغب بك عن هذه الثياب مع هذه الصلاة .

فقال له : يا مالك ! ثيابي هذه تضعني عندك أم ترفعُني ؟!

قال : بل تضعك. فقال : نعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس ، ولكن انظر يا مالك لعل ثوبيك هذين ـ يعني : الصوف ـ أنزلاك عند الناس ما لم يُنزلاك من الله .

فبكى مالك وقام إليه واعتنقه ، وقال له : أنشدك الله أنت سيار أبو الحكم ؟ قال : نعم .

فلهذا كَرِه من كَرِه من السلف كابن سيرين وغيره لباس الصوف حيث صار شعار الزاهدين ، فيكون لباسه إشهاراً للنفس ، وإظهاراً للزهد ، وأما النبي ﷺ

فكان يلبس ما وجد ، فتارة يلبس لباس الأغنياء من حلل اليمن وثياب الشام ونحوها، وتارة يلبس لباس المساكين فيلبس جُبَّة من صوف أحيانًا ، وأحيانًا يتزر بعباءة ويهنأ إبل الصدقة بيده ، يعني أنه يطليها بيده ويُصلحها كما يفعل أرباب الإبل بها .

ولم يبعث الله نبيًّا من أهل الكبر ، وإنما بعث من لا كبر عنده ، ولا يتكبر عن معالجة الأشياء التي يأنف منها المتكبرون كرعاية الإبل (والغنم) (*) ، وإجارة نفسه(1) عند الحاجة إلى الاكتساب : ومن أعطاه الله منهم مُلكًا فإنه يزداد به تواضعا لله عز وجل كداود وسليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وقد يطلق اسم المسكين ويُراد به من استكان قلبه لله ، وانكسر له وتواضع لجلاله وكبريائه وعظمته وخشيته ومحبته ومهابته .

وعلى هذا المعنى حمل بعضهم الحديث المروي عن النبي ﷺ أنه قال : **«اللهم أحييني مسكينا ، وأمتني مسكينًا ، واحشرني** (ق/ ٢٣ ب) **في زمرة المساكين»** خرّجه الترمذي من حديث أنس (2) ، وخرّجه ابن ماجه من حديث ابن عباس(3) .

وفي حمله على ذلك نظرٌ لأن في تمام حديثيهما ما يدل على أن المراد به المساكين من المال ، لأنه ذكر سَبْقَهُم الأغنياء إلى الجنة ، مع أنّ في إسناد الحديثين ضعفًا .

وقد خيِّر النبي ﷺ بين أن يكون نبيًّا ملكًا أو عبدًا رسولاً ، فأشار إليه جبريل أن تواضع . فقال : بل عبدًا رسولاً . وكان بعد ذلك لا يأكل متكئًا ، ويقول :

(*) والبقر : « نسخة » .

(1) أي : اشتغاله أجيرًا للآخرين .

(2) برقم (٢٣٥٢) وقال الترمذي : هذا حديث غريب.

(3) وهم المصنف رحمه الله في عزو الحديث لابن عباس عند ابن ماجه فقد أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري برقم (٤١٢٦) . قال البوصيري في مصباح الزجاجة : هذا إسناد ضعيف ، أبو المبارك لا يعرف اسمه وهو مجهول ، ويزيد بن سنان التميمي أبو فروة ضعيف .

«آكل كما يأكل العبد . وأجلس كما يجلس العبد »[1] .

قال الحسن : قال رسول الله ﷺ : « **فأعطاني الله لذلك أن جعلني سيد ولد آدم ، وأول شافع ، أول مشفع ، وأول من تنشق عنه الأرض** ». وصحّ عنه ﷺ أنه قال: « **إنما أنا عبد ، فقولوا :**

---

(١) ورد هذا الحديث عن عدة من الصحابة فمنهم :

أ ـ عائشة رضي الله عنها :

رواه عنها ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٨١) ، وأبو يعلي (٤٩٢٠) ومن طريق أبو الشيخ في أخلاق النبي (ص١٩٧) والبغوي في شرح السنة (٣٦٨٣) ، والذهبي في السير (٢/ ١٩٥) .

قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٩) : رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

وقال الذهبي في السير (٢/ ١٩٥) : هذا حديث حسن غريب .

ب ـ أنس رضي الله عنه :

رواه عنه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٦٣٧) .

حـ ـ ابن عباس رضي الله عنه .

رواه عنه النسائي في الكبرى (٦٧٤٣) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٢٤) ، والطبراني كما في المجمع (٩/ ٢٠) ،وأبو الشيخ في أخلاق النبي (ص ١٩٨) ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٣٦٨٤) .

قال الهيثمي في المجمع (٩ / ٢٠) : وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس .

قلت : وفي السند انقطاع بين محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبين جده عبد الله ابن عباس .

وضعف الحديث العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٣٤٠) .

وروي الحديث مرسلاً عن الزهري وطاوس ويحيى بن أبي كثير والحسن .

فأما مرسل الزهري فأخرجه معمر في جامعه (١٩٥٥١ ـ مع المصنف) .

وأما مرسل طاوس فأخرجه معمر أيضًا (١٩٥٥٢) .

وأما مرسل يحيى بن أبي كثير فأخرجه معمر (١٩٥٥٤)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٥٩٧٥) ، وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٧١) .

قال الحافظ في التلخيص الحبير (٣/ ١٢٥) بعد أن ذكر الحديث ، ولأبي الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث جابر نحوه ومن حديث عائشة وإسنادهما ضعيف ولابن شاهين من طريق عطاء بن يسار مرسلاً نحوه . ثم ذكر رواية عائشة عند ابن سعد ، قال: وللبيهقي في الشعب والدلائل من حديث ابن عباس في قصة قال فيها :

عبد الله ورسوله »[1] . فأشرف أسمائه : عبد الله ولهذا سُمِّيَ بهذا الاسم في القرآن في أفخر مقاماته ، فلما حقق ﷺ (عبوديته لربه)[*] حصلت له السيادة على جميع الخلق .

كان كثير من العارفين يقول في مناجاته لربه : كفى بي فخرًا أني لك عبدٌ ، وكفى بي شرفًا أنك لي رب .

وكان بعضهم يقول : كلما ذكرت أنه ربي وأني عبده حصل لي من السرور ما يصلح به بدني :

شرف النفوس دخولها في رقهم   والعبد يحوي الفخر بالمتملَّك

وكان أبو يزيد البسطامي ينشد :

وا ليتني صرت شـيئًا   من غير شي أعـــد
أصبحت للكل مولى   لأنني لـك عــــبد

فمن انكسر قلبه لله تعالى - واستكان وخشع وتواضع جبره الله عز وجل ورفعه بقدر ذلك وفي الأثر المشهور : أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام

فما أكل ﷺ بعد تلك الكلمة طعامًا متكئًا حتى لقي الله . ورواه النسائي بلفظ « قط » بدل «حتى لقي الله » ، وإسناده حسن فإنه من رواية بقية عن الزبيدي وقد صرح ، ووافقه معمر عن الزهري أخرجه عبد الرزاق أيضًا . وذكر العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٧) : الحديث « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وقال : رواه ابن سعد بسند حسن وأبو يعلى عن عائشة ، وفي رواية البيهقي عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً بزيادة : « فإنما أنا عبد » ورواه هناد في « الزهد » (٨٠٠) عن عمرو بن مرة مرسلا بلفظ : آكل كما يأكل العبد ، فوالذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تزن ثم الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا كأسًا » .

قلت : ولفقرات الحديث شواهد يتقوى بها انظرها في تخريج الشيخ جاسم الدوسري لهذا الحديث برقم (٣٠٢) فقد أفاد وأجاد حفظه الله وقد استفدت منه في تخريج هذا الحديث وغيره ، فجزاه الله خير الجزاء.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب .

(*) عبودية ربه « نسخة » .

حين سأله : أين أجدك ؟ . قال : عند المُنكسرة قلوبهم من أجلي ، فإني أدنو منهم كل يوم باعًا ولولا ذلك لانهدموا [(١)] .

وروي عن عبد الله بن سلام (ق/ ١٢٤) أنه فسره ، فقال : هم المنكسرة قلوبهم بحب الله عن حب غيره .

وفي الحديث المشهور المرفوع : « إن الله تعالى إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له ، فإذا تجلَّى لقلوب العارفين عظمة الله وجلاله وكبرياؤه اندكَّت قلوبهم من هيبته، وخشعت وانكسرت من محبته ومخافته » [(٢)] .

مساكين أهل الحب حتى قبورهم   عليها تراب الذل بين المقابر

فالمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته ، ولا يكون المسكين ممدوحًا بدو هذه الصفة ، فإن من لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبار كتلك الأمة السوداء التي قال فيها النبي ﷺ : « إنها جبارة » .

وهو إما عائل مستكبر أو فقير مختال ، وكلاهما لا ينظر الله إليه يوم القيامة، فالمؤمن يستكين قلبه لربه ويخشع له ويتواضع ، ويظهر مسكنته وفاقته إليه في الشدة والرخاء ، أما في حال الرضا فإظهاراً للشكر ، وأما في حال الشدة فإظهاراً للذل والعبودية والفاقة والحاجة إلى كشف الضر ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦]، فذمّ من لا يستكين لربه عند الشدة ، وكان النبي ﷺ يخرج عند الاستسقاء متواضعًا متخشعًا

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١/ ٥٧) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧٧) عن عمران القصير قال : قال موسى وفيه انقطاع بين عمران وموسى عليه السلام . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٦٤) عن مالك بن دينار قال : قال موسى عليه السلام وفيه انقطاع أيضا .

قال القاري في الأسرار المرفوعة (ص ١١٨) : لا أصل له .

(٢) قال الشيخ جاسم : لم أقف عليه ولا أظنه إلا موضوعًا ، فهو أشبه بكلام المتصوفة من كلام المعصوم ﷺ وغفر الله لابن رجب ما كان أغناه عن مثل هذه الأحاديث التي لا خطام لها ولا أزمة .

متمسكنًا[1] .

وحبس لمطرف بن عبد الله قريب له فلبس خلقان ثيابه ، وأخذ بيده قصبة ، وقال: أتمسكن لربي لعله يُشفعني فيه .

ومما يشرع فيه التمسكن لله حال الصلاة كما في حديث الفضل بن عباس عن النبي ﷺ قال : « **الصلاة مثنى مثنى ، تَشَهَّدُ في كل ركعتين ، وتخَشَّعُ ، وتَضَرَّعُ وتمسكن ، وتقنع يديك ـ يقول : ترفعهما ـ وتقول : يا رب ثلاثا ، فمن لم يفعل ذلك (فهي خداج)** (*) » . خرَّجه الترمذي [2] وغيره [3] .

وكذلك يشرع إظهار المسكنة في الدعاء .

خرّج الطبراني [4] من حديث ابن عباس قال : رأيت النبي ﷺ يدعو بعرفة، ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين .

ومن حديثه أيضًا أن النبي ﷺ قال في دعائه عشية عرفة: « **أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير** » [5] .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٠ ، ٢٦٩) وأبو داود (١١٦٥) والترمذي (٥٥٨، ٥٥٩) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) وابن ماجه (١٢٦٦) .

(*) في نسخة « الإمبروزيانا » : كررت هذه العبارة « ثلاث مرات » ، وفي سنن الترمذي : « فهو كذا وكذا » .

قال أبو عيسى: وقال غير ابن المبارك في هذا الحديث: «من لم يفعل ذلك فهي خداج».

(٢) برقم (٣٨٥) ونقل قول البخاري : وحديث الليث بن سعد هو حديث صحيح ، يعني أصح من حديث شعبة .

(٣) وأخرجه أحمد (١/ ٢١١) والنسائي في الكبرى كما تحفة الأشراف (٨/ ٢٦٤) من حديث الفضل ، وأخرجه الطيالسي (١٣٦٦) وأحمد (٤/ ١٦٧) وأبو داود (١٢٩٦) والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٨/ ٣٩١) وابن ماجه (١٣٢٥) .

(٤) في الأوسط (٢٨٩٢) عن ابن عباس .

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٨) : « وفيه الحسين بن عبد الله بن عبيد الله ، وهو ضعيف » .

(٥) قطعة من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١١٤٠٥) والصغير (١/ ٢٤٧) والخطيب في التاريخ (٦/ ١٦٣) ومن طريقه : ابن الجوزي في العلل (١٤١٢) عن ابن عباس .

قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥٢) : « وفيه يحيي بن صالح الأبلي ، قال العقيلي:=

وكان بعضِ السلف يجلس بالليل مطرقا رأسه ، ويمد يديه وهو ساكت كحال المسكين المستعطي . وقال طاوس : دخل علي بن الحسين الحجر ليلة فصلى ، فسمعته يقول في سجوده : عُبيدك بِفِنَائِكَ ، مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، سائلك بفنائك .

قال طاوس : فحفظتهن ، فما دعوت بهن في كرب إلا فرج عني.

وكان بعض العباد قد حج ثمانين حجة على قدميه ، فبينما هو في الطواف وهو يقول : يا حبيبي! يا حبيبي! فهتف به هاتف : ليس ترضى أن تكون مسكينًا حتى تكون حبيبًا! فغشي عليه فكان بعد ذلك يقول : مسكينك مسكينك .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

أنا الفقير إلى رب السمــــوات   أنا المسكين في مجموع حـــالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتــــي   والخير إن جاءنا من عنده يــــاتي

قوله ﷺ : « **وأن تغفر لي وترحمني** » : المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كله ، لأن المغفرة (ستر) (*) الذنب مع وقاية شره ، وقد قيل : إنه لا تجتمع المغفرة مع عقوبة الذنب ، حيث كانت المغفرة وقاية لشر الذنب ، وهذا لا يكون مع عقوبة عليه ، ولذلك سمي المِغفر مغفراً ، لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو ، فإنه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها .

وأما الرحمة فهي دخول الجنة وعلوّ درجاتها ، وجميعُ ما في الجنة من (النعيم) (**) بالمخلوقات ، ومن رضى الله وقربه ومشاهدته وزيارته فإنه من رحمة الله ، وفي الحديث الصحيح : « **إن الله عز وجل يقول للجنة : أنت رحمتي**

= روى عنه يحيى بن بكير مناكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .ا.هـ .

وقال ابن الجوزي : « حديث لا يصح » وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٥٤): «إسناده ضعيف » .

(*) تستر : « نسخة » .

(**) كتب في حاشية « نسخة الامبروزيانا » أنها في نسخة : « النعم » .

أرحم بك من أشاء من عبادي » [1] .

فكل ما في الجنة فهو من رحمته عز وجل ، وإنما تنال برحمته لا بالعمل كما قال ﷺ : **« لن يدخل** (ق/ ١٢٥) **أحد منكم الجنة بعمله »** .

قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟! .

قال :**« ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »** [2] .

قوله ﷺ :**« وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون »** : المقصود بهذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته ، فإن قدَّر الله على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها ، وهذا من أهم الأدعية فإن المؤمن إذا عاش سليمًا من الفتن ثم قبضه الله قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله ، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن [3] .

وفي حديث آخر : **« وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن »** [4] .

وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر ، فكان يتعوَّذ في صلاته من أربع ، ويأمر بالتعوذ منها : **« أعوذ بالله من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال »** [5] .

ففتنة المحيا يدخل فيها فتنُ الدين والدنيا كلها، (كالكفر) [*] والبدع

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٧) ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة .
وأخرجه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة .

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت مطولاً .

(٤) قطعة من حديث أخرجه أبو داود (٩٦٩) ، وابن حبان (٢٤٢٩) ، والحاكم (١/ ٢٦٥) وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٥) أخرجه البخاري (٨٣٣) ومسلم (٥٨٩) عن عائشة ، وأخرجه مسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة وعن ابن عباس (٥٩٠) بألفاظ متعددة .

(*) كالفقر : « نسخة » .

والفسوق والعصيان . وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر، فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريبًا من فتنة الدجال .

ثم خصَّ فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها ، فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها ، وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن .

وفي حديث معاوية عن النبي ﷺ أنه قال : « **إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة** » [(١)] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن الفتن التي تكون كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا[(٢)].

وكان أول هذه الفتن ما حدث بعد عمر رضي الله عنه ، ونشأ من تلك الفتن قتلُ عثمان رضي الله عنه ، وما ترتب عليه من إراقة الدماء وتفرُّق القلوب وظهور فتن الدين كبدع الخوارج المارقين من الدين وإظهارهم ما أظهروا ، ثم ظهور بدع أهل القدر والرفض ونحوهم ، وهذه هي الفتنة التي تموج كموج البحر المذكورة في حديث حذيفة المشهور حين سأله عنها عمر [(٣)] ، وكان حذيفة رضي الله عنه من أكثر الناس سؤالاً للنبي ﷺ عن الفتن خوفًا من الوقوع فيها [(٤)] . ولما حضره الموت قال: حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم! الحمد لله الذي سبق بي الفتنة ! قادتها وعلوجها [(٥)][(٦)] . وكان موته قبل قتل عثمان رضي الله عنه بنحو من أربعين يومًا ، وقيل: بل مات (بعد قتل) عثمان .

(ق / ٢٥ب)

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٤) ، وابن ماجه (٤٠٣٥) وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات .

(٢) أخرجه مسلم (١١٨) عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٩٦) ، ومسلم (١٤٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٨٤) ، ومسلم (١٨٤٧) .

(٥) العلوج جمع عِلْج ، وهو الرجل من كفار العجم (اللسان مادة : علج) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٢) .

وكان في تلك الأيام رجل من الصحابة نائمًا ، فأتاه آتٍ في منامه فقال له : قم ! فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده ، فقام فتوضأ وصلى ، ثم اشتكى ومات (بعد قليل) (*) .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل : « **إذا مت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت** » (١) ، وهذا إشارة إلى هذه الفتن التي وقعت بمقتل عثمان رضي الله عنه .

والدعاء بالموت خشية الفتنة في الدين جائزٌ ، وقد دعا به الصحابة والصالحون بعدهم ، ولما حج عمر رضي الله عنه آخر حجة حجها استلقى بالأبطح ثم رفع يديه وقال : اللهم إنه قد كبرت سني ، ورق عظمي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفتون . ثم رجع إلى المدينة فما انسلخ الشهر حتى قُتل رضي الله عنه (٢) .

ودعا علي ربه أن يريحه من رعيته حيث سئم منهم فقتل عن قريب .

(*) عن قريب : « نسخة » .

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) ،و ابن عدي في الكامل (٤/ ٣٥١ ـ علمية) ،وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٤١) من طريق سلم بن ميمون الخواص ثنا سليمان بن حيان حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن سهل بن أبي حثمة. . . فذكره .

قال العقيلي عن سلم: حدث بمناكير لا يتابع عليها ثم ذكر هذا الحديث منها .

وقال ابن حبان عنه : من عباد أهل الشام وقرائهم ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث وإتقانه ، فربما ذكر الشيء بعد الشيء ويقلبه توهمًا لا تعمدًا ، فبطل الاحتجاج بما يروي إذا لم يوافق الثقات .

وقال ابن عدي عنه : روى عن جماعة ثقات مالا يتابعه الثقات عليه ، أسانيدها ومتونها ثم ذكر هذا الحديث وقال : ولسلم الخواص أحاديث ، وهذا الحديث لا يرويه عن سليمان بن حيان غير سلم الخواص ، وله غير ماذكرت أحاديث معلومة الإسناد والمتن، وهو في عداد المتصوفة الكبار ، وليس الحديث من عمله ، ولعله كان يقصد أن يصيب، فيخطئ في الإسناد والمتن ، لأنه لم يكن من عمله .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٢٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٤) .

ودعت زينب بنت جحش لما جاءها عطاءُ عمر من المال فاستكثرته وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعدها ، فماتت قبل العطاء الثاني [1] .

ولما ضجر عمر بن عبد العزيز من رعيته حيث ثقل عليهم قيامه فيهم بالحق طلب من رجل كان معروفا بإجابة (الدعوة) (*) أن يدعو له بالموت ، فدعا له ولنفسه بالموت فماتا . ودعي طائفة من السلف الصالح إلى ولاية القضاء ، فاستمهلوا ثلاثة أيام فدعوا الله لأنفسهم بالموت فماتوا .

واطُّلع على حال بعض الصالحين ومعاملاته التي (ق / ١٢٦) كانت سرًّا بينه وبين ربه ، فسأل الله أن يقبضه إليه خوفًا من فتنة (الاشتهار) (**) فمات .

فإن الشهرة بالخير فتنة كما جاء في الحديث : « **كفى بالمرء فتنة أن يُشار إليه بالأصابع ، فإنها فتنة** » [2] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) ، (٨/ ١٠٩ ـ ١١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٥٤).

(*) الدعاء : « نسخة » .

(**) الدين : « نسخة » .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٠ ، ٢٢٨) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٧) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل (١٣٨٠) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٤٧) والبيهقي في الشعب (٦٩٧٩) عن عمران بن حصين مرفوعا : « **كفى بالمرء إثمًا أن يُشار إليه بالأصابع** » . قالوا : يا رسول الله وإن كان خيرا؟! قال : « **وإن كان خيراً فهي مزلة إلا من رحمه الله وإن كان شراً فهو شر** » .
قال ابن الجوزي : لا يصح . وضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٧٦) .
وأخرجه البيهقي في الشعب (٦٩٧٧) من حديث أنس مرفوعًا : « حسب امريء من الشر ـ إلا من عصمه الله ـ أن يشير إليه الناس بالأصابع في دينه ودنياه » قال المناوي في الفيض (٣/ ١٩٧): « وفيه يوسف بن يعقوب ، فإن كان النيسابوري فقد قال أبو علي الحافظ : ما رأيت بنيسابور من يكذب غيره . وإن كان القاضي باليمن فمجهول ، وابن لهيعة وسبق ضعفه » .ا.هـ .
وأخرجه البيهقي من طريق عطاء الخراساني عن أبي هريرة بهذا اللفظ ، وفيه كلثوم بن محمد بن أبي سدرة ، قال أبو حاتم : يتكلمون فيه . (اللسان : ٤/ ٤٨٩) وعطاء لم يسمع من أبي هريرة فهو منقطع . (جامع التحصيل ص ٢٩٠ ـ ٢٩١) .=

كان سفيان الثوري يتمنى الموت كثيراً فسئل عن ذلك ، فقال : ما يدريني ! لعلي أدخل في بدعة ، لعلي أدخل فيما لا يحلّ لي ، لعلي أدخل في فتنة ، أكون قد مت فسبقت هذا .

واعلم أن الإنسان لا يخلوا من فتنة ، قال ابن مسعود : لا يقل أحدكم : أعوذ بالله من الفتن ، ولكن ليقل : أعوذ بالله من مضلات الفتن . ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] [١] .

يشير إلى أنه لا يستعاذ من المال والولد وهما فتنة .

وفي المسند أن النبي ﷺ أمر أم سلمة أن تقول : «**اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أبقيتني**» [٢] .

وقد جعل النبي ، النساء والأموال فتنة ، ففي الصحيح عنه ﷺ قال : «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» [٣] .

وفيه أيضا [٤] أنه ﷺ قال : «**والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم**» .

= وأخرجه الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين : ق ٤٩٦) من طريق آخر عن أبي هريرة، وقال الهيثمي (١٠/ ٢٩٧) : « وفيه عبد العزيز بن حصين وهو ضعيف » . ا.هـ وأشار البيهقي إلى هذا الطريق ، وقال : « هذا إسناد ضعيف » . والحديث ضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٧٥) . قلت : وفيه عنعنة الحسن . وقد استفدت تخريج هذا من الشيخ جاسم الدوسري حفظه الله .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٨٩٣١) .
قال الهيثمي (٧/ ٢٢٠) : « إسناده منقطع ، وفيه المسعودي وقد اختلط » .

(٢) قطعه من حديث أخرجه أحمد (٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) عن أم سلمة .
قال الهيثمي (٧/ ٢١١) : « وفيه شهر وقد وثّق وفيه ضعف » .
وقال أيضًا (١٠/ ١٧٦) : « إسناده حسن » .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد .

(٤) أخرجه البخاري (٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١) عن عمرو بن عوف .

وفي صحيح مسلم [1] عنه ﷺ قال : « اتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

وفي الترمذي [2] أنه ﷺ قال : « لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال» .

وقد قال الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان: ٢٠] ، فالرجل فتنة للمرأة ، والمرأة فتنة للرجل ، والغني فتنة للفقير ، والفقير فتنة للغني ، والفاجر فتنة للبر، والبر فتنة للفاجر ، والكافر فتنة للمؤمن ، والمؤمن فتنة للكافر قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال عز وجل : (ق/ ٢٦ ب) ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فجعل كل ما يصيب الإنسان من شر أو خير فتنة ، يعني أنه محنة يمتحن بها ، فإن أصيب بخير امتحن به شكره ، وإن أصيب بشر امتحن به صبره .

وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء ، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بُلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر [3] .

وقال بعضهم : فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر ، ولا يصبر على فتنة السراء إلا صِدِّيق .

ولما ابتلي الإمام أحمد بفتنة الضراء صبر ولم يجزع ،وقال : كانت زيادة في إيماني . فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وتمنّى الموت صباحًا ومساء ، وخشي أن يكون نقصًا في دينه .

ثم إن المؤمن لابد أن يفتن بشيء من الفتن المؤلمة الشاقة عليه ليمتحن إيمانه كما قال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

---

(١) برقم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري .

(٢) برقم (٢٣٣٦) وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥١٩) ، والترمذي (٢٤٦٤) وحسنه ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٠) .

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، ولكن الله يلطف بعباده المؤمنين في هذه الفتن ، ويصبرهم عليها ، ويثيبهم فيها ، ولا يلقيهم في فتنة مضلة مهلكة تذهب بدينهم، بل تمر عليهم الفتن وهم فيها في عافية .

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر مرفوعًا : « **إن لله ضنائن** [1] **من عباده يغذوهم في رحمته ، ويحييهم في (عافية)** [*] **، ويتوفاهم إلى جنته ، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم ، وهم (فيها)** [**] **في عافية** » [2] .

والفتن الصغار التي يُبتلى بها المرء في أهله وماله وولده وجاره تكفِّرها الطاعات من الصلاة والصيام والصدقة كذا جاء في حديث حذيفة [3] .

وروي عنه أن سأل النبي ﷺ قال : إن في لساني ذربًا ، وإن عامة ذلك على أهلي . فقال له: « **أين أنت من الاستغفار** »؟! [4] .

وأما الفتن المضلة التي يخشى منها فساد الدين فهي التي يُستعاذ منها ، ويسأل الموت قبلها ، فمن مات قبل وقوعه في شيء من هذه الفتن فقد حفظه الله

(١) أي : خصائص ، واحدهم ضنينة من الضنّ ، وهو ما تختصه لنفسك (النهاية : ٣/ ١٠٤) .

(*) عافيته : « نسخة » .

(**) عنها : « نسخة » .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٤٢٥) والأوسط (٦٣٦٩) ، والعقيلي (٤/ ١٥٢) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦) عن ابن عمر ، وفي إسناده مسلم بن عبد الله ، قال العقيلي : « مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ » وقال : « والرواية في هذا الباب فيها لين » .

وقال الذهبي في الميزان (٤/ ١٠٥) : « لا يعرف ، والخبر منكر » .

وقال الهيثمي (١٠/ ٢٦٦): « وفيه مسلم بن عبد الله الحمصي ، ولم أعرفه . وقد جهله الذهبي ، وبقية رجاله وثقوا » ا. هـ.

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢) والدارمي (٢/ ٣٠٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٤٨ - ٤٥٣) وابن ماجه (٣٨١٧) عن حذيفة قال البوصيري في زوائده : « في إسناده أبو المغيرة البجلي مضطرب الحديث عن حذيفة ، قاله الذهبي في الكاشف » .

وحماه .

وفي المسند عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ (ق/ ١٢٧) قال : « **اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت ، والموت خيرٌ للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب** » [١] .

قوله ﷺ : « **وأسألك حبك ،وحب من يحبك ، وحب العمل الذي يبلغني حبك** » : هذا الدعاء يجمعُ كل خير ، فإن الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ عن محبة وإرادة ، فإن كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه ، فأحبَّ ما يحبه الله من الأعمال والأقوال كلها ، ففعل حينئذ الخيرات كلها وترك المنكرات كلها ، وأحب من يحبه الله من خلقه ، وهذا الدعاء كانت الأنبياء عليهم السلام تدعوا به كما في الترمذي[٢] عن النبي ﷺ « **أن داود عليه السلام كان يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يبلغني إلى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد** » .

وفيه أيضًا [٣] أن النبي ﷺ كان يدعو : « **اللهم ارزقني حبك ، وحب من يحبك، وحب عمل يبلغني إلى حبك ، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغًا لي فيما تحب** » .

وفي حديث مرسل خرَّجه ابن أبي الدنيا وغيره أن النبي ﷺ كان يقول : «**اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليَّ ، وخشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٧ ، ٤٢٨) والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٧) عن محمود ابن لبيد ، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٥٧) « رواه أحمد بإسنادين ، رواة أحدهما محتج بهم في الصحيح » .ا.هـ.

(٢) برقم (٣٤٩٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٣) برقم (٣٤٩١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

فاقرر عيني من عبادتك»[1].

ومن كان همه طلب محبة الله أعطاه الله فوق ما يريده من الدنيا تبعًا .

قال بعض السلف : لما توفي داود عليه السلام أرسل الله إلى سليمان عليه السلام : ألك حاجة تسألني إياها ؟

فقال سليمان : اسأل الله أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه، وأن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه . فشكر الله له ذلك وأعطاه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده.

ومحبة الله على درجتين :

إحداهما : واجبة ، وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات ، وكراهة ما يكرهه من المحرمات ، فإن المحبة التامة (ق/ ٢٧ب) تقتضي الموافقة (لمن يحبه) (*) في محبة ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه خصوصًا فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه فلا تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبوب من محبه ، وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبه .

وسُئل بعض العارفين عن المحبة ، فقال : الموافقة في جميع الأحوال . وأنشد :

ولو قلت لي مت مت سمعًا وطاعة
وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبًا

وأنشد آخر منهم :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ومتى أخلّ العبد ببعض الواجبات ، أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٨٢) عن الهيثم بن مالك الطائي مرسلاً .
(*) للمحبوب : « نسخة » .

غير تامة ، فالواجب عليه المبادرة بالتوبة ، والاجتهاد في تكميل المحبة المُفضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها ، وهذا معنى قول النبي ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » [1] .

فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله ، وكراهة ما يكرهه ، والعمل بمقتضى ذلك ، فلا يرتكب أحد شيئًا من المحرمات أو يخل بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه .

الدرجة الثانية من المحبة : درجة المقربين ، وهي أن يمتليء القلبُ بمحبة الله حتى توجب له محبة النوافل ، والاجتهاد فيها ، وكراهة المكروهات ، والانكفاف عنها ، والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب، كما قال عامر بن قيس : أحببت الله حبًّا هوَّن عليَّ كلَّ مصيبة ، ورضَاني بكل بلية ، فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت ولا على ما أمسيت.

وقال عمر بن عبد العزيز لما مات ولده الصالح : إن الله أحب قبضه ، وإني أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور يخالف محبة الله .

وكان (ق/ ١٢٨) يقول : إذا أصبحت فمالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر .

وأنشد بعضهم :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
إن كان سركم ما قد بليت به فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وحسب سلطان الهوى أن يلذ فيه كل ما يؤلم

كان عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول : اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة .

أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت ، ولو أعلم أنه أرضى لك أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت ، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت ، وإني لا أقول هذا إلا أريد وجهك ، وأنا أرجو أن لا تخيّبني وأنا أريد وجهك [1] .

وقُتل لبعض الصالحين ولدان في الجهاد ، فعزّاه الناس فيهما فبكى وقال : ما أبكي لفقدهما ، إنما أبكي كيف كان رضاهما عن الله حيث أخذتهما السيوف . وكان بعض العارفين يطوف بالبيت ، فهجمت القرامطة على الناس فقتلوهم في الطواف ، فوصلوا إليه فلم يقطع الطواف حتى سقط من ضرب السيوف صريعًا فأنشد :

ترى المحبين صرعى في ديارهم　　كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

أقل ثمن المحبة بذل الروح :

بدم المحب يباع وصلهم　　فمن الذي يبتاع بالثمن

قال بعض العارفين : إن كنت تسمح ببذل روحك في هذه الطريق ،وإلا فلا تشتغل بالترهات :

خاطر بروحك في هوانا واسترح　　إن شئت تحظى بالمحلِّ الأعظم

لا يشغلَنَّك شاغل عن وصلنـــا　　وانهض على قدم الرجاء وقدّم

ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم ، وهي محبة ما يحبه الله عزوجل من الأشخاص والأعمال ، وكراهة ما يكرهه من ذلك ، سأل النبي ﷺ الله مع محبته محبة شيئين آخرين .

أحدهما : محبة من يحب ما يحبه الله تعالى .

فإن من أحبَّ الله أحبَّ أحبَّاءه فيه ووالاهم ، وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٢ ـ ١٤٣) عن عمار بنحوه .

أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ...» [(1)] . (ق/ ٢٨ب) الحديث .

وأعظم من تجب محبته في الله أنبياؤه ورسله ، وأعظمهم نبيه محمد ﷺ الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته ، وجعل متابعته علامةً لصحة محبته كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة: ٢٤].

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين : من الرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم ، والشدة على الكافرين : من البغض لهم والجهاد في سبيله ، فقال تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

والثاني : محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه .

وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله إنما تُنال (بطاعته) [(*)] وبفعل ما يحبه ، فإذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقّاه إلى درجة محبته كما في الحديث الإلهي الذي خرَّجه البخاري : « **وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه** » [(2)] .

فأفضل ما استجلبت به محبة الله فعلُ الواجبات ، وتركُ المحرَّمات ، ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار .

---

(١) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) عن أبي هريرة .

(*) بطاعة الله : « نسخة » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة .

وسئل ذو النون : متى أحب ربي ؟

قال : إذا كان ما يكرهه عندك أمرَّ من الصبر .

ثم بعد ذلك الاجتهاد في نوافل الطاعات ، وتركُ دقائق المكروهات والمشتبهات .

ومن أعظم ما تحصل به محبة الله من النوافل : تلاوة القرآن ، وخصوصًا مع التدبر ، قال ابن مسعود : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله .

ولهذا قال النبي ﷺ (ق/ ١٢٩) لمن قال : إني أحب سورة (قل هو الله أحد) لأنها صفة الرحمن . فقال : « أخبروه أن الله يحبه » [(١)] .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : لما قدم النبي ﷺ المدينة خطب ، فقال في خطبته : « إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من الأحاديث ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم » [(٢)] .

وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ثم فتر عن ذلك فرأى في المنام قائلاً يقول له :

إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي

أما تدبّرت مـا فيـ ـه من لطيف عتابي

فاستيقظ وعاد إلى تلاوته .

ومن الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) عن عائشة .

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلا .

قال بعضهم : ما أدمن أحد ذكر الله إلا وأفاد منه محبة الله .

وقال ذو النون : من أدمن ذكر الله قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه .

وقال بعض التابعين : علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره .

وقال فتح الموصلي : المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين .

المحبون إن نطقوا نطقوا بالذكر ، وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر :

فإن نطقتُ فلم ألفظ بغيركم   وإن سكتُ فأنتم عقد إضماري

ومن علامات المحبين لله وهو مما يحصل به المحبة أيضًا حب الخلوة بمناجاة الله تعالى ، وخصوصًا في ظلمة الليل :

الليل لي ولأحبابي (أحادثهم) (*)   وأنتجيهم لي يسمحوا بوصالي

قال الفضيل : يقول الله عز وجل : كذب من ادعى محبتي فإذا جنَّه الليل نام عني ، أليس كل (حبيب) (**) يحب خلوة حبيبه ، ها أنا مطَّلع على أحبابي إذا جنَّهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم ، ومثلت نفسي بين أعينهم [1] ، فخاطبوني على المشاهدة ، وكلموني على حضوري ، غدًا أقر عين أحبابي في جناني :

(ق/ ٢٩ ب) تنام عيناك وتشكوا الهوى   لو كنت صبًّا لم تكن نائمًا

قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل ، كلما هب عليها نسيمُ السحر التهبت،

يذكرني مرّ النسيم عهودكـــم   فأزداد شوقًا كلما هبت الريح

(*) أسامرهم : « نسخة » .

(**) محب : « نسخة » .

(١) قال الشيخ جاسم الدوسري : تعالى الله عز وجل عن مثل هذا الكلام ، ولا أدري كيف يصبح القول على الله بهذه السهولة واليسر نسأل الله السلامة .

أراني إذا ما أظلم الليل أَشْرَقَتْ بقلبي من نار الغرام مصـابيح

كلما جنَّ الغاسق حَنَّ العاشق :

لو أنك أبصرت أهل الهوى إذا غابت الأنجم الطلـع

فهـذا ينوح على ذنـــبه وهذا يصلي وذا يركـع

من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذي أبكاهم ، ومن لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذي آلم قلب يعقوب .

[وسُئل السري السقطي عن حاله فأنشد:] (*) .

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

أين رجال الليل ؟! أين ابن أدهم والفضيل ؟! ذهب الأبطال وبقي كل بطال، يا من رضي من الزهد بالزي ، ومن الفقر بالاسم ، ومن التصوف بالصوف، ومن التسبيح بالسبح ، أين فضل الفضيل ؟! أين جد الجنيد ؟! أين سر السري ؟! أين بشر بشر ؟! أين همة ابن أدهم ؟! ويحك إن لم تقدر على معرفة معروف فاندب على ربع رابعة

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانـــوا

ناديتُ وفي حشاشتي نيران يا دار متى تحوَّل السكان؟!

يا من كان له قلب فانقلب ، يا من كان له وقت مع الله فذهب ، قيام الأسحار يستوحش لك ، صيام النهار يسأل عنك ، ليالي الوصال تعاتبك على انقطاعك :

تشاغلتم عنا بصحبـــة غيرنـــا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنـــا

وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوى فقد وحياة الحبِّ حلتم وما حلنا (١٣٠

ليالي كنا نجتني من ثمـــاركـــم فقلبي إلى تلك الليالي لقـد حنّا

(*) من المطبوع .

إخواني ! مجالسُ الذكر شراب المحبين ، وترياق المذنبين ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠]، مجالس الذكر مآتم الأحزان ، فهذا يبكي لذنوبه ، وهذا يندب لعيوبه وهذا يتأسف على فوات مطلوبه ، وهذا يتلهف لإعراض محبوبه ، وهذا يبوح بوجده ، وهذا ينوح على (فقده) (*) .

ما أذكر عيشنا الذي قد سلفا إلا وجف القلبُ وكم قد وجفا

واهًا لزماننا الذي كان صفا واأسفًا وهل يَرُدُّ فائتًا واأسفا

يا ليتنا بزمزم والحجر (يا حيرتنا) (**) قُبيل يوم النَّفر

هل يرجع صفو ما مضى من عمري أدري ما كان ليتني لا أدري

كأني أرى الخلع خُلعت على المقبولين ، كأني أرى الملائكة تصافح التائبين ، تعالوا نبكي على المطرودين :

ما زالت دهراً (للقلى) (***) متعرضا ولطالما قد كنت عنا معرضا

جانبتنا دهراً فلما لم تجد عوضًا سوانا صرت تبكي ما مضى

لو كنت لازمت الوقوف ببابنا للبست من إحساننا خلع الرضا

لكن تركت حقوقنا وهجرتنا فلذاك ضاق عليك متسع الفضا

تم الكتاب بحمد الله

وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

(*) بعده : « نسخة » .

(**) نرى حيرتنا : « نسخة » .

(***) للرضا : « نسخة » .



التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال شيخنا ، الشيخ الإمام العالم العلامة ، شيخ الإسلام ، أوحد الأعلام ، بركة الأنام ؛ حافظ مصر والشام ، أبو الفرج عبد الرحمن زين الدين ابن رجب البغدادي الحنبلي ، فسح الله في مدته :

الحمد لله العزيز المجيد ، ذي البطش الشديد ، المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد ، المكرم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد ، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود : ١٠٥] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] .

أحمده وهو أهل الحمد والثناء والتمجيد ، وأشكره ، ونعمه بالشكر تدوم وتزيد .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، ولا كفو ولا عدل ولاضد ولا نديد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد ، الساعي بالنصح إلى القريب والبعيد ، المحذر للعاصين من نار تلظى بدوام الوقيد ، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال على كر الجديدين في تجديد، وسلم تسليمًا .

أما بعد ، فإن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ، ولهذا (أكثر) (*) سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال ، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال ، إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال ، ودعا عباده بذلك إلى خشيته

(*) في حاشية الأصل ، كرر : « نسخة » .

وتقواه، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه ، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب ، وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب ، وكذلك سيرة السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات ، وأن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات ، من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال والمكروهات فضلاً عن المحرمات ، ولهذا قال بعض السلف :

خوف الله تعالى حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا وعوارض الشبهات .

وقد ضمن الله سبحانه الجنة لمن خافه من أهل الإيمان ، فقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

قال : مجاهد : في هذه الآية الله قائم على كل نفس بما كسبت ، فمن أراد أن [ق/٢ب] يعمل شيئًا فخاف مقام ربه عليه فله جنتان .

وعنه أنه قال : هو الرجل يذنب فيذكر مقام الله فيدعه .

وعنه قال : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيتركها .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وأدوا فرائضه الجنة [1] .

وعن الحسن ، قال قالت الجنة : يا رب لمن خلقتني ، قال : لمن يعبدني وهو يخافني .

وقال يزيد بن عبد الله بن الشخير : كنا نحدث أن صاحب النار الذي لا تمنعه مخافة الله من شيء خفي له .

وعن وهب بن منبه ، قال : ما عبد الله بمثل الخوف .

وقال أبو سليمان الداراني : أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزّ وجلّ ، وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب .

---

(١) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٢٧ / ١٤٥ ـ حلبي) .

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أنه ضرب لخوف الله مثل في الجسد، قيل : إنما مثل خوف الله كمثل الرجل يكون في منزله فلا يزال عامراً ما دام فيه ربه ، فإذا فارق المنزل ربه وسكنه غيره خرب المنزل ، وكذلك خوف الله تعالى إذا كان في الجسدِ لم يزل (معموراً) (*) ما دام فيه خوف الله ، فإذا فارق خوف الله الجسد خرب ، حتى إن المار يمر في المجلس من الناس فيقولون : بئس العبد فلان، فيقول بعضهم لبعض : ما رأيتم منه ، فيقولون : ما رأينا منه شيئًا إلا أنا نبغضه ، وذلك أن خوف الله تعالى فارق جسده ، وإذا مر بهم الرجل فيه خوف الله ، قالوا: نِعْمَ والله الرجل ، فيقولون : أي شيء رأيتم منه : فيقولون : ما رأينا منه شيئًا غير أنا نحبه ، وذلك أن خوف الله سكن قلبه .

وقال الفضيل بن عياض : الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا ، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل .

وسئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتل في سبيل الله عزّ وجلّ ، قال : أحَبهما إليّ أخوفهما .

وقد استخرت الله تعالى في جمع كتاب أذكر فيه صفة النار ، وما أعد الله فيها لأعدائه من الخزي والنكال والبوار ، ليكون بمشيئة الله قامعًا للنفوس عن غيّها وفسادها ، وباعثًا إلى المسارعة إلى فلاحها وإرشادها فإن النفوس ولا سيما في هذه الأزمان قد غلب عليها الكسل والتواني ، واسترسلت في شهواتها وأهوائها وتمنت علي الله الأماني ، والشهوات لا يذهبها من القلوب إلاأحد أمرين ، إما خوف مزعج محرق ، أو شوق مبهج مقلق ، وسميته « **كتاب التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار** » وقسمته ثلاثين بابًا ، والله المسؤول أن يجيرنا من النار، وأن يجعل بيننا وبينها حجابًا بمنه وكرمه .

الباب الأول : في ذكر الإنذار بالنار والتحذير منها .

الباب الثاني : في الخوف من النار وأحوال الخائفين .

الباب الثالث [ق/ ١٣] : في ذكر تخويف جميع أصناف الخلق بالنار وخوفهم منها .

(*) في حاشية الأصل ، عامراً : « نسخة » .

الباب الرابع : في أن البكاء من خشية النار ينجي منها ، وأن التعوذ بالله من النار يوجب الإعاذة منها .

الباب الخامس : في ذكر مكان جهنم .

الباب السادس : في ذكر طبقاتها وأدراكها وصفتها .

الباب السابع : في ذكر قعرها وعمقها .

الباب الثامن : في ذكر أبوابها وسرادقها .

الباب التاسع : في ذكر ظلماتها وشدة سوادها .

الباب العاشر : في ذكر شدة حرها وزمهريرها .

الباب الحادي عشر : في ذكرسجر جهنم وتسعرها .

الباب الثاني عشر : في ذكر تغيظها وزفيرها .

الباب الثالث عشر : في ذكر دخانها وشررها ولهبها .

الباب الرابع عشر : في ذكر أوديتها وجبالها وآبارها وعيونها وأنهارها .

الباب الخامس عشر : في ذكر سلاسلها وأغلالها وأنكالها .

الباب السادس عشر : في ذكر حجارتها .

الباب السابع عشر : في ذكر حياتها وعقاربها .

الباب الثامن عشر : في ذكر طعام أهل النار وشرابهم فيها .

الباب التاسع عشر : في ذكر كسوة أهل النار ولباسهم .

الباب العشرون : في ذكر عظم خلق أهل النار فيها وقبح صورهم وهيآتهم .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر أنواع عذاب أهل النار ، وتفاوتهم في العذاب بحسب أعمالهم .

الباب الثاني والعشرون : في ذكر بكائهم ، وزفيرهم وشهيقهم ، وصراخهم، وعويلهم الذي لا يستجاب لهم .

الباب الثالث والعشرون : في ذكر نداء أهل النار أهل الجنة ، وأهل الجنة أهل النار ، وكلام بعضهم بعضًا .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر خزنة جهنم وزبانيتها .

الباب الخامس والعشرون : في ذكر مجيء النار يوم القيامة وخروج عنق منها يتكلم .

الباب السادس والعشرون : في ضرب الصراط على متن جهنم ومرور الموحدين عليه .

الباب السابع والعشرون : في ذكر ورود النار .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر حال الموحدين في النار وخروجهم منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر أكثر أهل النار .

الباب الثلاثون : في ذكر صفات أهل النار وأصنافهم وأقسامهم .

***

الباب الأول
في ذكر الإنذار بالنار والتحذير منها

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ [ق/ ٣ب] غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣١] .

وقال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ [الليل : ١٤] .

وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [الزمر : ١٦] .

وقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر : ٣١ ـ ٣٧] .

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ قال: والله ما أنذر العباد بشيء قط أدهى منها، خرجه ابن أبي حاتم.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ يعني النار.

وروى سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أنذرتكم النار أنذرتكم النار

حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، حتى وقعت خميصة[1] **كانت على عاتقه عند رجليه»** . خرجه الإمام أحمد[2] .

وفي رواية له أيضًا[3] عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« أنذرتكم النار، أنذرتكم النار حتى لو كان رجل في أقصى السوق لسمعه، وسمع أهل السوق صوته وهو على المنبر»** .

وفي رواية له[4] عن سماك قال: سمعت النعمان يخطب وعليه خميصة، فقال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **« أنذرتكم النار، أنذرتكم النار فلو أن رجلاً بموضع كذا وكذا سمع صوته»**.

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« اتقوا النار»** قال: وأشاح، ثم قال: **« اتقوا النار »** ، ثم أعرض وأشاح ثلاثًا، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: **« اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»**، خرجاه في الصحيحين[5] .

وخرج البيهقي[6] بإسناد فيه جهالة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: **« يا معشر المسلمين ارغبوا فيما رغبكم الله فيه، واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه، ومن جهنم، فإنها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلَّتها لكم، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خَبَّثَتْهَا عليكم »** .

---

(١) هي ثوب خز أو صوف مُعلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة ، وكانت من لباس الناس قديمًا .

(٢) (٤ / ٢٧٢) .

(٣) (٤ / ٢٧٢) .

(٤) في المسند (٤ / ٢٦٨) .

(٥) أخرجه البخاري (١٤١٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٦) في « البعث والنشور » (٥٤٦) .

وفي الصحيحين [1] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إنما مثلي ومثل أمتي، كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها**» .

وفي رواية لمسلم[2] : « **مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها** ».

وفي رواية للإمام أحمد [3] : « **مثلي ومثلكم** [ق/ ١٤] **- أيتها الأمة - كمثل رجل أوقد ناراً بليل، فأقبلت إليها هذه الفراش والذباب التي تغشى النار، فجعل يذبها ويغلبنه إلا تقحماً في النار، وأنا آخذ بحجزكم أدعوكم إلى الجنة وتغلبوني إلا تقحماً في النار** ».

وخرج الإمام أحمد [4] أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن الله لم يحرم حرامه إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع، ألا وإني آخذ بحجزكم [أن تهافتوا في النار، كتهافت الفراش والذباب**».

وخرج البزار [5] والطبراني [6] من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **أنا آخذ بحجزكم]** [*] **فاتقوا النار، اتقوا النار، اتقوا الحدود، فإذا**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٦) ، ومسلم (٢٢٨٤) .

(٢) برقم (٢٢٨٤ / ١٨) من كتاب الفضائل بتبويب النووي .

(٣) (٢ / ٥٣٩ ـ ٥٤٠) .

(٤) (١ / ٣٩٠) .

(*) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، واستدركته من المطبوع .

(٥) برقم (٢٠٩ ـ زوائد ابن حجر) وقال : لا نعلم رواه عن عبد الملك عن أبيه إلا ليث، وهو ضعيف .

(٦) في المعجم الكبير (١٢ / ١٢٥٠٨) والأوسط (٢٨٧٤) قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث إلا عبد الواحد . وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ٢٥٤) : وفيه ليث بن أبي سليم ، والغالب عليه الضعف . =

مت تركتكم، وأنا فرطكم على الحوض، فمن ورد فقد أفلح ؟ فيؤتي بأقوام ويؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: رب أمتي ! فيقول: إنهم لم يزالوا بعدك يرتدون على أعقابهم » .

وفي رواية للبزار [1] قال: « وأنا آخذ بحجزكم أقول: إياكم وجهنم، إياكم والحدود، إياكم وجهنم، إياكم والحدود، إياكم وجهنم، إياكم والحدود » ، وذكر بقية الحديث.

وفي صحيح مسلم [2] عن أبي هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: « يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا » .

وخرج الطبراني [3] وغيره من طريق يعلى بن الأشدق عن كليب بن حزن، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات، فلا تُلْهِيَنَّكُم عن الآخرة » .

= وعزاه الهيثمي (١٠ / ٣٦٤) لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، قال الهيثمي : وفي إسناده عندهم ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجالهم ثقات .

(١) برقم (١٥٣٦ ـ كشف) .

(٢) برقم (٢٠٤) ، وكذا البخاري (٤٧٧١) بنحوه .

(٣) في المعجم الكبير (١٩ / ٤٤٩) بمثله ، وفي الأوسط (٣٦٤٣) إلى قوله : «هاربها» .

قال الطبراني : لم يسند كليب بن حزن عن رسول الله ﷺ حديثًا غير هذا ، ولا يُروى عنه إلا بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٣٠) : وفيه يعلى بن الأشدق وهو ضعيف جداً .

ويروى هذا الحديث أيضًا عن يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد عن النبي ﷺ.

وأحاديث يعلى بن الأشدق باطلة منكرة.

وخرج الترمذي [1] من حديث يحيى بن [عبيد] [*] الله عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها** » .

ويحيى هذا ضعفوه .

وخرجه ابن مردويه من وجه آخر أجود من هذا إلى أبي هريرة.

وخرج الطبراني [2] نحوه بإسناد فيه نظر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وخرجه ابن عدي [3] بإسناد ضعيف عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد: كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها، وعجبت من النار

---

(١) برقم (٢٦٠١) وقال الترمذي : هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، ويحيى بن عبيد الله ضعيف عند أكثر أهل الحديث ، تكلم فيه شعبة ، ويحيى بن عبيد الله هو ابن مَوْهَبٍ وهو مدني .

(*) في الأصل والمطبوع : « عبد » ، والتصويب من سنن الترمذي .

(٢) في الأوسط (١٦٣٨) وقال الطبراني عن هذا الحديث والذي قبله : لم يرو هذين الحديثين عن قتادة إلا همام ، تفرد بهما محمد بن مصعب .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٠) : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن.

(٣) في الكامل (٦ / ٤٥٤ ـ علمية) في ترجمة أبي طيبة عيسى بن سليمان وقال ابن عدي بعد إيراده عدة أحاديث في الترجمة : وهذه الأحاديث لكرز بن وبرة يرويها عنه أبو طيبة وهي كلها غير محفوظة ، وأبو طيبة هذا كان رجلاً صالحًا ، ولا أظن أنه كان يتعمد الكذب ، ولكنه لعله كان يشبه عليه فيغلط .

كيف [ق/ ٤ب] نام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الآية [الأعراف : ٩٧، ٩٨] [١] .

وقال أبو الجوزاء: لو وليت من أمر الناس شيئًا اتخذت مناراً على الطريق وأقمت عليها رجالاً ينادون في الناس: النار النار. خرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد.

وخرج ابنه عبد الله في هذا الكتاب أيضًا بإسناده عن مالك بن دينار، قال: لو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها : يا أيها الناس النار النار.

وفي رواية أخرى عنه قال : لو وجدت أعوانًا لناديت في منار البصرة بالليل: النار النار .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢ / ١١٩) .

الباب الثاني
في ذكر الخوف من النار وأحوال الخائفين

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ إلى قوله : ﴿ اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ ـ ٦٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج : ٢٧ ـ ٢٨] .

وقال: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٤ ـ ١٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور : ٢٥ ـ ٢٧] .

قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ [فاطر: ٣٤] .

وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿**إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ** ﴾ [الطور : ٢٦] .

وقد كان النبي ﷺ كثيراً يستعيذ من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها، والأحاديث في ذلك كثيرة .

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: « **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » أخرجه البخاري [١] .

وفي كتاب النسائي [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من حر جهنم** » .

وفي سنن أبي داود [٣] وابن ماجه [٤] عن جابر [ق/ ١٥] أن النبي ﷺ قال لرجل : «**كيف تقول في الصلاة ؟** قال : أتشهد، ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ : « **حولها ندندن** » .

وخرجه البزار [٥] ولفظه « **وهل أدندن أنا ومعاذ إلا لندخل الجنة ونعاذ من النار**».

---

(١) برقم (٤٥٢٢) ، وكذا مسلم (٢٦٩٠) .

(٢) في المجتبى (٨ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩) بلفظ : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم » .

(٣) برقم (٧٩٢ ، ٧٩٦) .

(٤) برقم (٩١٠) قال في الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(٥) أورده الهيثمي في المجمع (٢ / ١٣٣) وقال : لجابر حديث في هذا رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا معاذ بن عبد الله بن حبيب ، وهو ثقة لا كلام فيه .

وفي مسند الإمام أحمد [١] بإسناد منقطع عن سليم الأنصاري: أن النبي ﷺ قال له: « **يا سليم ماذا معك من القرآن** ؟ قال: إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « **وهل تصير دندنتي ودندنة [٢] معاذ إلا أن نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار؟** !».

وروينا من حديث سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إنما يدخل الجنة من يرجوها، ويجنب النار من يخافها، وإنما يرحم الله من يرحم** » .

وخرجه أبو نعيم [٣] ، وعنده: « **إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» وقال: غريب من حديث زيد مرفوعًا متصلاً، تفرد به حفص، ورواه ابن عجلان عن زيد مرسلاً، انتهى، والمرسل أشبه.

وقال عمر: لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو. خرجه أبو نعيم [٤] .

وخرج الإمام أحمد [٥] من طريق عبد الله الرومي قال: بلغني أن عثمان، رضي الله عنه قال: لو أني بين الجنة والنار - ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي - لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

❃❃❃

---

(١) (٥ / ٧٤) .

(٢) الدندنة : أن يتكلم الرجل بالكلام يُسمع نَغْمَته ولا يُفْهَم ، وهو أرفع من الهينمة قليلاً، والمعنى : أي حولها ندندن وفي طلبها . (انظر « النهاية » مادة : « دندن » .

(٣) في « الحلية » (٣ / ٢٢٥) .

(٤) في « الحلية » (١ / ٥٣) .

(٥) في « الزهد » ص ١٦٠ .

فصل
[الخوف من عذاب جهنم لا يخرج عنه أحد]

والخوف من عذاب جهنم لا يخرج عنه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ . [الإسراء : ٣٩] .

وقال في حق الملائكة المكرمين: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٢٩] .

وثبت من حديث عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة، قال: « **فيأتون آدم**» وذكر الحديث، وقال: « **فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه أمرني بأمر فعصيته، فأخاف أن يطرحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي**».

وذكر في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى مثل ذلك، كلهم يقول: **إني أخاف أن يطرحني في النار** . خرجه ابن أبي الدنيا [(١)] عن أبي خيثمة، عن جرير، عن عمارة به.

وخرجه مسلم في « صحيحه » [(٢)] عن أبي خيثمة إلا أنه لم يذكر لفظه بتمامه.

---

(١) وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢ / ٤٣٥) والترمذي (٢٤٣٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٠ / ٤٥١) .
(٢) برقم (١٨٢) .

[ق/ ٥ب] وخرجه البخاري [1] من وجه آخر بغير هذا اللفظ.

ولم يزل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون يخافون النار ويخوفون منها.

فأما ما يذكر عن بعض العارفين من عدم خشية النار فالصحيح منه له وجه، سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال ابن المبارك : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن هرمز، سمعت وهب بن منبه يقول: قال حكيم من الحكماء : إني لأستحيي من الله أن أعبده رجاء ثواب الجنة فأكون كالأجير السوء، إن أعطي عمل، وإن لم يعط لم يعمل، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار، أي قط، فأكون كالعبد السوء، إن رهب عمل وإن لم يرهب لم يعمل، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره. خرجه أبو نعيم بهذا اللفظ .

وفي تفسير لهذا الكلام من بعض رواته، وهو أنه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده، وهذا حسن.

وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن، وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا بد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان.

وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء.

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله : المحبة أفضل من الخوف، ثم استشهد بكلام هذا الحكيم الذي حكاه عنه وهب .

وكذا قال يحيى بن معاذ قال: حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب، ولا

(١) برقم (٧٤٣٧) .

حَسْبَ من الحب أبداً.

فأما الخوف والرجاء، فأكثر السلف على أنهما يستويان، لا يرجح أحدهما على الآخر، قاله مطرف والحسن والإمام أحمد وغيرهم.

ومنهم من يرجح الخوف على الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني.

ومن هذا قول حذيفة المرعشي: إن عبداً يعمل على خوف لعبد سوء، وإن عبداً يعمل على رجاء لعبد سوء، فكلاهما عندي سواء.

ومراده إذا عمل على إفراد أحدهما عن الآخر.

وقال وهيب بن الورد: لا تكونوا كالعامل، يقال له: تعمل كذا وكذا، فيقول: نعم إن أحسنتم لي من الأجر، ومراده: ذم من لا يلاحظ بالعمل إلا الأجر.

وهؤلاء العارفون لهم ملحظان:

أحدهما: أن الله تعالى يستحق لذاته أن يطاع ويحب، ويبتغى قربه والوسيلة إليه مع قطع النظر عن كونه يثيب عباده أو يعاقبهم، كما قال القائل: [ق/١٦]

هب البعثَ لم تأتنا رسله ... وجَاحِمَةُ النار لم تُضْرِمِ

أليس من الواجب المُسْتَـ ... ـحِقِّ حياءُ العبادِ من المُنْعِمِ

وقد أشار هذا إلى أن نعمه على عباده تستوجب منهم شكره عليها وحياءهم منه.

وهذا هو الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم لما قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» (١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧) ، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة . وأخرجه البخاري (١١٣٠) ، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة .

والملحظ الثاني: أن أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق تعالى ـ كما تقدم ـ ، دون ما تعلق بالمخلوقات في الجنة والنار، فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه، كما قدم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صليهم النار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ [المطففين : ١٥ ـ ١٦].

وقال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي، كما أن أعلى الرجاء ما تعلق بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته ومشاهدته وقربه، ولكن قد يغلط بعض الناس في هذا، فيظن أن هذا كله ليس بداخل في مسمى نعيم الجنة ولا في مسمى الجنة إذا أطلقت، ولا في مسمى النار ولا في مسمى عذاب النار إذا أطلقت، وليس كذلك.

ويقي ههنا أمر آخر، وهو أن يقال: ما أعده الله في جهنم من أنواع العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة لا يخافها العارفون، كما أن ما أعده الله في الجنة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون ولا يطلبونه.

وهذا أيضًا غلط، والنصوص الدالة على خلافه كثيرة جداًّظاهرة. وهو أيضًا مناقض لما جبل الله عليه الخلق من محبة ما يلائمهم وكراهة ما ينافرهم، وإنما صدر مثل هذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره واصطلامه واستغراقه وغيبة عقله، فظن أن العبد لا يبقى له إرادة أصلاً، فإذا رجع إليه عقله وفهمه علم أن الأمر على خلاف ذلك.

ونحن نضرب لذلك مثلاً يتضح به هذا الأمر إن شاء الله تعالى. وهو أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة واستدعاهم الرب سبحانه إلى زيارته ومشاهدته ومحاضرته يوم المزيد، فإنهم ينسون عند ذلك كل نعيم عاينوه في الجنة قبل ذلك، ولا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم سبحانه، ويحتقرون كل نعيم في الجنة حين ينظرون إلى وجهه جل جلاله، كما جاء ذلك في أحاديث يوم المزيد. فلو أنهم ذكروا حينئذ شيئًا من نعيم الجنة لأعرضوا عنه،

ولأخبروا أنهم لا يريدونه في تلك الحال، وكذلك لو خوفوا عذابًا ونحوه لم يلتفتوا إليه، وربما [ق/ ٦ ب] لم يستشعروا ألمه في تلك الحال، وإنما يحذرون حينئذ من الحجاب عما هم فيه والبعد عنه، فإذا رجعوا إلى منازلهم، رجعوا إلى ما كانوا عليه من التنعم بأنواع النعيم المخلوق لهم، بل يزداد نعيمهم بذلك مع شدة شوقهم إلى يوم المزيد ثانيًا.

فهكذا أحوال العارفين الصادقين في الدنيا إذا تجلى على قلوبهم أنوار الإحسان واستولى عليها المثل الأعلى، فإن هذا من شواهد ما يحصل لهم في الجنة يوم المزيد، فهم لا يلتفتون في تلك الحال إلى غير ما هم فيه من الأنس بالله والتنعم بقربه وذكره ومحبته، حتى ينسوا ذكر نعيم الجنة، ويصغر عندهم بالنسبة إلى ما هم فيه، ولا يخافون حينئذ أيضًا غير حجبهم عن الله وبعدهم عنه وانقطاع مواد الأنس به، فإذا رجعوا إلى عقولهم، وسكنت عنهم سلطنة هذا الحال وقهره، وجدوا نفوسهم وإرادتهم باقية، فيشتاقون حينئذ إلى الجنة ويخافون من النار، مع ملاحظتهم لأعلى ما يشتاق إليه من الجنة ويخشى منه من النار.

وأيضًا، فالعارفون قد يلاحظون من النار أنها ناشئة عن صفة انتقام الله وبطشه وغضبه، والأثر يدل على المؤثر، فجهنم دليل على غضب الله وشدة بأسه وبطشه وقوة سلطنة سطوته وانتقامه من أعدائه، فالخوف منها في الحقيقية خوف من الله وإجلال له وإعظام وخشية لصفاته المخوفة، مع أنه سبحانه يخوف بها عباده، ويحب منهم أن يخافوه بخوفها، وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها، وأن يحذروه بالحذر منها، فالخائف من النار خائف من الله، متبع لما فيه محبته ورضاه والله أعلم.



فصل
[في القدر الواجب من الخوف]

والقدر الواجب من الخوف، ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط (*) في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محمودًا، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو همًّا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل، لم يكن ذلك محمودًا، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من شدة خوفه الذي أنساه القرآن، وصيره صاحب فراش، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدها سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن.

وقال سفيان بن عيينة: خلقت النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا. أخرجه أبو نعيم.

[ق/ ١٧] والمقصود الأصلي هو طاعة الله عز وجل وفعل مراضيه ومحبوباته وترك مناهيه ومكروهاته.

ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضًا، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عونًا على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه فقد انعكس المقصود منه. ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة، كان صاحبه معذورًا، وقد كان من السلف من

(*) في حاشية الأصل : « لعله : والتوسط » .

حصل له من خوف النار أحوال شتى، لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء، وربما اضطرب أو غشي عليه إذا سمع ذكر النار.

وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك شيء ، إلا أن إسناده ضعيف، فروى حمزة الزيات عن حمران بن أعين، قال: سمع رسول الله ﷺ قارئًا يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ⑫ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ [المزمل : ١٢ ـ ١٣] . فصعق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفي رواية فبكى حتى غشي عليه ﷺ. هذا مرسل وحمران ضعيف (*) .

ورواه بعضهم عن حمران عن أبي حرب بن أبي الأسود مرسلاً أيضًا. وقيل: إنه روي عن حمران عن ابن عمر ولا يصح.

وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾ [التحريم : ٦] ، تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه، فخر فتى مغشيًا عليه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك، فقال: رسول الله ﷺ: « يا فتى قل: لا إله إلا الله » فقالها فبشره بالجنة، فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ فقال: أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

وقد روي عن ابن أبي رواد عن عكرمة عن ابن عباس، وخرجه من هذا الوجه الحاكم [1] وصححه. ولعل المرسل أشبه.

وقال الجوزجاني في « كتاب النواحين » : حدثنا صاحب لنا عن جعفر بن سليمان عن لقمان الحنفي، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب ينادي في جوف الليل: واغوثاه من النار، فلما أصبح قال: « يا شاب لقد أبكيت

(*) في حاشية الأصل : « صوابه : ضعفوه » .

(١) في « المستدرك » (٢ / ٣٥١) .

البارحة أعين ملأ من الملائكة كثير » .

وقال سليمان بن سحيم: أخبرني من رأى ابن عمر يصلي وهو يترجح ويتمايل ويتأوه، حتى لو رآه غيرنا ممن يجهله لقال: لقد أصيب الرجل، وذلك لذكر النار إذا مر بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ ﴾ [الفرقان : ١٣] . ونحو ذلك أخرجه أبو عبيد.

وفي « كتاب الزهد » [1] للإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد [ق/ ١٧]: مالي أرى عينك لا تجف ؟ قال: وما مسألتك عنه ؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريًّا أن لا تجف لي عين، قلت له: فهكذا أنت في خلواتك ؟ قال: وما مسألتك عنه ؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع لي الطعام بين يدي، فيعرض لي، فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي، ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا، ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها، ما خصت من طول الحزن معك في الحياة الدنيا ما يقر لي معك عين.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وروى ضمرة عن حفص بن عمر، قال: بكى الحسن، فقيل ما يبكيك ؟ قال: أخاف أن يطرحني في النار غداً ولا يبالي.

وعن الفرات بن سليمان، قال: كان الحسن يقول: إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاء القلوب ، ألا تراه يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ١٦٤) من طريق الإمام أحمد بن حنبل به . . . فذكره .

٣٤] . والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم الخوف من النار .

وروى ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن نحوه.

وروى ابن أبي الدنيا من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال سمعت عبد الله بن حنظلة يومًا، وهو على فراشه، وعُدْتُهُ مِنْ عِلَّته، فتلا رجل عنده هذه الآية: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] فبكى، حتى ظننت أن نفسه ستخرج، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن اقعد، قال: منع ذكر النار مني القعود ، لا أدري لعلي أحدهم .

ومن حديث عبد الرحمن بن مصعب، أن رجلاً كان يومًا على شط الفرات فسمع تاليًا يتلو: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤] فتمايل، فلما قال التالي: ﴿ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (١) [الزخرف : ٧٥] سقط في الماء فمات.

ومن حديث أبي بكر بن عياش، قال: صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وإلى جانبي علي ابنه، فقرأ الفضيل﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فلما بلغ ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ [التكاثر : ٦] سقط علي مغشيًّا عليه، وبقي فضيل لا يقدر يجاوز الآية، ثم صلى بنا صلاة خائف، قال: ثم رابطت عليًّافما أفاق إلا في نصف الليل.

وروى أبو نعيم بإسناده عن الفضيل، قال: أشرفت ليلة على علي، وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار ؟.

وكان [ق/ ١٨] علي يومًا عند ابن عيينه، فحدث سفيان بحديث فيه ذكر النار، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط، فشهق شهقة، ووقع ورمى بالقرطاس، أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان، فقال: لو علمت أنك ههنا ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله.

---

(١) أي : ساكنون ، أو محزونون من شدة اليأس .

وقال عليٍ بن خشرم: سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت يومًا في المسجد الحرام، فذكرت شيئًا من صفة النار، فرأيت فضيل بن عياض صاح حتى غشي عليه وطرح نفسه.

وفي « الحلية » لأبي نعيم، أن علي بن فضيل صلى خلف إمام قرأ في صلاته سورة الرحمن، فلما سلم، قيل لعلي: أما سمعت ما قرأ الإمام: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] فقال: شغلني عنها ما قبلها: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ[1] مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] .

وقال ابن أبي ذئب: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز ـ وهو أمير المدينة ـ وقرأ عنده رجل: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ [2] [الفرقان : ١٣] فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه ، فقام من مجلسه، ودخل بيته، وتفرق الناس.

وقال أبو نوح الأنصاري: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا ينادونه: يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له : ما الذي ألهاك عن النار ؟ قال: النار الأخرى.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نار، وربما رأيتني أهوي فيها حتى أبلغ قرارها، فكيف يهنأ الدنيا من كانت هذه صفته ؟

قال أحمد: وحدثني أبو عبد الرحمن الأسدي، قال: قلت لسعيد بن عبد العزيز: ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال: يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت: يا عم لعل الله أن ينفعني به، قال: ما قمت في صلاتي إلا مثلت لي جهنم.

وقال سرار أبو عبد الله: عاتبت عطاء السلمي في كثرة بكائه، فقال : يا

---

(١) أي : لهب خالص لا دخان فيه .

(٢) أي : هلاكًا ، فقالوا : واثبوراه .

سرار، كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي ؟ إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه، تمثلت لي نفسي بهم، فكيف لنفس تغل يداها إلى عنقها، وتسحب إلى النار، أن لا تبكي وتصيح ؟ وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي ؟

قال العلاء بن زياد : كان إخوان مطرف عنده، فخاضوا في ذكر الجنة ، فقال مطرف: لا أدري ما تقولون ! حَالَ ذِكْرُ النارِ بيني وبين الجنة.

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة.

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه، وقيل له: لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا، فقال: وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن ؟ أما تقرأ: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن : ٣١] . أما تقرأ: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥]. فقرأ حتى بلغ: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ [(١)] [الرحمن : ٤٤]. وجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه.

[ق/ ٨ب]وقرئ على رابعة العدوية آية فيها ذكر النار، فصرخت، ثم سقطت، فمكثت ما شاء الله لم تفق.

ودخل ابن وهب الحمام فسمع قارئًا يقرأ : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾[غافر : ٤٧] ، فسقط مغشيًّاعليه، فغسل عنه بالنورة وهو لا يعقل.

ولما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها، صلة بن أشيم، أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مطيبًا، فقام يصلي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له: إنك أدخلتني بالأمس بيتًا أذكرتني به النار، ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت.

قال العباس بن الوليد عن أبيه قال : كان الأوزاعي إذا ذكر النار، لم يقطع

---

(١) أي : ماء حار تناهى حره .

ذكرها، ولم يقدر أحد يسأله عن شيء حتى يسكت، فأقول بيني وبين نفسي: ترى بقي أحد في المجلس لم يتقطع قلبه حسرات ؟ !.

كانت آمنة بنت أبي الورع من العابدات الخائفات، وكانت إذا ذكرت النار تقول: أدخلوا النار، وأكلوا من النار وشربوا من النار، وعاشوا؟ ثم تبكي. وكانت كأنها حبة على مقلى وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت.

قال عبد الواحد بن زيد: لم أر مثل قوم رأيتهم، هجمنا مرة على نفر من العباد في سواحل البحر، فتفرقوا حين رأونا، فما كنت تسمع عامة الليل إلا الصراخ والتعوذ من النار، فلما أصبحنا تتبعنا آثارهم فلم نرهم .

❋ ❋ ❋

فصل

[من السلف من كان إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله][*]

وكان من السلف من إذ رأى النار اضطرب وتغير حاله ، وقد قال تعالى : ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة : ٧٣] [قال مجاهد وغيره: يعني أن نار الدنيا تذكر بنار الآخرة.

و][**] قال أبو حيان التيمي: سمعت منذ ثلاثين سنة أو أكثر من ثلاثين سنة أن عبد الله بن مسعود مر على الذين ينفخون على الكير فسقط، خرجه الإمام أحمد.

وخرج ابن أبي الدنيا [١] من رواية سعد بن الأخرم، قال: كنت أمشي مع ابن مسعود فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه ويبكي.

وعن عطاء الخراساني قال : كان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار، فيصرخ، ثم يسقط.

وعن ابن أبي الذباب، أن طلحة وزبيداً مرا بكير حداد، فوقفا ينظران إليه ويبكيان .

قال الأعمش: أخبرني من رأى الربيع بن خثيم مر بالحدادين، فرأى الكير وما فيه، فخرَّ .

وقال مطر الوراق : كان حممة وهرم بن حيان إذا أصبحا غديا فمرا بأكورة

(*) في حاشية الأصل أنها في نسخة : « لونه » .

(**) من المطبوع .

(١) في « الرقة والبكاء » (٥٨) .

الحدادين، فنظرا إلى الحديد كيف ينفخ عليه ، فيقفان ويبكيان، ويستجيران من النار.

وقال حماد بن سلمة عن ثابت: كان بشير بن كعب وقراء البصرة يأتون الحدادين، فينظرون إلى شهيق النار، فيتعوذون بالله من النار.

وعن العلاء بن محمد قال دخلت على عطاء السلمي فرأيته مغشيًّا عليه، فقلت لامرأته ما شأنه ؟ قالت: سجرت جارية لنا التنور، فلما نظر إليه غشي عليه.

وعن معاوية الكندي[ق/ ١٩] قال: مر عطاء السلمي على صبي معه شعلة نار، فأصابت النار الريح، فسمع ذلك منها، فغشي عليه.

وقال الحسن: كان عمر ، ربما توقد له النار، ثم يدني يده منها ، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر ؟ !.

وكان الأحنف بن قيس، يجيء إلى المصباح بالليل، فيضع أصبعه فيه، ثم يقول: حَسٍّ حَسٍّ [(١)] ، ثم يقول: يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟.

وقال البختري بن حارثة: دخلت على عابد، فإذا بين يديه نار قد أججها، وهو يعاتب نفسه، فلم يزل يعاتبها حتى مات.

وكان كثير من الصالحين يذكر النار وأنواع عذابها برؤية ما يشبهه بها في الدنيا، أو يذكره بها، كرؤية البحر وأمواجه، والرءوس المشوية، وبكاء الأطفال، وفي الحر والبرد، وعند الطعام والشراب، وغير ذلك، وسنذكر ما تيسر من ذلك مفرقًا في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقد سبق أن منهم من كان يذكر النار بدخول الحمام.

وروى ليث عن طلحة، قال: انطلق رجل ذات يوم، فنزع ثيابه، وتمرغ في

---

(١) كلمة تقال عند الألم المفاجئ .

الرمضاء وهو يقول لنفسه: ذوقي نار جهنم أشد حرًّا ، جيفة بالليل، بطالة بالنهار، فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة، فأتاه، فقال: غلبتني نفسي، فقال له النبي ﷺ: « **ألم يكن لك بد من الذي صنعت؟ لقد فتحت لك أبواب السماء، ولقد باهى الله بك الملائكة** » خرجه ابن أبي الدنيا [1] ، وهو مرسل، وخرج الطبراني نحوه من حديث بريدة موصولاً، وفي إسناده من لا يعرف حاله، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) في « محاسبة النفس » (٥٧) ، وعزاه العراقي في تخريج الإحياء لابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » من رواية ليث بن أبي سليم عنه ، وقال وهذا منقطع أو مرسل ، ولا أدري من طلحة هذا ؟ إلا أن يكون بن مصرف ، وإلا فهو مجهول .

قال : وقد أخرجه الطبراني من حديث بريدة متصلا نحوه ، قال : « بينما النبي في مسير له إذ أتى على رجل يتقلب في الرمضاء ظهر البطن ويقول : نوم بالليل وباطل بالنهار وترجين الجنة ... الحديث ا هـ .

قال الزبيدي : وقوله وهذا منقطع أو مرسل يعني به إن كان طلحة صحابيًّا ، فليث لم يدركه فهو منقطع بينهما ، وإن كان هو طلحة بن مصرف ، فروايته عن الصحابة وعن كبار التابعين ، فهو مرسل . (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي (٦ / ٢٤٤٦) برقم (٣٨٦٧) .

فصل
من الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم

ومن الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم.

قال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس، إذا أوى إلى فراشه، كأنه حبة على مقلى، فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام، فيقوم إلى مصلاه.

وقال أبو سليمان الداراني: كان طاووس يفترش فراشه، ثم يضطجع عليه، فيتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلى، ثم يثب، فيدرجه، ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين.

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبت، مالك لا تنام والناس ينامون ؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام.

وكان صفوان بن محرز إذا جنه الليل يخور كما يخور الثور، ويقول: منع خوف النار مني الرقاد.

وكان عامر بن عبد الله يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها، فكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يمسي.

وروي عنه أنه قيل له: مالك لا تنام ؟ قال: إن ذكر جهنم لا يدعني أنام.

وقال الحر بن حصين الفزاري: رأيت شيخًا [ق/ ٩ ب] من بني فزارة أمر له خالد بن عبد الله بمائة ألف، فأبى أن يقبلها، وقال: أذهب ذكر جهنم حلاوة الدنيا من قلبي، قال: وكان يقوم إذا نام الناس، فيصيح: النار النار النار.

وكان رجل من الموالي، يقال له صهيب، وكان يسهر الليل ويبكي، فعوتب

على ذلك، وقالت له مولاته: أفسدت على نفسك، فقال : إن صهيبًا إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طال خوفه .

وعن ابن مهدي قال: ما كان سفيان الثوري ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ، ويقول على إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار.

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

إذا ما الليل أظلم كَابَدُوهُ فيُسفرُ عنهم وهم ركوعُ

أطارَ الخوف نومهُمُ فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هُجُوعُ[1]

وقال ابن المبارك أيضًا:

وما فُرُشُهُم إلا أيَامِنُ أُزْرِهِم وما وُسْدُهُم إلا مِلاءٌ وأَدْرُعُ

وما ليلهم فيهن إلا تخوف وما نومهم إلا عُشَاشٌ مُرَوَّعُ

وألوانهم صُفْرٌ كأن وُجُوهَهُم عليها جِسَاد عُلِّيَ بالوَرْسِ[2] مُشْبَعُ

نَوَاحِلُ قد أزرى بها الجُهْدُ[3] والسُّرى[4] إلى الله في الظلماء والناس هُجَّعُ

ويبكون أحيانًا كأن عَجِيجَهُم[5] إذا نَوَّمَ الناسَ الحَنِينُ المُرَجَّعُ

ومجلسُ ذكرٍ فيهمُ قد شهدته وأعينهم من رهبة الله تدمعُ

وكان عباد بن زياد التيمي له إخوة متعبدون، فجاء الطاعون فاخترمهم، فقال

---

(١) أي : نيام ليلا .

(٢) الورس : نبت أصفر يصبغ به .

(٣) الجُهْدُ : بضم الجيم ، الشيء القليل يعيش به المقل على جهد العيش ، وهو بالفتح المشقة ، وقيل : المبالغة والغاية .

(٤) السُّرَى : السير بالليل ، يقال : سرى يَسْري سُرًى ، وأسرى يُسري إسراء ، لغتان (النهاية : مادة « سرى ») .

(٥) العج : رفع الصوت بالتلبية .

يرثاهم:

فتية يُعْرَفُ التَّخَشُّعُ فيهـــــم   كلهم أحكمَ القرآنَ غُلامــا

بأنين قد بَرَى جِلدهُ التهجــــد   حتى عاد جلده مصفراً وعظامــا

تتجافى عن الفراش من الخــوف   إذا الجاهلــون باتوا نيامــا

بأنين [1] وعَبــرَةٍ [2] ونَحِيــبٍ [3]   ويَظَلُّون بالنــهار صيامــا

يقرءون القــرآن لا ريــب فيه   ويبيتون ســجداً وقيامــا

***

(١) بأنين : بتأوه .

(٢) عَبْرَة : دمعة .

(٣) نحيب : أشد البكاء .

فصل
ومنهم من منعه خوف النار من الضحك

قال إسماعيل السدي: قال الحجاج لسعيد بن جبير: بلغني أنك لم تضحك قط، قال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت، والأغلال قد نصبت، والزبانية قد أعدت ؟ !.

وقال عثمان بن عبد الحميد: وقع في جيران غزوان، حريق، فذهب يطفئه، فوقع شرارة على أصبع من أصابعه، فقال: ألا أراني قد أوجعتني نار الدنيا، والله لا يراني ضاحكًا حتى أعرف أينجيني [ق/ ١١٠]من نار جهنم أم لا ؟.

وقد كان جماعة من السلف عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبدًا حتى يعلموا أين مصيرهم، إلى الجنة أم إلى النار، منهم حممة الدوسي، والربيع بن خراش، وأخوه ربعي، وأسلم العجلي، ووهيب بن الورد، وغيرهم.

وروى يزيد الرقاشي عن أنس، قال: لما أسري بالنبي ﷺ وجبريل معه، سمع رسول الله ﷺ هدة، فقال: **يا جبريل ما هذه الهدة ؟** قال: **حجر أرسله الله من شفير جهنم، فهو يهوي فيها منذ سبعين عامًا فبلغ قعرها الآن**، قال: فما ضحك رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا أن يتبسم تبسما . خرجه ابن أبي الدنيا [1] ، ويزيد الرقاشي شيخ صالح لا يحفظ الحديث.

وخرج الطبراني [2] ، بإسناد ضعيف إلى أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ

(١) في « صفة النار » (١٥) .

(٢) في الأوسط (٨١٥) ، وكما في مجمع البحرين (٤٨٤٥) وقال : لم يروه عن يحيى إلا إسماعيل .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٩ ـ دار الكتاب العربي):رواه الطبراني في «الأوسط»=

معناه، وفي حديثه قال: فما رؤي رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى قبض.

وسيأتي حديث امتناع الملائكة من الضحك، منذ خلقت جهنم، فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفي حديث أبي ذر الطويل عن النبي ﷺ قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف موسى؟ قال: « **كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت وهو يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار وهو يضحك** » وذكر الحديث بطوله، خرجه ابن حبان في صحيحه [1] وغيره [2].

❊ ❊ ❊

= وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف.

(١) برقم (٩٤ ـ موارد) وفي إسناده إبراهيم بن هشام الغساني : كذاب .

(٢) وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٦٦ ـ ١٦٨) وقال : السياق للحسن بن سفيان، ورواه المختار بن غسان عن إسماعيل بن سلمة عن أبي إدريس ، ورواه علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي ذر ، ورواه عبيد بن الحسحاس عن أبي ذر ، ورواه معاوية بن صالح عن أبي عبد الملك محمد بن أيوب عن ابن عائذ عن أبي ذر بطوله ، ورواه ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله ، تفرد به عنه يحيى بن سعيد العبشمي .

فصل
ومنهم من حدث له من خوفه من النار مرض، ومنهم من مات من ذلك

وكان الحسن يقول في وصف الخائفين: قد براهم الخوف، فهم أمثال الفراخ(*) ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بهم مرض، ويقول: قد خولطوا، وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم ! !.

وسمع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور : ٧ ـ ٨] قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهراً يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه [١] .

وكان جماعة من عباد البصرة مرضوا من الخوف، ولزموا منازلهم، كالعلاء ابن زياد، وعطاء السلمي، وكان عطاء قد صار صاحب فراش عدة سنين. وكانوا يرون أن بدو مرض عمر بن عبد العزيز الذي مات فيه كان من الخوف.

وروى الإمام أحمد [٢] عن حسين بن محمد ، عن فضيل بن سليمان ، عن محمد بن مطرف، قال: حدثني ثقة، أن شابًا من الأنصار، دخل خوف النار قلبه، فجلس في البيت، فأتاه النبي ﷺ، فقام إليه فاعتنقه، فشهق شهقة خرجت نفسه، فقال النبي ﷺ : « جهزوا صاحبكم فَلَذَ [٣] خوفُ النار كبده » .

(*) كتب في حاشية الأصل أنها في نسخة : « القداح » .

(١) أخرجه ابن قدامة المقدسي في « الرقة » ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٠) بنحوه .

(٢) في « الزهد » صـ ٣٩٧

(٣) أي قطع

ورواه ابن المبارك عن محمد بن مطرف به بنحوه.

وروي من وجه آخر متصلاً، خرجه ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا حازم بن جبلة بن أبي نضرة العبدي، عن أبي سنان، عن الحسن، عن حذيفة، قال: كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فأتاه النبي ﷺ، فلما نظر إليه الشاب قام إليه فاعتنقه وخر ميتًا، قال النبي ﷺ: « **جهزوا صاحبكم** [ق/ ١٠ ب] **فإن الفرق من النار فلذ كبده** [١] ، **والذي نفسي بيده لقد أعاذه الله منها، من رجا شيئًا طلبه، ومن خاف شيئًا هرب منه** ». والمرسل أصح وحازم بن جبلة، قال ابن مخلد الدوري الحافظ: لا يكتب حديثه.

وقال حفص بن عمرو الجعفي: اشتكى داود الطائي أيامًا، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار، فكررها مراراً في ليلته، فأصبح مريضًا، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة. خرجه أبو نعيم.

وخرج أيضًا هو وابن أبي الدنيا، وغيرهما من [غير] [٢] وجه، قصة منصور بن عمار مع الذي مر به بالكوفة ليلاً، وهو يناجي ربه، فتلا منصور هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ الآية [التحريم : ٦] قال منصور : فسمعت دكدكة لم أسمع بعدها حسًا ومضيت، فلما كان من الغد رجعت، فإذا جنازة قد أخرجت، وإذا عجوز فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل، لا جزاه الله إلا جزاءه ، مر بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله، فتفطرت مرارته، فوقع ميتًا .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، حدثني بعض أصحابنا حدثني عبد الوهاب، قال: بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ، إذ مر رجل، فنظر إلى النار في الكور، فسقط، فقمنا ونظرنا، فإذا هو قد مات .

---

(١) وأخرجه أحمد في « الزهد » ص ٣٩٧ من وجه آخر .

(٢) من المطبوع .

وبإسناده عن [البختري بن يزيد بن حارثة الأنصاري] [1]، أن رجلاً من العباد وقف على كور حداد، وقد كشف عنه، فجعل ينظر إليه ويبكي، قال: ثم شهق شهقة فمات.

قال: وُحدِّثتُ عن عبد الرحيم بن مطرف بن قدامة الرؤاسي، حدثني أبي، عن مولى لنا، قال: لما مات منصور بن المعتمر صاحت أمه: واقتيل جهنماه! ما قتل ابني إلا خوف جهنم [2].

وروي من غير وجه، أن علي بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

وقال يونس بن عبد الأعلى: قرأ عبد الله بن وهب كتاب «الأهوال» فمر في صفة النار فشهق فغشي عليه، فحمل إلى منزله، وعاش أيامًا، ثم مات رحمه الله.



(١) في الأصل: البختري عن ابن يزيد عن حارثة الأنصاري، وفي المطبوع البختري بن يزيد عن حارثة الأنصاري، والصواب ما أثبتناه، وهو البختري بن يزيد بن حارثة الأنصاري، كان يجالس الثوري وشعبة، يروي عن العراقيين، روى عنه داود بن يزيد الأودي (انظر الثقات لابن حبان ٦ / ١١٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢٥٦) قال: حدثنا عبد الرحيم بن مطرف ابن قدامة بن عبد الرحمن الرؤاسي بسنده سواء.

فصل
أحوال بعض الخائفين

خرج مسلم في « صحيحه »[(١)] من حديث أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً** قالوا: وما رأيت يا رسول الله ؟ قال: **رأيت الجنة والنار**» .

وفي « الصحيحين »[(٢)] عن ابن عباس عن النبي ﷺ : قال: « **لما كسفت الشمس رأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم أفظع** » .

وروى الأعمش عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعًا: « **لو أبرزت النار للناس ما رآها أحد إلا مات**» وروي موقوفًا.

وخرج أبو يعلى الموصلي في « مسنده »[(٣)] وغيره من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه خطب فقال: « **لا تنسوا العظيمتين: الجنة والنار ، ثم بكى حتى جرى وبل دموعه جانبي لحيته ثم قال: والذي نفسي بيده، لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة، لمشيتم إلى الصعيد ، ولحثيتم على رءوسكم التراب** » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن مسعر ، عن عبد الأعلى: ما جلس قوم مجلسًا، فلم (ق/ ١١١)يذكروا الجنة والنار، إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين؟!.

وعن عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير، قال: قطع قلوب الخائفين، طول الخلدين في الجنة أو النار.

وعن ابن السماك ، قال : قطع قلوب العارفين بالله ، ذكر الخلدين الجنة

---

(١) برقم (٤٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧) .

(٣) كما في المطالب العالية (٣٣٣٥) ، وإتحاف الخيرة (٧٠٩٨ ـ دار الوطن) .

والنار.

وعن بكر المزني، أن أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - خطب الناس بالبصرة، فذكر في خطبته النار، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، قال: وبكى الناس يومئذ بكاء شديداً.

وعن إبراهيم بن محمد البصري قال: نظر عمر بن عبد العزيز إلى رجل عنده متغير اللون، فقال له: ما الذي أرى بك ؟ قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله، فأعاد عليه عمر، فأعاد الرجل مثل ذلك ثلاثًا، ثم قال : إذا أبيت إلا أن أخبرك، فإني ذقت حلاوة الدنيا، فصغر في عيني زهرتها وملاعبها، واستوى عندي حجارتها وذهبها، ورأيت كأن الناس يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار، فأسهرت لذلك ليلي ، واظمأت نهاري، وكل ذلك صغير حقير في جنب ثواب الله عز وجل وجنب عقابه.

وهذا الكلام يشبه حديث حارثة المشهور، وهو حديث روي من وجوه مرسلاً، وروي مسندًا متصلاً من رواية يوسف بن عطية الصفار، وفيه ضعف، عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال لشاب من الأنصار: « **كيف أصبحت يا حارثة؟** قال: أصبحت مؤمنًا بالله حقًّا، قال: **انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة** قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني بعرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها، قال: **أبصرت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه**»[1] والمرسل

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤ / ٤٥٥) ، ومحمد بن نصر في « تعظيم قدر الصلاة» (٣٦٢)، والبيهقي في « الشعب » (١٠٥٩٠) قال العقيلي : ليس لهذا الحديث إسناد يثبت .
وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري طرق الحديث ثم قال : ورواه البيهقي في « الشعب » من طريق يوسف بن عطية الصفار - وهو ضعيف جدًا عن أنس. . . فذكره ، ثم قال الحافظ: قال البيهقي: هذا منكر، وقد خبط فيه يوسف فقال مرة: الحارث، وقال مرة: حارثة. . . . ثم قال الحافظ: قال ابن صاعد بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزي عن ابن المبارك : لا أعلم صالح بن =

أصح.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا علي بن أبي الحر، قال: أوحى الله إلى يحيى بن زكريا عليه السلام: يا يحيى، وعزتي، لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة، لذاب جسمك، ولزهقت نفسك اشتياقًا، ولو اطلعت إلى النار اطلاعة لبكيت بالصديد بعد الدموع، وللبست الحديد بعد المسوح.

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن سفيان، قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتًا وأصحابه يتحدثون، فقالوا: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين، قال: كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى.

وعن مغيث الأسود أنه كان يقول: زوروا القبور كل يوم بفكركم، وتوهموا جوامع الخير كل يوم بعقولكم، وشاهدوا الموقف كل يوم بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار بهممكم، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها [ق ١١/ ب] وأطباقها.

وعن صالح المري أنه قال: للبكاء (*) دواعي: الفكرة في الذنوب، فإن أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجابت إلى ذلك وإلا فاعرض عليها التقلب بين أطباق النيران، قال: ثم صاح، وغشي عليه، وتصايح الناس من جوانب المسجد.

وعن أبي سليمان الداراني، قال: خرج مالك بن دينار إلى قاعة الدار وترك أصحابه في البيت، فأقام إلى الفجر قائمًا في وسط الدار، فقال لهم: إني كنت في وسط الدار خطر ببالي أهل النار، فلم يزالوا يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح.

وكان سعيد الجرمي يقول في وصف الخائفين: إذا مروا بآية من ذكر النار، صرخوا منها فرقًا، كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة، نصب أعينهم.

= مسمار أسند إلا حديثًا واحداً، وهذا الحديث لا يثبتُ موصولا.

(*) من المطبوع، وفي الأصل: «البكاء».

وقال الحسن: إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين.

وقال أيضًا: والله ما صدق عبد بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره، لم يصدق بها حتى يهجم عليها.

وقال وهب بن منبه: كان عابد في بني إسرائيل قام في الشمس يصلي حتى اسود وتغير لونه، فمر به إنسان، فقال: كأن هذا حرق بالنار، قال: إن هذا من ذكرها، فكيف بمعاينتها ؟ !.

وقال ابن عيينة قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة، آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها ، وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسي في النار ، آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها .

فقلت لنفسي: أي شيء تريدين ؟

قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا، فأعمل صالحًا .

فقلت : فأنت في الأمنية فاعملي.



الباب الثالث
في ذكر تخويف جميع
أصناف الخلق بالنار وخوفهم منها

النار خلقها الله تعالى لعصاة الإنس والجن، وبهما تمتلئ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] .

وقال تعالى حاكيًا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ⦗١٤⦘ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٤ ـ ١٥] .

وقال تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ⦗٣١⦘ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⦗٣٢⦘ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ⦗٣٣⦘ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⦗٣٤⦘ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⦗٣٨⦘ إلى قوله : فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ⦗٣٩⦘ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الآيات [الرحمن : ٣٥ ـ ٤١] .

[ق/ ١١٢]ولهذا روي أن النبي ﷺ ، قرأ هذه السورة على الجن[1] ، وأبلغهم إياها، لما تضمنت ذكر خلقهم وموتهم وبعثهم وجزائهم .

وأما سائر الخلق، فأشرفهم الملائكة، وهم متوعدون على المعصية بالنار، وهم خائفون منها، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٩].

وقد استفاض عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، أن هاروت وماروت كانا ملكين، وأنهما خُيِّرا بعد الوقوع في المعصية، بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما بانقطاعه.

وقد روي في ذلك حديث مرفوع، من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ، خرجه الإمام أحمد [2] وابن حبان في صحيحه [3] ، لكن قد قيل: إن الصحيح

---

(١) كما في حديث جابر عند الترمذي برقم (٣٢٩١) وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ، قال ابن حنبل : كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يُروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني لما يروون عنه من المناكير .
وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة .

(٢) (٢ / ١٣٤) .

(٣) برقم (١٧١٧ ـ موارد) . قال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٣٩) هاروت وماروت وقصتهما مع الزهرة أخرجه أحمد وابن حبان وابن السني وآخرون عن ابن عمر مرفوعًا، وفي سنده موسى بن جبير قال فيه ابن القطان: لا يعرف حاله ، وقال ابن حبان : إنه يخطىء ويخالف ، لكن تابعه معاوية بن صالح فرواه بنحوه عن نافع كما أخرجه ابن جرير في تفسيره .
وأورد ابن كثير الحديث في تفسيره (١ / ١٣٩ ـ دار الجيل) فقال : ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه ، ثم أورد الحديث بسنده =

أنه موقوف على كعب.

وخرج الإمام أحمد [1]، من حديث أنس عن النبي ﷺ، **أنه سأل جبريل عليه السلام، فقال: مالي لا أرى ميكائيل عليه السلام يضحك؟! قال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار.**

وروى أيضًا في كتاب «الزهد» من حديث أبي عمران الجوني، قال: بلغنا أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ، وجبريل عليه السلام يبكي، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يبكيك يا جبريل؟ قال: وما تبكي أنت يا محمد؟ ما جفت عيناي منذ**

= ومتنه عند الإمام أحمد ثم قال: وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن بن سفيان، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحي بن بكير به، وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا وهو الأنصاري السلمي مولاهم المدني الحذاء... ذكره ابن أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل» ولم يحك فيه شيئًا من هذا ولا هذا، فهو مستور الحال، وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروي له متابع من وجه آخرعن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا هشام بن على ابن هشام حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين ـ وهو سنيد بن داود صاحب التفسير ـ أخبرنا الفرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر... فذكر ابن كثير رواية ابن جرير مرفوعة ثم قال: وهذان أيضًا غريبان جدًا، وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق في «تفسيره» عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار.. ثم ذكر ابن كثير رواية عبد الرازق ثم قال: رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به، ورواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن عصام، عن مؤمل، عن سفيان الثوري به، ثم ذكر ابن كثير رواية أخرى لابن جرير.

(1) (٣/ ٢٢٤). قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٥): رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة، وبقية رجال ثقات.

خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها » [1] .

وقد روي نحوه من وجه آخر مرسلاً أيضا .

وخرجه الطبراني [2] من حديث محمد بن أحمد بن أبي خيثمة، حدثنا محمد ابن علي [بن خلف العطار ، حدثنا محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي] [*] حدثنا أبي ، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر ، أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ حزينًا لا يرفع رأسه، فقال له: **مالي أراك يا جبريل حزينًا ؟ !** قال: **إني رأيت نفخة من جهنم، فلم ترجع إلي روحي بعد** .

وقال: لم يرفعه عن زيد إلا علي، تفرد به ابنه محمد بن علي بن خلف[3]، وهذا يدل على أن غيره وقفه.

وخرج الطبراني [4] أيضًا، من طريق سلام الطويل، عن الأجلح الكندي، عن عدي بن عدي الكندي، عن عمر بن الخطاب، قال: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ في غير حينه الذي كان يأتيه فيه، فقال له : **يا جبريل مالي أراك متغير اللون؟ قال: ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار.**

قال: يا جبريل، صف النار، وانعت لي جهنم» فذكر الحديث، وسنذكره إن شاء الله تعالى مفرقًا في الكتاب في مواضع، ثم قال: فقال رسول الله ﷺ: **حسبي يا جبريل،** [ق١٢/ ب] **لا ينصدع قلبي فأموت** .

---

(١) وأخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢١٦) وهو مرسل .

(٢) في الأوسط برقم (٥٣٤٠) وفيه : « لفحة » بدلا من « نفخة » .

(*) من الأوسط للطبراني .

(٣) كذا بالأصل ، وفي « المعجم الأوسط » : لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا علي بن عبد الله ، تفرد به محمد بن علي بن خلف .

(٤) في « الأوسط » (٢٥٨٣) وقال : لايروى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به سلام .
قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٧) : رواه الطبراني في « الأوسط» وفيه سلام الطويل ، وهو مجمع على ضعفه .

قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: **تبكي يا جبريل، وأنت من الله بالمكان الذي أنت فيه ؟**

فقال: وما لي لا أبكي، أنا أحق بالبكاء، لعلي أن أكون في علم الله، على غير الحال التي أنا عليها، وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به إبليس، فقد كان من الملائكة، وما أدري لعلى أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت .

قال: فبكى رسول الله ﷺ، وبكى جبريل عليه السلام، فما زالا يبكيان حتى نوديا: **أن يا محمد ويا جبريل، إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه**، فارتفع جبريل، وخرج رسول الله ﷺ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون، فقال: **تضحكون ووراءكم جهنم ؟ ! فلو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولما أسغتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي: « يا محمد، لا تقنط عبادي، إنما بعثتك ميسراً » (*) ولم ابعثك معسراً.**

قال رسول الله ﷺ: **«سددوا وقاربوا»** . وسلام الطويل: ضعيف جداً .

وروى ابن أبي الدنيا، من حديث أبي فضالة عن أشياخه، قال: إن لله عز وجل ملائكة، لم يضحك أحدهم منذ خلقت النار ، مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم.

وبإسناده عن بكر العابد ، قال : قلت لجليس لابن أبي ليلى - يكنى أبا الحسن -: أتضحك الملائكة ؟ .

قال: ما ضحك مَنْ دون العرش منذ خلقت جهنم.

وعن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق ابن آدم عادت.

وروى أبو نعيم بإسناده عن طاووس، قال: لما خلقت النار طارت أفئدة

(*) في الأصل : « مبشرا » .

الملائكة، فلما خلق بنو آدم سكنت.

فأما البهائم والوحش والطير، فقد روي ما يدل على خوفها أيضًا .

قال عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير، قال: بلغنا أنه إذا كان يوم نوح داود عليه السلام يأتي الوحش من البراري، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، وتأتي الطيور من الأوكار، وتجتمع الناس في ذلك اليوم، ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى المنبر، فيأخذ في الثناء على ربه، فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ بذكر الجنة والنار، فيموت طائفة من الناس وطائفة من السباع وطائفة من الوحوش وطائفة من الهوام وطائفة من الرهبان والعذارى المتعبدات، ثم يأخذ بذكر الموت وأحوال القيامة فيأخذ بالنياحة على نفسه، [ق١٣/أ] فيموت طائفة من هؤلاء، ومن كل صنف طائفة. خرجه ابن أبي الدنيا.

وأما غير الحيوان من الجمادات وغيرها، فقد أخبر الله عنها، أنها تخشاه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤].

قال ابن أبي نجيح: عن مجاهد: كل حجر يتفجر منه الماء فيتشقق عن ماء، وتردى عن رأس جبل، فهو من خشية الله عز وجل، نزل بذلك القرآن.

وخرج الجوزجاني وغيره من طريق مجاهد عن ابن عباس، قال: إن الحجر ليقع إلى الأرض، ولو اجتمع عليه الفئام من الناس، ما استطاعوه ، وإنه يهبط من خشية الله.

قال ابن أبي الدنيا [١] : حدثني أحمد بن عاصم بن عنبسة العباداني ، أنبأنا الفضل بن العباس ـ وكان من الأبدال، وكانت الدموع قد أثرت في وجهه، وكان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف ـ قال: مر عيسى عليه السلام بجبل بين نهرين، نهر عن يمينه، ونهر عن يساره، ولا يدري من أين يجيء هذا الماء، [ولا

---

(١) في « صفة النار » (٢٣٣) .

إلى] (*) أين يذهب؟

قال: أما الذي يجري عن يساري فمن دموع عيني اليسرى، قال: مم ذاك؟ قال: من خوف ربي أن يجعلني من وقود النار.

قال عيسى: فأنا أدعو الله عز وجل أن يهبك لي.

فدعا الله فوهبه له.

قال عيسى: قد وهبت لي.

قال: فجاء منه من الماء حتى احتمل عيسى فذهب به.

فقال عيسى: اسكن بعزة الله، فقد استوهبتك من ربي فوهبك لي فما هذا؟

قال: فأما البكاء الأول فبكاء الخوف، وأما البكاء الثاني فبكاء الشكر.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: إن القمر ليبكي من خشية الله.

قال طاووس: إن القمر ليبكي من خشية الله ولا ذنب له، ولا يسأل عن ذنب ولا يجازى به.

* * *

(*) من المطبوع، وفي « صفة النار »: من أين يجيء وأين يذهب.

فصل
وهذه النار التي في الدنيا تخاف من نار جهنم:

روى نفيع أبو داود عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « **ناركم هذه لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله ألا يعيدها فيها**» . خرجه ابن ماجه [1] ، ونفيع فيه ضعف، وقد روي موقوفًا على أنس.

وخرج الحاكم [2] ، من حديث جسر بن فرقد، عن الحسن، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « **ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ولولا أنها غمست في البحر مرتين ما انتفعتم بها ، وايم الله إن كانت لكافية، وإنها لتدعو الله وتستجير الله أن لا يعيدها في النار أبداً** » وقال: صحيح الإسناد، وفي ذلك نظر، فإن جسر بن فرقد ضعيف.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناد عن أبي رجاء، قال: لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار أوحى الله إليها (*) : « **لئن ضربتيه وآذيتيه لأردنك إلى النار الكبرى، فخرت مغشيًا عليها ثلاثة أيام لا ينتفع الناس منها بشيء** » .

وعن أبي عمران الجوني، قال: بلغنا أن عبد الله بن عمرو سمع صوت النار

---

(١) برقم (٤٣١٨) . قال البوصيري في الزوائد (٤ / ٢٦١) : نفيع ضعفه ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة والفلاس والبخاري والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم .

(٢) (٤ / ٦٣٥) . وقال البوصيري في الزوائد (٤/ ٢٦١) بعد أن ذكر رواية ابن ماجه : رواه الحاكم في المستدرك من طريق جسر بن فرقد ـ وهو ضعيف ـ عن الحسن عن أنس، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا السياق . انتهى .

(*) في الأصل : إليه .

فقال: وأنا، فقيل له: ما هذا ؟ فقال: والذي نفسي بيده إنها تستجير من النار الكبرى أن تعاد إليها.

وعن الأعمش عن مجاهد، قال: ناركم هذه تعوذ بالله من عذاب جهنم.

***

الباب الرابع
في أن البكاء من خشية النار ينجي منها
وأن التعوذ بالله من النار يوجب الإعاذة منها

قد تكاثرت الأحاديث في أن البكاء من خشية الله مقتضٍ للنجاة من النار ، والبكاء من نار جهنم هو البكاء من خشية الله، لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه والبعد عنه وعن رحمته وجواره ودار كرامته.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع** » أخرجه النسائي [(١)] والترمذي [(٢)] وقال: صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **عينان لا تمسهما النار: عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله عز وجل** » خرجه الترمذي [(٣)] وقال: حسن.

وعن أبي ريحانة، عن النبي ﷺ ، قال: « **حرمت النار على عين دمعت أو**

---

(١) في المجتبى (٦/ ١٢) .

(٢) برقم (٢٣١١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) برقم (١٦٣٩) وقال : وحديث ابن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق . وقال الترمذي في العلل الكبير (٤٩٥) : سألت محمداً عن هذا الحديث فقال : شعيب بن رزيق مقارب الحديث ، ولكن الشأن في عطاء الخراساني، ما أعرف لمالك بن أنس رجلا يروي عنه مالك يستحق أن يترك إلا عطاء الخراساني قلت له : ما شأنه ؟ قال : عامة أحاديثه مقلوبة .
وأخرج العقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٤٥) الحديث من وجه آخر ثم قال: والرواية في هذا الباب لينة ، وفيها ما هو أصلح من هذا الإسناد .

بكت من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وذكر عينًا ثالثة. خرجه الإمام أحمد [1] وهذا لفظه، والنسائي [2] والحاكم [3] وقال: صحيح الإسناد.

وخرجه الجوزجاني ولفظه « حرمت النار على عين سهرت بكتاب الله، وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله أو فقئت في سبيل الله» .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: « ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع، وإن كان مثل رأس الذباب، من خشية الله، ثم تصيب شيئًا من حر وجهه، إلا حرمه الله على النار » خرجه ابن ماجه [4] ، وقد روي موقوفًا على من دون ابن مسعود.

وفي الباب أحاديث أخر في المعنى مسندة ومرسلة، وفيه أيضًا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وابن عباس من قولهما غير مرفوع.

وخرج ابن أبي الدنيا [5] من طريق نفيع أبي داود، عن زيد بن أرقم، أن رجلاً قال: يا رسول الله، بما أتقي النار ؟ قال: « بدموع عينيك، فإن عينًا بكت من خشية الله لا تمسها النار أبدًا » ونفيع سبق أنه ضعيف.

---

(١) (٤/ ١٣٤) .

(٢) في المجتبى (٦/ ١٥) .

(٣) في المستدرك (٢/ ٨٣) . قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٧٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد ثقات .

(٤) برقم (٤١٩٧) . قال البوصيري في الزوائد : إسناده ضعيف ، وحماد بن أبي حميد، اسمه محمد بن أبي حميد ، ضعيف .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٦٦) وقال :
غريب من حديث عون ، تفرد به محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الزرقي المدني ويعرف بحماد بن أبي حميد . ورواه إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن حماد عن عون مثله .

(٥) في « الرقة والبكاء » (١٥) .

ومن طريق النضر بن سعيد، رفعه قال: « **ما اغرورقت عين عبد بمائها من خشية الله إلا حرم جسدها على النار، فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، ولو أن عبداً بكى في أمة من الأمم، لأنجى الله عز وجل ببكاء ذلك العبد تلك الأمة من النار، وما من عمل إلا وله وزن أو ثواب إلا الدمعة، فإنها تطفئ بحوراً من النار** » (١).

وقد روي هذا المعنى أو بعضه موقوفًا من كلام [ق ١٤/ ١] الحسن وأبي عمران الجوني وخالد بن معدان وغيرهم.

وعن زاذان أبي عمر قال: بلغنا أن من بكى خوفًا من النار أعاذه الله منها، ومن بكى شوقًا إلى الجنة أسكنه الله إياها.

وكان عبد الواحد بن زيد يقول: يا إخوتاه، ألا تبكون شوقًا إلى الله عز وجل ؟

ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده لم يحرمه النظر إليه، يا إخوتاه، ألا تبكون خوفًا من النار ؟

ألا إنه من يبكي خوفًا من النار أعاذه الله منها.

وعن فرقد السبخي، قال: قرأت في بعض الكتب أن الباكي على الجنة لتشفع له الجنة إلى ربها، فتقول: يا رب، أدخله الجنة كما يبكي علي، وإن النار تستجير له من ربها، فتقول: يا رب، أجره من النار كما استجارك مني، ويكى خوفًا من دخولي.

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: « **رأيت الليلة رؤيا** » فذكر الحديث بطوله، وفيه قال: **رأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم، فجاءه وجله (٢) من الله، فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي يهوي في النار،**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٥) وهو مرسل .

(٢) قال صاحبُ نوادر الأصول (٣/ ٢٤٢) : الوجل هو في وقت انكشاف الغطاء لقلب المؤمن ، وهو خشية العبد .

فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله عز وجل، فاستخرجته من النار[1].

وروى الكديمي، حدثنا سهل بن حماد، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦]. وبين يديه رجل أسود، فهتف بالبكاء، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: من هذا الباكي بين يديك ؟

قال: رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفًا .

قال: إن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي، وارتفاعي فوق عرشي، لا تبكي عين عبد في الدنيا من خشيتي إلا أكثرت ضحكه في الجنة[2] .

***

---

(١) أخرجه بحشل في « تاريخ واسط » (١/ ١٧٠) ، والحكيم الترمذي في «نوادرالأصول» كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٦٥، ١١٦٦) .
قال ابن الجوزي : وهذا حديث لا يصح ،
أما الطريق الأول ففيه هلال أبو جبلة وهو مجهول ، وفيه الفرج بن فضالة قال ابن حبان : يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحل الاحتجاج به .
فأما الطريق الثاني : ففيه علي بن زيد قال أحمد ويحيى : ليس بشيء ، وقال أبو زرعة: يهم ويخطي فاستحق الترك ، وفيه مخلد بن عبد الواحد قال ابن حبان : منكر الحديث جدًا ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات .
وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٧٩ ـ ١٨٠) : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف .

(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٩٩) قال البيهقي :وبمعناه رواه سهيل بن أبي حازم عن ثابت في الحبشي وبكائه .

فصل
[التعوذ من النار]

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) إلى قوله : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ الآية [آل عمران : ١٩١ ـ ١٩٥].

وفي الصحيحين[١] عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر، وفيه: **إن الله عز وجل يسألهم، وهو أعلم بهم، فيقول: فمما يتعوذون ؟**

فيقولون: من النار .

فيقول: وهل رأوها ؟

قالوا: لا والله ما رأوها.

قال : يقول: كيف لو رأوها ؟

فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة .

قال: فيقول: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم

وخرج الترمذي [٢] والنسائي [٣] وابن ماجه [٤] ، من حديث أنس، عن النبي ﷺ، قال: « **ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار ثلاثًا، إلا قالت النار: اللهم أجره من النار** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) .

(٢) برقم (٢٥٧٥) .

(٣) (٨/ ٢٧٩) .

(٤) برقم (٤٣٤٠) .

وخرج البزار [١] وأبو يعلى الموصلي [٢] ، من حديث أبي هريرة، رضي الله

(١) برقم (٣١٧٥ ـ كشف) .
(٢) برقم (٦١٩٢) .

وسئل الدارقطني في العلل (١١ / ١٨٨ ـ ١٩٠) برقم (٢٢١٣) عن هذا الحديث ، فقال : يرويه يونس بن خباب واختلف عنه ، فرواه ليث بن أبي سليم عن يونس بن خباب عن أبي حازم عن أبي هريرة ، قاله جرير بن عبد الحميد عنه .
وخالفه شعيب بن صفوان وعمرو بن مجمع وشعبة ، فرووه عن يونس بن خباب عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، رفعه عبد الصمد عن شعبة ، ووقفه غيره .
ورواه الثوري ، عن منصور ، عن يونس بن خباب ، عن أبي علقمة عن أبي هريرة مرفوعًا ، قال ذلك الأشجعي عن سفيان .
ثم ذكر الدارقطني روايتين للحديث موقوفًا على أبي هريرة ثم قال : والأشبه بالصواب من ذلك قول من قال عن أبي علقمة عن أبي هريرة .
قلت : قد أخطأ في تعيين رواة هذا الحديث ثلاثة من الحفاظ الكبار هم : **الضياء المقدسي والمنذري وابن القيم** فظنوا أن جرير هو ابن حازم ، وأن يونس هو ابن يزيد الأيلي ، فصححوا السند على شرط الشيخين ، وتبعهم على ذلك **الشيخ الألباني** رحمه الله في الصحيحة برقم (٢٥٠٦) .
بل ولقد تعقب **الشيخ الألباني** محقق مسند أبي يعلي ـ **حسين سليم أسد** ـ لقوله عن الحديث : إسناده ضعيف ، يونس هو ابن خباب ، قال يحيي بن سعيد : كان كذابًا . . » .
ثم نقله عن مجمع الزوائد (١٠/ ١٧١):رواه البزار وفيه:يونس بن خباب،وهو ضعيف.
وقد زعم الألباني أن طريق أبي يعلى تدور على جرير بن حازم وهذا خطأ محض لا مرية فيه ، لأن مدار الحديث على يونس بن خباب كما بين **الدارقطني** رحمه الله في «العلل » ، **وابن حجر** في « المطالب العالية » . كما أن جرير بن حازم ليس من مشايخه يونس بن يزيد ، وقد رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١ / ٢٤٩) برقم (٢١٣) عن جرير بن عبد الحميد عن ليث بن أبي سليم عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة به .
فاتضح أن إسناد أبي يعلي والبزار سقط منهما « ليث » وهو ضعيف ، ولقد وجدت ذلك كثيراً في مسند أبي يعلي يُسقط روايًا ضعيفًا فيبدو للناظر أن الإسناد صحيح فَيُصَحِّحُ الحديث إذا لم يجمع طرقه . =

عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار:** [ق/ ١٤ ب] **يا رب، إن عبدك فلانًا استجار مني فأجره، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب، إن عبدك فلانًا سألني فأدخله الجنة**»

وروى صالح المري، عن أبان، عن أنس، عن النبي ﷺ: « **يقول الله عز وجل: انظروا في ديوان عبدي، فمن رأيتموه يسألني الجنة أعطيته، ومن استعاذ بي من النار أعذته**» [(١)] وإسناده ضعيف.

وروى أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد - وأبي حجيرة الأكبر، عن أبي هريرة أو أحدهما حدثه عن النبي ﷺ قال: « **إذا كان يوم حار، فإذا قال الرجل: لا إله إلا الله، ما أشد حر هذا اليوم ! اللهم أجرني من حر جهنم.**

قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي استجارني من حرك، وأنا أشهدك أني قد أجرته.

وإذا كان يومًا شديد البرد، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد برد هذا اليوم! اللهم أجرني من زمهرير جهنم.

قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي استعاذني من زمهريرك، وأنا أشهدك أني قد أجرته»

قالوا: وما زمهرير جهنم ؟

قال: « بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة بردها » [(٢)].

= ورحم الله ابن المديني إذ قال: الباب إن لم تجمع طرقه لم تتبين علله.

ورحم الله الأئمة الذين وهموا في تعيين رواة هذا الحديث فهم الذين نقلوا إلينا العلم ومن كتبهم وأحكامهم نستفيد في هذا العلم، ورحم الله الشيخ الألباني فقد تعلمنا من كتبه الكثير، ومازلنا نتعلم منها.

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٧٥) وقال: غريب من حديث صالح لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل بن نصر.

(٢) ذكره البيهقي في « الاعتقاد » (١ / ٨٥) دون إسناد قال: وروينا في حديث الحر =

وقال أبو يحيى القتات، عن مجاهد: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة، فتنزوي ، قال : فيقول: ما شأنك ؟

فتقول: إنه قد كان يستجير مني، فيقول: خلوا سبيله.

وقال سفيان : عن مسعر ، عن عبد الأعلى: الجنة والنار لقيتا السمع من ابن آدم، فإذا قال الرجل: أعوذ بالله من النار.

قالت النار: اللهم أعذه.

فإذا قال : أسأل الله الجنة .

قالت الجنة: اللهم بلغه.

وقال عثمان بن أبي العاتكة: قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة إلا ذكرت جهنم، فصرفتها إلى الاستعاذة منها.

وقال أبو سنان عيسى بن سنان، عن عطاء الخراساني، قال: من استجار بالله من جهنم سبع مرات.

قالت جهنم: لا حاجة لي بك .

* * *

= والبرد . . . فذكره وأخرجه السهمي في تاريخ جرجان (١ / ٤٨٦) من حديث أبي موسى الأشعري .

وعزاه العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٦٦) لابن السني وأبي نعيم بسند ضعيف عن أبي سعيد وأبي هريرة رفعاه . . . فذكره .

الباب الخامس
في ذكر مكان جهنم

روى عطية عن ابن عباس، قال: الجنة في السماء السابعة، فيجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة، أخرجه أبو نعيم [1].

وخرج ابن منده ، من حديث أبي يحيى القتات عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس: أين الجنة ؟ .

قال: فوق سبع سموات.

قلت: فأين النار ؟ .

قال: تحت سبعة أبحر مطبقة.

وروى البيهقي، بإسناد فيه ضعف، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود، قال: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى، ثم قرأ: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين : ١٨] و﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين : ٧].

وخرجه ابن منده ، وعنده : فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء.

وقال محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله ابن سلام، قال: إن الجنة في السماء، وإن النار في الأرض. خرجه ابن خزيمة وابن أبي الدنيا [2] .

وروى ابن أبي الدنيا [3] بإسناده عن قتادة، قال: [ق/ ١١٥] كانوا يقولون: إن الجنة في السموات السبع، وإن جهنم لفي الأرضين السبع.

---

(١) في « صفة الجنة » (١٣٢) .
(٢) في « صفة النار » (١٧٨ ، ١٧٩) .
(٣) في « صفة النار » (١٨٤) .

وروى ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢] قال: الجنة في السماء.

وقد استدل بعضهم لهذا أن الله أخبر أن أهل النار يعرضون على النار بكرة وعشيًا - يعني : في مدة البرزخ - وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء، فدل أن النار في الأرض.

قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين : ٧].

وفي حديث البراء بن عازب، عن النبي ﷺ ، في صفة قبض الأرواح، قال في أرواح الكفار : « **حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون فلا يفتح له** » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠]. قال: ثم يقول الله تعالى: « **اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى قال: فتطرح روحه طرحًا** ». خرجه الإمام أحمد [١] وغيره [٢].

---

(١) (٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) .

(٢) وأخرجه أبو داود (٣٢١٢ ، ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤) ، وابن ماجه (١٥٤٩) ، والحاكم (١/ ٣٧ - ٣٩)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٥٥)، وفي الشعب (١ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ، وابن منده في « الإيمان » (١٠٦٤) وغيرهم .
قال البيهقي : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو ، وزاذان أبي عمر الكندي .
وقال أبو موسى الأصبهاني : هذا حديث حسن مشهور بالمنهال عن زاذان ، وصححه أبو نعيم ، نقل ذلك ابن القيم في « تهذيب السنن » (١٣ / ٩٣) بحاشية « عون المعبود » .
وصححه أبو عوانة وغيره نقل ذلك الحافظ في الفتح (٣/ ٢٧٧) .
وقال ابن منده في « الإيمان » : هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وكذلك رواه عدة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، والمنهال بن عمرو أخرج عنه البخاري منفرد به ، وزاذان أخرج عنه مسلم ، وهو ثابت على رسم الجماعة .
وقال ابن تيمية : هذا حديث حسن ثابت كما في « مجموع الفتاوي » (٤ / ٢٩٠) ، وصححه ابن القيم في « تهذيب السنن » . =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في صفة قبض الروح، قال في روح الكافر(*): « **فتخرج كأنتن ريح جيفة، فينطلقون به إلى باب الأرض، فيقولون(**): ما أنتن هذه الريح! كلما أتوا على أرض قالوا ذلك، حتى يأتوا بها أرواح الكفار** » خرجه ابن حبان (1) والحاكم (2) وغيرهما (3).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: [أرواح الكفار](***) في الأرض السابعة (4).

= وقد ضعف الحديث ابن حبان فقال في صحيحه (٧ / ٣٨٧) خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة عن المنهال ابن عمرو، وزاذان لم يسمعه من البراء، فلذلك لم أخرجه.

وابن حزم فقد قال في « المحلى » (١ / ٢٢) : ولم يرو أحد أن في عذاب القبر رد الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو وليس بالقوي.

والذهبي قال في « السير » (٥ / ١٨٤) : حديثه في شأن القبر بطوله فيه نكارة وغرابة.

وانظر للمزيد تخريج أخي الحبيب محمد العلاوي للحديث في تخرجه لكتاب «حادي الأرواح» ص ٢٥ ـ ٢٨ طبعة دار ابن رجب فقد أفاد وأجاد، ومنه استفدت تخريج هذا الحديث.

(*) زاد في الأصل: « حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فلا يفتح له، ثم قرأ ﷺ: ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾، قال: ثم يعود، قال في روح الكافر، وهو خطأ من الناسخ فقد انتقل بصره إلى الحديث السابق.

(**) في الأصل: « فيقول ».

(1) برقم (٣٠١٤ ـ إحسان).

(2) في « مستدركه » (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) وقال: هذه الأسانيد كلها صحيحة.

(3) وأخرجه النسائي في « السنن الكبرى » (١٩٥٩)، وفي المجتبى (٤/ ٨) برقم (١٨٣٣)، وانظر لمزيد من التخريج كتابي « الجامع الصحيح في أهوال النار وسبل النجاة منها » ص ٢٦ ـ ٢٨طبعة « دار الضياء » بطنطا ـ ج. م. ع.

(***) من المطبوع.

(4) أخرجه ابن جرير (٣٠ / ٩٤).

فصل
[البحار تسجر يوم القيامة]

روى الإمام أحمد [(١)] ، بإسناد فيه نظر، عن يعلى بن أمية، عن النبي ﷺ، قال: « البحر هو جهنم » ، فقالوا ليعلى ، قال: ألا ترون أن الله عز وجل يقول: ﴿ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩]. ألا والذي نفس يعلى بيده، لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل .

وهذا إن ثبت، فالمراد به أن البحار تفجر يوم القيامة، فتصير بحراً واحداً، ثم تسجر ويوقد عليها، فتصير ناراً، وتزاد في جهنم.

وقد فسر غير واحد من السلف قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦] بنحو هذا.

روى المبارك بن فضالة، عن كثير بن أبي محمد، عن ابن عباس قال: تسجر حتى تكون ناراً.

وروى مجالد، عن شيخ من بجيلة ، عن ابن عباس ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: تكور الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث الله عليها ريحًا دبوراً، فتنفخه حتى يرجع ناراً. خرجه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم [(٢)] .

وخرج ابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم أيضًا، من طريق مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] قال: هو هذا البحر تنتثر الكواكب فيه، وتكور الشمس والقمر، فيكون هو جهنم.

---

(١) (٤ / ٢٢٣) . قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٦) : رواه أحمد ورجاله ثقات.
(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٤٠٥) برقم (١٩١٥٧) .

وروى ابن جرير [1] بإسناده، عن سعيد بن المسيب، عن علي أنه قال لرجل من اليهود: أين جهنم ؟ قال: البحر، قال علي: ما أراه إلا [ق/ ١٥ ب] صادقًا، قال تعالى: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : ٦]، وقال : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦].

وروى آدم بن أبي إياس في « تفسيره » عن حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب، قال: قال علي ليهودي: أين جهنم ؟ قال: تحت البحر، قال علي: صدق، ثم قرأ : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦] وخرجه في موضع آخر منه، وفيه ثم قال ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : ٦] .

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦] قال: قالت الجن للإنس: نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تأجج.

وعن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، قال: إن البحر الأخضر هو جهنم.

وروى أبو نعيم [2] بإسناده، عن كعب في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (إبراهيم : ٤٨] قال: تبدل السموات فتصير جنانًا، وتبدل الأرض فيصير مكان البحر النار .

وقد سبق عن ابن عباس أنه قال: النار تحت سبعة أبحر مطبقة .

وروي عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، أنه قال: لا يتوضأ بماء البحر ؛ لأنه طبق جهنم .

وكذا قال سعيد بن أبي الحسن البصري : البحر طبق جهنم .

وفي سنن أبي داود [3] عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، عن النبي

---

(١) في تفسيره (٣٠/ ٦٧) .

(٢) في « الحلية » (٥ / ٣٧٠) .

(٣) برقم (٢٤٨٩) وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (٤٧٨) .

ﷺ، قال: « لا تركب البحر إلا حاجًا أو معتمراً أو غازيًا في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً » .

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده، عن معاوية بن سعيد، قال: إن هذا البحر - يعني بحر الروم - وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر.

وذكر ابن أبي الدنيا عن العباس أبي يزيد البحراني، قال: سمعت الوليد بن هشام وقلت له: عمن أخذت هذا ؟ .

قال: عن رجل من أهل الكتاب، أسلم فحسن إسلامه، قال: لما التقم الحوت يونس عليه السلام جال به في الأبحر السبعة، فلما كان آخر ذلك، انتهى به الحوت إلى قعر البحر، موضع يلي قعر جهنم، فسبح يونس في بطن الحوت، فسمع قارون تسبيحه وهو في النار، وذكر بقية الخبر.

وروى قيس بن الربيع، عن عبيد المكتب، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ : « إن جهنم محيطة بالدنيا، وإن الجنة من ورائه(*)، فلذلك كان الصراط على جهنم طريقًا إلى الجنة » غريب منكر.

وقد روي عن بعضهم ما يدل على أن النار في السماء.

وروي عن مجاهد قال في قوله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] قال: الجنة والنار، وكذا قال جويبر عن الضحاك.

وروى عاصم، عن زر، عن حذيفة، أن النبي ﷺ، قال: « أوتيت بالبراق، (فلم نزايل)(**) طرفه أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس، وفتحت لنا أبواب السماء، ورأيت الجنة والنار » خرجه الإمام [1] أحمد وغيره [2] ، وقال في رواية

(*) كذا بالأصل .

(**) في حاشية الأصل أنها في نسخة : « فما تزايل » .

(١) (٥ / ٣٩٢ ، ٣٩٤) .

(٢) وأخرجه الطيالسي في « مسنده » (٤١١) .

المروذي: في حديث حذيفة، أن النبي ﷺ قال: « رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء، فقرأت هذه الآية: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] » . فكأني لم أقرأها قط، وهو تصديق لما قاله حذيفة، نقله عنه الخلال في « كتاب السنة » وهذا اللفظ الذي احتج به الإمام أحمد [ق/ ١١٦] لم نقف عليه بعد في حديثه، وإنما روي عنه ما تقدم.

وروي عن حذيفة، أنه قال: والله ما زايل البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء، ورأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع [١] . ولم يرفع [*] ، وهذا كله ليس بصريح في أنه رأى النار في السماء كما لا يخفى .

وأيضًا، فعلى تقدير صحة ذلك اللفظ، لا يدل على أن النار في السماء، وإنما يدل على أنه رآها في السماء، والميت يرى في قبره الجنة والنار وليس الجنة في الأرض.

وقد رأى النبي ﷺ، في صلاة الكسوف، الجنة والنار وهو في الأرض[٢]، وكذلك في بعض طرق حديث الإسراء حديث أبي هريرة، أنه مر على أرض الجنة والنار، في مسيره إلى بيت المقدس، ولم يدل شيء من ذلك على أن الجنة في والأرض، فحديث حذيفة إن ثبت فيه أنه رأى الجنة والنار في السماء، فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئي، والله أعلم.

وفي حديث أبي هارون العبدي، وهو ضعيف جداً ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في صفة الإسراء، أنه ﷺ ، رأى الجنة والنار فوق السموات، ولو صح لحمل على ما ذكرناه أيضًا.

وقد روى القاضي أبو يعلى، بإسناد جيد، عن أبي بكر المروذي، أن الإمام أحمد فسر له آيات متعددة من القرآن ، فكان مما فسره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(*) في حاشية الأصل في نسخة : « يرفعه » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٣١) من حديث ابن عباس ، (٥٤٠) من حديث أنس وأخرجه مسلم (٩٠٤) من حديث جابر .

سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦] قال: أطباق النيران، ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور: ٦] قال: جهنم، وهذا يدل على أن النار في الأرض، ورواه الخلال عن المروذي ، والله أعلم.

وأما المروي عن مجاهد، فقد تأوله بعضهم على أن المراد أن أعمال الجنة والنار مقدرة في السماء من الخير والشر، وقد صرح بذلك مجاهد في رواية أخرى عنه.

وقد ورد في بعض طرق حديث الإسراء، أنه ﷺ رأى جهنم في طريقه إلى بيت المقدس.

وروي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه وقف على سور بيت المقدس الشرقي يبكي، وقال: من ههنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم [1].

***

---

(١) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » (٢٢٩) ، وعنه أبو نعيم في الحلية (٦ / ١٢٩) وقال أبو نعيم : غريب من حديث سعيد ، لم نكتبه عاليًا إلا من هذا الوجه ، ورواه الوليد بن مسلم في جماعة عن سعيد مثله ، والضياء في « المختارة » (٨ / ٣٣٢) برقم (٤٠٤).

وأخرجه أيضًا المقدسي في « فضائل بيت المقدس » (٨) .

قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٦) : رواه الطبراني ، ويزيد لم أعرفه ، وفيه ضعفاء قد وثقوا .

الباب السادس
في ذكر طبقاتها وأدراكها وصفتها

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥].

وقد قرئ بسكون الراء وتحريكها، وهما لغتان .

قال الضحاك: الدرج إذا كان بعضها فوق بعض، والدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض.

وقال غيره: الجنة درجات، والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات أيضًا، كما قال تعالى، بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢].

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٦٢ ـ ١٦٣].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً.

وروى ابن أبي الدنيا، بإسناده عن عكرمة، في قوله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٤]. قال: لها سبعة أطباق.

وعن قتادة: « لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ». قال: هي والله [ق/ ١٦ ب] منازل بأعمالهم.

وعن يزيد بن أبي مالك الهمداني قال: لجهنم سبعة نيران: تأتلق: ليس منها نار إلا وهي تنظر إلى التي تحتها، مخافة أن تأكلها.

وعن ابن جريج في قوله: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية وفيها أبو جهل.

وروى سلام المدائني - وهو ضعيف - عن الحسن، عن أبي سنان، عن الضحاك، قال: للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدراك بعضها على بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد، يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون منها، وفي الثانية اليهود، وفي الثالث النصارى، والرابع الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع المنافقون، وهو قوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥].

وروى العلاء بن المسيب، عن أبيه، وخيثمة بن عبد الرحمن، قالا: قال ابن مسعود: أي أهل النار أشد عذابًا، قالوا: اليهود والنصارى والمجوس، قال: لا، ولكن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، في توابيت من نار، مطبقة عليهم، ليس لها أبواب [(١)].

وروى عاصم [(٢)]، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥]. قال : الدرك الأسفل، بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فيوقد من فوقهم ومن تحتهم، وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦].

وقال ابن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن [عبيد الله] [(*)] بن زحر، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٠٤) من هذا الطريق ، وأخرج ابن جرير في تفسيره (٥ / ٣٣٨ ـ دار الفكر) عن ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ . قال : في توابيت من حديد مبهمة عليهم .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن عاصم به ، كما في تفسير ابن كثير (١/ ٥٧١ ـ دار الفكر) .

(*) في الأصل : « عبيد » والمثبت من المطبوع ، وهو الصواب .

أبي يسار قال: الظلة من جهنم فيها سبعون زاوية، في كل زاوية صنف [*] من العذاب ليس في الأخرى.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن كعب، قال: اقتحام العقبة في كتاب الله، يعني قوله: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ . سبعون درجة في النار [1] .

وعن ضمرة قال: سمعت أبا رجاء قال: بلغني أن العقبة التي ذكر الله في كتابه، مطلعها سبعة آلاف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة .

وعن عطية، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال في العقبة: جبل في جهنم، أفلا أجاوزه بعتق رقبة [2] ؟ !

وعن مقاتل بن حيان، قال: هي عقبة في جهنم ، قيل: بأي شيء تقطع؟ قال: فك رقبة.

وفي « الصحيحين » [3] ولفظه للبخاري، عن ابن عمر قال: رأيت في المنام أنه جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مقمعة [4] من حديد، ثم لقيني ملك في يده مقمعة من حديد، فقال : لن ترع، نعم الرجل أنت لو كنت تكثر الصلاة من الليل، فانطلقوا بي، حتى وقفوا بي على شفير [5] جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيهم رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ ، فقال: « إن عبد الله رجل صالح»

(*) في الأصل : « ضعف » والمثبت من المطبوع .

(1) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٥١٤) .

(2) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٣٠ / ٢٠١) دون قوله : أفلا أجاوزه . . .

(3) أخرجه البخاري (١١٢١ ، ١١٢٢) ، ومسلم (٢٤٧٩) .

(4) « مقمعة » : هي سياط تعمل من حديد ، رءوسها معوجة .

(5) « شفير » جانبه وحرفه .

الباب السابع
في ذكر قعرها وعمقها

عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: إنه ذكر لنا [ق/ ١١٧] أن الحجر يلقى من شفير جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا، ما يدرك قعرها، والله لتملأن، أفعجبتم؟ خرجه هكذا مسلم موقوفًا (١)، وخرجه الإمام أحمد موقوفًا ومرفوعًا (٢)، والموقوف أصح.

وخرج الترمذي (٣) من حديث الحسن، قال: فإن عتبة بن غزوان خطبنا على منبرنا هذا - يعني منبر البصرة - عن النبي ﷺ، قال: «**إن الصخرة العظيمة لتلقي من شفير جهنم، فتهوي فيها سبعين عامًا، ما تفضي إلى قعرها**»، قال: وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد، ثم قال: لا يعرف للحسن سماع من عتبة بن غزوان.

وخرج مسلم أيضًا (٤)، من حديث أبي هريرة، قال: كنا عند النبي ﷺ يومًا، فسمعنا وجبة (٥) فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها**».

وخرج أيضًا (٦) من وجه آخر عن أبي هريرة قال: والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون (*) خريفًا».

---

(١) برقم (٢٩٦٧).
(٢) في «المسند» (٤ / ١٧٤).
(٣) برقم (٢٥٧٨).
(٤) برقم (٢٨٤٤).
(٥) الوجبة: السقطة مع الهدة. أي مع صوت السقوط.
(٦) برقم (١٩٥).
(*) في الأصل: «سبعين» والمثبت من «صحيح مسلم».

وخرج الحاكم [1] ، من حديث أبي هريرة أيضًا، عن النبي ﷺ ، قال: «**لو أخذ سبع خلفات [2] بشحومهن، فألقين من شفير جهنم، ما انتهين إلى آخرها سبعين عامًا**».

وخرج البزار [3] والطبراني [4] ، من حديث بريدة عن النبي ﷺ، قال: «**إن الحجر ليزن سبع خلفات، يرمى به في جهنم، فيهوي سبعين خريفًا ما يبلغ قعرها**».

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» [5] من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ ، قال: «**لو أن حجرًا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعرها**» .

وقد سبق من حديث أنس وأبي سعيد، معنى حديث أبي هريرة، في سماع الهدة.

وقال ابن المبارك: أنبأنا يونس عن الزهري، قال: بلغنا أن معاذ بن جبل، كان يحدث عن النبي ﷺ ، قال: «**والذي نفسي بيده إن ما بين شفة النار وقعرها، كصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن، تهوي من شفة النار، قبل أن تبلغ قعرها، سبعين خريفًا**» [6] .

---

(١) في المستدرك (٤ / ٦٠٦) وقال الذهبي : سنده صالح ، قلت : في إسناده عقبة بن أبي الحسناء قال عنه الذهبي في الميزان (٣ / ٨٤) : مجهول .
وللحديث رواية أخرى عند الحاكم (٤/ ٥٩٧) عن أبي هريرة وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) خلفات : جمع خلفة ، وهي الحامل من النوق .

(٣) ص ٣١٥ ـ زوائد .

(٤) في الكبير (٢ / ١١٥٨) ، وفي الأوسط (٥٤٥٩) وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن علقمة بن مرثد إلا محمد بن أبان ، ولا يروى عن بريدة إلا بهذا الإسناد . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٩) من رواية أبي موسى ، وقال : رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف .

(٥) برقم (٢٦٠٩ ـ موارد) وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ـ رحمه الله ـ برقم (١٦١٢).

(٦) أخرجه نعيم في زوائده على زهد ابن المبارك (٣٠١) ، والطبراني في الكبير (٢٠/ =

قال ابن المبارك، أنبأنا هشيم أخبرني زكريا بن أبي مريم الخزاعي، قال: سمعت أبا أمامة يقول: إن ما بين شفير جهنم، مسيرة سبعين خريفًا، من حجر يهوي، أو صخرة تهوي، عظمها كعشر عشروات عظام سمان فقال له رجل: هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة ؟ قال: نعم، غي وآثام [1] .

وقد روي هذا مرفوعًا بإسناد فيه ضعف، من طريق لقمان بن عامر، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ ، وزاد فيه: قلت: وما غي وآثام ؟ قال: « **بئران يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه** » ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] وفي الفرقان ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] ، والموقوف أصح[2] .

وقد روي من وجه آخر: قال حريز بن عثمان: حدثني عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي، عن أبي أمامة، أنه كان [ق/ ١٧ب] يقول: إن جهنم ما بين شفتيها إلى قعرها خمسون خريفـًا للحجر المتردي، والحجر مثل سبع خلفات مملوآت شحمًا ولحمًا. خرجه الجوزجاني.

= ٣٦١) .

قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٠) : وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٨٨) من طريق هشيم به .

قال ابن عدي في الكامل (٣ / ٢١٤) : وهشيم يروي عن زكريا بن أبي مريم القليل، وليس فيما روى عنه هشيم حديث له رونق وضوء . ونقل العقيلي سؤال ابن مهدي لشعبة : لقيت زكريا بن أبي مريم سمع من أبي أمامة ؟ فجعل يتعجب ، ثم ذكره فصاح صيحة . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٥٩٣) : دل صيحة شعبة أنه لم يرض زكريا .

(٢) أخرجه الطبري (١٦ / ١٠٠) والطبراني في الكبير (٨ / ٧٧٣١) وفي مسند الشاميين (١٥٨٩) من طريق لقمان به . قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٩) : وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان وقال : يخطئون.

وأورده ابن كثير في تفسيره (٣ / ١٢٩) وقال : هذا حديث غريب ورفعه منكر .

وروى مجالد عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال: «**ما من حاكم يحكم بين الناس** (*) **، إلا يحبس يوم القيامة، وملك آخذ بقفاه، حتى يقفه على جهنم، ثم يرفع رأسه إلى الله عز وجل، فإن قال له: ألقه، ألقاه في مهوى أربعين خريفًا**» خرجه الإمام أحمد (1) .

وروى عبيد الله بن الوليد الوصافي، حدثنا عبد الله بن [عبيد بن] (**) عمير، عن أبيه، قال: قال أبو ذر لعمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يجاء بالوالي يوم القيامة، فينبذ به على جسر جهنم، فيرتج به الجسر ارتجاجة، لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فإن كان مطيعًا لله في عمله مضى به، وإن كان عاصيًا لله في عمله انخرق به الجسر، فهوى في جهنم مقدار خمسين عامًا**» .

فقال له عمر: من يطلب العمل بعد هذا ؟ .

قال أبو ذر: من سلت الله أنفه، وألصق خده بالتراب.

فجاء أبو الدرداء، فقال له عمر: يا أبا الدرداء هل سمعت من النبي ﷺ حديثًا حدثني به أبو ذر ؟ .

قال: فأخبره أبو ذر، فقال: نعم ومع الخمسين خمسون عامًا، يهوي به إلى النار (2).

الوصافي لا يحفظ الحديث، وكان شيخًا صالحًا رحمه الله.

وروى سويد بن عبد العزيز ـ وفيه ضعف شديد ـ عن سيار، عن أبي وائل،

(*) في « الأصل : « الاثنين » وفي الحاشية : « صوابه : الناس » ، وهو الموافق لما في «المسند» .

(1) (1 / 430) وقال الدارقطني في العلل (5/ 249) : يرويه مجالد عن الشعبي عن مسروق ، رفعه يحيى بن سعيد القطان عن مجالد ، وتابعه علي بن صالح ، ووقفه عبد الرحيم بن سليمان وهشيم ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجالد ، والموقوف هو الصحيح .

(**) من المطبوعَ » .

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (248) .

أن أبا ذر قال لعمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكر معناه، وفي حديثه: «**وإن كان مسيئًا انخرق به الجسر، فهوى في قعرها سبعين خريفًا**»[1].

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال: أخبرني يزيد بن يزيد بن جابر، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، أن أبا ذر وسلمان قالا لعمر: سمعنا النبي ﷺ يقول، فذكراه بمعناه، وقال: «**هوى به في النار سبعين خريفًا**»[2].

وفي «الصحيحين»[3] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب**».

وخرج الإمام أحمد[4] والترمذي[5] وابن ماجه[6]، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة، لا يرى بها باسًا، يهوي بها في النار سبعين خريفًا**».

وخرج البزار[7] نحوه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ.

وفي تفسير ابن جرير[8]، من رواية العوفي، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] قال: ذكر أن اليهود

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٥٩١)، والطبراني في الكبير (٢ / ١٢١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٦): وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٨)، وفي «الحلية»: حدثني يزيد بن مزيد عن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٤) (٢ / ٢٣٦).

(٥) برقم (٢٣١٤) وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

(٦) برقم (٣٩٧٠) وقال البوصيري (٤ / ١٧٧): هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن إسحاق.

(٧) في «مسنده» (١٧٣٢) وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٧): فيه من لم أعرفهم.

(٨) (١ / ٣٨١).

وجدوا في التوراة مكتوبًا، أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم، نابتًا في أصل الجحيم .

وكان ابن عباس يقول: إن الجحيم سقر، وفيها شجرة الزقوم، فزعم أعداء الله: إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أيامًا معدودة، [ق/ ١١٨] إنما يعني بذلك السير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم، فقالوا: إذا خلا العدد انقضى الأجل، فلا عذاب، وتذهب جهنم وتهلك، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة : ٨٠] [ق/ ١١٨] يعنون بذلك الأجل.

فقال ابن عباس: لما اقتحموا من باب جهنم، ساروا في العذاب، حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة وهي أربعون سنة، فلما أكلوا من شجرة الزقوم وملؤوا البطون آخر يوم من الأيام المعدودة، قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أيامًا معدودة، وقد خلا العدد، وأنتم في الأبد، فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون.

ففي هذه الرواية عن ابن عباس، أن قعر جهنم ومسافة عمقها أربعون عامًا وأن ذلك هو معنى ما في التوراة، ولكن اليهود حرفوه، فجعلوه مسافة مابين طرفيها، وزعموا أنها إذا انقضت هذه المدة، أن جهنم تخرب وتهلك، وأن ذلك من كذبهم على الله، وتحريفهم التوراة.



فصل
سعة جهنم طولا وعرضًا

وأما سعة جهنم طولاً وعرضًا.

فروى مجاهد، عن ابن عباس، قال: أتدرون ما سعة جهنم ؟ .

قلنا: لا.

قال: أجل، والله ما تدرون، أن ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعين خريفًا، تجري فيه أودية القيح والدم .

قلنا: أنهار ؟ قال: لا، بل أودية.

ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم ؟ .

قلنا: لا:

قال: حدثتني عائشة، أنها سألت رسول الله ﷺ، عن قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر : ٦٧] فأين الناس يومئذ؟ .

قال:« على جسر جهنم » .

خرجه الإمام أحمد (١) ، وخرج النسائي (٢) والترمذي (٣) منه المرفوع، وصححه الترمذي، وخرجه الحاكم (٤)وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) (٦ / ١١٦) .

(٢) في الكبرى (١١٤٥٣) .

(٣) برقم (٣٢٤١) وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٤) في مستدركه (٢ / ٤٧٣) .

الباب الثامن
في ذكر أبوابها وسرادقها

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر : ٤٣ ـ ٤٤].

وخرج الإمام أحمد [(١)] والترمذي [(٢)] ، من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ، قال: « **إن لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل سيفه على أمتي** » .

وخرج الإمام أحمد [(٣)] ، من حديث عتبة بن عبد السلمي، عن النبي ﷺ، قال: « **إن للجنة ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض** » .

وفي حديث أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ ، قال: «**لعَمْرُ إلهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا ويسير الراكب بينهما سبعين عامًا**» . خرجه عبد الله بن الإمام أحمد [(٤)] ، وابن أبي عاصم [(٥)] ، والطبراني[(٦)]، والحاكم [(٧)] ،

---

(١) (٢ / ٩٤) .

(٢) برقم (٣١٢٣) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول . انتهى. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٦٦١) .

(٣) (٤ / ١٨٥ ـ ١٨٦) مطولا . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٩١) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح خلا أبي المثنى الأملوكي وهو ثقة .

(٤) في زوائده على المسند (٤ / ١٣ ـ ١٤) مطولاً . ووقع في المطبوع زيادة : « حدثني أبي » وهي مقحمة ، وقد أخرجه عبد الله في « السنة » (٢ / ٤٨٥) . وأورده الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٣٨ ـ ٣٤٠) وقال : رواه عبد الله والطبراني بنحوه ، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ، ورجالها ثقات ، والإسناد الآخر ،وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطًا

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٣٦) مطولا . وقال الألباني : إسناده ضعيف .

(٦) (١٩ / ٤٧٧) مطولاً أيضًا .

(٧) (٤ / ٦٠٥ ـ ٦٠٧) وقال : صحيح الإسناد كلهم مدنيون ولم يخرجاه .

وغيرهم.

وخرج البيهقي[1] ، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، عن النبي ﷺ في حديث المرور على الصراط، وقال فيه: « **فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومطروح فيها** » ﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ** [ق/ ١٨ ب] **لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ** ﴾ [الحجر : ٤٤].

وروى أبو إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن علي، قال: أبواب جهنم سبعة، بعضها فوق بعض، وقال بإصبعه، وعقد خمسين، وأضجع يده، ثم تمتلئ الأول والثاني والثالث حتى عقدها كلها. خرجه ابن أبي حاتم وغيره [2] ، ورواه بعضهم عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بمعناه.

وخرج ابن أبي حاتم [3] ، عن حطان الرقاشي، قال: سمعت عليًّا يقول: هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ .

قلنا: هي مثل أبوابنا .

قال: لا ، هي هكذا، بعضها فوق بعض.

وفي رواية له أيضًا: بعضها أسفل من بعض، وخرجه البيهقي، ولفظه: أبواب جهنم هكذا، ووضع يده اليمنى على ظاهر يده اليسرى.

وعن ابن جريج، في قوله تعالى : ﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ** ﴾ قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم وفيها أبو جهل، ثم الهاوية. خرجه ابن أبي الدنيا [4]وغيره.

وقال جويبر، عن الضحاك: سمى الله أبواب جهنم، لكل باب منهم جزء

---

(١) في « البعث » (٤٥٩) .

(٢) وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ٣٥) به .

(٣) وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٩٤) به .

(٤) في « صفة النار » (٨) .

مقسوم: باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمجوس، وباب للصابئين، وباب للمنافقين، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب، وباب لأهل التوحيد، يرجى لهم ولا يرجى للآخرين. خرجه الخلال.

قال آدم بن أبي إياس: أنبأنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن ميسرة، في قوله: ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر : ٧٢]. قال: لجهنم سبعة أبواب، بعضها أسفل من بعض.

وقال عطاء الخراساني: إن لجهنم سبعة أبواب، أشدها غمًّا وكربًا وحرًّا، وأنتنها ريحًا، للزناة الذين ركبوه بعد العلم. خرجه أبو نعيم.

وعن كعب قال: لجهنم سبعة أبواب، باب منها للحرورية .

وهذا كله حديث ابن عمر (*) المتقدم، يدل على أن كل باب من الأبواب السبعة لعمل من الأعمال السيئة، كما أن أبواب الجنة الثمانية، كل باب منها لعمل من الأعمال الصالحة.

وعن وهب بن منبه قال: بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حرًّا من الذي فوقه.

وخرج الثعلبي في تفسيره بإسناد مجهول إلى منصور بن عبد الحميد بن أبي رباح، عن أنس، عن بلال، أن أعرابية صلت خلف النبي ﷺ، فقرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ . [الحجر : ٤٤]

فخرت مغشيًّا عليها، فلما أفاقت قالت: يا رسول الله، كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منهم .

فقال رسول الله ﷺ: «لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب على كل باب على قدر أعمالهم» .

فقالت: مالي إلا سبعة أعبد أشهدك أن كل عبد منهم لكل باب من أبواب

(*) كذا بالأصل ، ولعل السياق : « وهذا كله مع حديث ابن عمر » .

جهنم لوجه الله تعالى .

فجاء جبريل فقال: « **بشرها أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم**» وهذا حديث لا يصح مرفوعًا، ومنصور بن عبد الحميد قال فيه ابن حبان: لا تحل الرواية عنه .

والصحيح ما روى مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان، قال: خرجنا حجاجًا فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ** ﴾ فسمعته امرأة، فقالت: أعد رحمك الله.

فأعادها، فقالت: خلفت في البيت سبعة أعبد أشهدكم أنهم أحرار لكل باب منهم واحد . خرجه ابن أبي الدنيا.

وخرج البيهقي [1] من حديث الخليل بن مرة، أن النبي ﷺ ، كان لا ينام حتى يقرأ « تبارك » و« حم» السجدة وقال: « **الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم**» .

وقال: **تجيء كل حم منها يوم القيامة**، أحسبه قال: **تقف على باب من هذه الأبواب فتقول: « اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني»** .

وقال: هذا منقطع، والخليل بن مرة فيه نظر.

وروى ابن أبي الدنيا من طريق عبد العزيز بن أبي رواد، قال: كان بالبادية رجل قد اتخذ مسجداً، فجعل في قبلته سبعة أحجار، فكان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله.

قال: فمرض الرجل فعرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار، فرأيت حجراً من تلك الأحجار ـ أعرفه بعينه ـ قد عظم، فسد عني بابًا من أبواب جهنم، حتى قال: سد عني بقية الأحجار أبواب جهنم السبعة.

***

---

(١) في « البعث » (٤٦١) .

فصل
وقد وصف الله
أبوابها أنها مغلقة على أهلها

فقال: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [الهمزة : ٨].

وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [البلد : ٢٠].

قال مجاهد: هي بلغة قريش: أصد الباب أي : أغلقه يعني قوله﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾.

وقال مقاتل: يعني أبوابها مطبقة عليهم، فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح، آخر الأبد.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، خرجه ابن مردويه، من طريق شجاع بن أشرس قال: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ قال: مطبقة» [1] ولكن رفعه لا يصح.

فقد خرجه آدم بن أبي إياس، في تفسيره، عن شريك بهذا الإسناد، موقوفًا على أبي هريرة، ورواه إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، من قوله، ولم يذكر فيه أبا هريرة. وكذاك قال عطاء الخراساني وغيره في المؤصدة: إنها المطبقة.

وعن الضحاك قال: حائط لا باب له، ومراده ـ والله أعلم ـ أن الأبواب أطبقت فصار الجدار، كأنه لا باب له .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٨ ـ ٩] . معناه: أطبقت عليهم بعمد.

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٩) قال ابن كثير : وقد رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح قوله ، ولم يرفعه .

قال قتادة: وكذلك هو في قراءة عبد الله بعمد بالباء .

قال عطية: هي عمد من حديد في النار .

وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شدت بأوتاد من حديد، [ق/١٩ ب] حتى يرجع عليهم غمها وحرها.

وعلى هذا فقوله: ﴿ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾ صفة للعمد يعني أن العمد التي أوثقت بها الأبواب ممددة مطولة، والممدود الطويل أرسخ وأثبت من القصير.

وفي تفسير العوفي عن ابن عباس، في قوله: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾ قال: هي عليهم مغلقة، أدخلهم في عمد، فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل، فسدت بها الأبواب [١].

وقيل: إن الممددة صفة للأبواب . رواه شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس [٢].

وقيل: المراد بالعمد المددة: القيود الطوال.

رواه إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح .

وروى أبو جناب [*] الكلبي، عن زبيد، عن إبراهيم، قال عبد الله بن مسعود، في قوله تعالى: ﴿ عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾ قال: هي الأدهم، وقد تقدم أن عبد الله كان يقرؤها بعمد، والأدهم: الغيل [**].

وكذا قال ابن زيد في قوله: ﴿ عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾ قال: في عمد من حديد مغلولين فيه، وكذلك العمد من نار وقد احرقت بالنار ، فهي نار ممددة لهم .

وقيل: إن المراد بالعمد المددة: الزمان الذي لا انقطاع له ، قاله أبو فاطمة .

وقال السدي: من قرأها في عمد يعنى بالفتح، فهي عمد من نار، ومن قرأها في عمد بالضم، فهو أجل ممدود.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٣٠ / ٢٩٥) بإسناد مسلسل بالضعفاء .

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٩) بهذا الإسناد .

(*) في الأصل : « خباب » والصواب ما أثبتناه .

(**) في المطبوع : « القيد » .

وقال سعيد بن بشير عن قتادة: ﴿ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أي مطبقة، أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها، ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد.

وهذا الإطباق نوعان:

أحدهما: خاص لمن يخلد في النار، أو من يريد الله التضييق عليه، أجارنا الله من ذلك .

قال أبو توبة اليزني: إن في النار أقوامًا مؤصدة عليهم، كما يطبق الحق على طبقه. خرجه ابن أبي الدنيا .

والثاني: الإطباق العام، وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها.

وقد قال سفيان، وغيره، في قوله تعالى: ﴿ **لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: هو إطباق النار على أهلها.

وفي حديث مسكين أبي فاطمة، عن اليمان بن يزيد، عن محمد بن حمير، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ ، في خروج الموحدين من النار، قال: **ثم يبعث الله ملائكة، معهم مسامير من نار، وأطباق من نار، فيطبقونها على من بقي فيها، يسمرونها بتلك المسامير، يتناساهم الجبار على عرشه من رحمته، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم" خرجه الإسماعيلي وغيره، وهو حديث منكر، قاله الدارقطني** (١).

وروى ابن أبي حاتم بإسناده، عن سعيد بن جبير، قال: ينادي رجل في شعب من شعاب النار مقدار ألف عام: يا حنان يا منان.

فيقول الله تعالى: يا جبريل، أخرج عبدي، فيجدها مطبقة، فيقول: إنها مطبقة عليهم مؤصدة مطبقة (*).

(*) كذا بالأصل .

(١) وقال الذهبي في الميزان (٤ / ٤٦١) في ترجمة يمان بن يزيد ، عن محمد بن حمير بخبرٍ طويل في عذاب الفساق ، أظنه موضوعًا .

وقال قتادة: عن أبي أيوب العتكي، عن عبد الله [ق/ ١٢٠] بن عمرو: إذا أجاب الله أهل النار بقوله: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] أطبقت عليهم، فلم ييأس القوم إلا بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق[١].

وقال أبو الزعراء، عن ابن مسعود: وإذا قيل لهم ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد[٢].

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة، التي أمر الله بكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، وكل من يخاف الناس شره في الدنيا ، فإذا وثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم ، ثم أوصدوها عليهم ، قال: فلا والله، لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا، ولا والله، لا ينظرون فيها إلى أديم السماء أبدًا، ولا الله، لا تلتقي جفون أعينهم على غمض أبدًا، ولا والله، لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا.

وفي معنى إطباق النار على أهلها، يقول بعض السلف رضي الله عنهم : ألبسوا النضيح من النحاس، ومنعوا خروج الأنفاس، فالأنفاس في أجوافهم تتردد، والنيران على أبدانهم تتوقد، وقد أطبقت عليهم الأبواب، وغضب عليهم رب الأرباب.

وأنشد بعضهم في هذا :

لو أبصرت عيناك أهل الشقـا ... سيقوا إلى النار، وقد أحرقوا

يصلونها حين عصوا ربهــم ... وخالفوا الرسل وما صدقــوا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣ / ١٥٢ ـ ١٥٣) برقم (١٥٩٦٩) ، وعنه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٦٨) بمعناه .

(٢) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩ / ٩٧٦١) ، والحاكم (٤ / ٥٩٨ ـ ٦٠٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله : ما احتجا بأبي الزعراء . وأخرجه البيهقي في « البعث » (٥٩٨).

تقول أخراهم لأولاهـــم في لجج المهل وقد أغرقـــوا

قد كنتم حُذِّرتم حـــرها لكن من النار لم تفرقـــوا

وجيء بالنيران مزمومـــة شرارها من حولها مُحـــرقُ

وقيل للنيران أن أحـــرقي وقيل للخُزان أن أطبقـــوا

وقد ورد في بعض أحاديث الشفاعة، فتح باب النار، فخرج الطبراني [1] من رواية العباس بن عوسجة، قال : حدثني مطر أبو موسى مولى آل طلحة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: « إني آتي جهنم، فأضرب بابها، فيفتح لي، فأدخلها، فأحمد الله بمحامد ما حمده أحد قبلي مثلها، ولا يحمده أحد بعدي، ثم أخرج منها من قال: لا إله إلا الله مخلصاً، فيقوم إليَّ ناس من قريش فينتسبون إليَّ، فأعرف نسبهم، ولا أعرف وجوههم، فأتركهم في النار».

إسناده ضعيف .



(١) في « الأوسط » برقم (٣٨٤٥) مطولاً ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن العباس بن عوسجة إلا أبو معشر البراء ، تفرد به أبو كامل الجحدري .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٧٩) : رواه الطبراني في « الأوسط » عن شيخه علي بن سعيد الرازي ، وفيه لين ، وفيه من لم أعرفه .

فصل
[إحاطة سرادق جهنم بالكافرين]

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩]

قال الزجاج: السرادق: كل ما أحاط بشيء نحو المشقة في الغرب أو الحائط المشتمل به على الشيء .

وقال ابن قتيبة: السرادق : الحجرة التي تكون حول الفسطاط.

وقيل: الدهليز وهو معرب، وأصله بالفارسية سرادار.

وقال ابن عباس: هو سرادق من نار.

وروى ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: « السرادق في النار أربعة جدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة» خرجه الترمذي [1].

وإحاطة السرادق بهم قريب من المعنى المذكور في غلق الباب ، [ق/ ٢٠ ب] وهو شبه قول من قال: إنه حائط لا باب له.

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجبًا لكربهم وغمهم، وعطشهم، لشدة وهج النار عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف : ٢٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[الحج : ٢١ ـ ٢٢] .

---

(١) برقم (٢٥٨٤) وقال الترمذي : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه .

قال أبو معشر: كنا في جنازة مع أبي جعفر القاري، فبكى أبو جعفر، ثم قال: حدثني زيد بن أسلم، أن أهل النار لا يتنفسون، فذلك الذي أبكاني. خرجه الجوزجاني.

وخرج ابن أبي حاتم، من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، قال: على كل باب من أبواب النار سبعون ألف سرادق من نار، في كل سرادق منها سبعون ألف قبة من نار، في كل قبة منها سبعون ألف تنور من نار، في كل تنور منها سبعون ألف كوة من نار، في كل كوة منها سبعون ألف صخرة من نار، على كل صخرة منها سبعون ألف حجر من نار، على كل حجر منها سبعون ألف عقرب من نار، لكل عقرب منها سبعون ألف ذنب من نار، لكل ذنب منها سبعون ألف فقارة من نار، في كل فقارة منها سبعون ألف قلة من سم، وسبعون ألف موقد من نار، يوقدون تلك النار، وذكر تمام الحديث.

وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى، وفيه: إنهم يهوون من باب إلى باب، خمسين (*)سنة.

وهو غريب ومنكر.

وإبراهيم بن الحكم بن أبان ضعيف تركه الأئمة.

***

(*) وفي حاشية الأصل أنها في نسخة: « خمسمائة » .

فصل
وأبواب جهنم قبل دخول أهلها إليها يوم القيامة مغلقة

كما دل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر : ٧١] الآية .

وفي حديث أبي هارون العبدي، وهو ضعيف جدًا ، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ ، في قصة الإسراء، قال:

« **ثم عرضت علي النار، فإذا فيها غضب الله ورجزه ونقمته، لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أغلقت دوني**»[١].

وقد روي، أن أبوابها تفتح كل يوم نصف النهار، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وروى الإمام أحمد، عن إسحاق الأزرق ، عن شريك، عن الركين ، عن أبيه، قال: رأى خباب بن الأرت رجلاً يصلي نصف النهار، فنهاه، وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب جهنم فلا تصل فيها.

وقد ورد ما يستدل به على أنها مفتحة .

ففي الصحيحين [٢] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: « **إذا جاء رمضان،**

---

(١) أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢ / ٣٩٠ ـ ٣٩٦) مطولا جدًا ، وأورده ابن كثير بإسناد البيهقي في « تفسيره » (١٢١٣ ـ ١٤) ثم قال : وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله ثم ساق أسانيده ، ثم قال : ورواه ابن أبي حاتم وساق إسناده ثم قال : فذكره حسن أنيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٩) ، ومسلم (١٠٧٩) .

فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ومردة الجن» .

وخرج الترمذي [(1)] ، [ق/ ١٢١] من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: « **إذا كان أول ليلة من رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب»** .

ولكن قد قيل: إن إغلاق أبواب النار إنما هو عن الصائمين خاصة، وكذلك فتح أبواب الجنة هو لهم خاصة.

وفي حديث القاسم العُرَني، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، في فضل رمضان، قال فيه:

« **فيفتح فيها يعني : من أول ليلة منه أبواب الجنة، للصائمين من أمة محمد ﷺ، فيقول الله : يا رضوان، افتح أبواب الجنان، ويا مالك، أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ** » [(2)]. وهذا منقطع، فإن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.



---

(1) برقم (٦٨٢) .

(2) أورده المنذري مطولا في الترغيب والترهيب (٢ / ٦١ ـ ٦٢) وقال : رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب « الثواب » ، والبيهقي واللفظ له ، وليس في إسناده من أجمع على ضعفه .

الباب التاسع
في ذكر ظلمتها وشدة سوادها

روى شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **أوقد على النار ألف سنة حتى أبيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة** ». خرجه ابن ماجه [(١)] والترمذي [(٢)] وقال: حديث أبي هريرة في هذا الباب موقوف أصح، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكير [(*)] عن شريك.

وروى معن عن مالك، عن أبي سهيل، [عن أبيه] [(**)]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **أترونها حمراء كناركم هذه ؟ ! لهي أشد سوادًا من القار** ». خرجه البيهقي [(٣)].

وخرجه البزار [(٤)] ولفظه: « **لهي أشد سوادًا من دخان ناركم سبعين ضعفًا** ».

وروي موقوفًا على أبي هريرة [(٥)] وهو أصح، قاله الدارقطني [(٦)].

---

(١) برقم (٤٣٢٠).

(٢) برقم (٢٥٩١) وقال الترمذي : حدثنا سويد ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن شريك عن عاصم عن أبي صالح أو رجل آخر ، عن أبي هريرة نحوه ولم يرفعه . ثم ذكر الترمذي ما نقله ابن رجب من أن الحديث موقوف أصح .

(*) في الأصل : « كثير » وهو تصحيف .

(**) من البيهقي .

(٣) في « البعث والنشور » (٥٠١) .

(٤) عزاه الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٣٨٧) للطبراني في « الأوسط » وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٥) أخرجه مالك في « الموطأ » كتاب جهنم - باب ما جاء في صفة جهنم (٢ / ٩٩٤) برقم (٢) وفيه بدلا من « القار » الزفت .

(٦) في العلل (١٠ / ٨٣) برقم (١٨٨٢) وقد سئل عن هذا الحديث ، فقال : يرويه=

وقال الجوزجاني: حدثنا عبيد الله الحنفي، حدثنا فرقد بن الحجاج، سمعت عقبة اليماني يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « **إن نار جهنم أشد حراً من ناركم هذه بتسعة وتسعين جزءاً، وهي سوداء مظلمة، لا ضوء لها، لهي أشد سواداً من القطران**». غريب جداً .

وروى الكديمي، عن سهل بن حماد، عن مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس، قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] . قال: « **أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى اسودت، فهي سوداء لا يضيء لهبها**». خرجه النيهقي[(١)]، والكديمي ليس بحجة.

وخرج البزار ، من حديث زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري، عن أنس، عن النبي ﷺ ، أنه ذكر ناركم هذه فقال: « **إنها لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وما وصلت إليكم حتى** ـ قال : أحسبه ـ **نضحت لمرتين بالماء ، لتضيء لكم، ونار جهنم سوداء مظلمة** » [(٢)] .

وفي حديث [ق٢١/ ب] عدي بن عدي، عن عمر مرفوعًا، ذكر الإيقاد عليها ثلاثة آلاف عام أيضًا، وقال: « **هي سوداء مظلمة، لا يضيء جمرها ولا لهبها**». خرجه ابن أبي الدنيا والطبراني، وقد سبق إسناده والكلام عليه.

وروى ابن أبي الدنيا [(٣)] ، من طريق الحكم بن ظهير ـ وهو ضعيف ـ عن عاصم، عن زر، عن عبد الله ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢] قال: سعرت ألف سنة حتى ابيضت، ثم ألف سنة حتى احمرت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة .

= مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك عن [أبيه] [(١)] عن أبي هريرة . وروي عن معن وابن أبي بكير مرفوعًا ، والصحيح موقوف .

(١) في « شعب الإيمان » (٧٩٩) .

(٢) أورده الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٣٨٨) وقال : رواه البزار ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم .

(٣) في « صفة النار » (٢٤) .

---

(١) وقع في المطبوع من علل الدارقطني « أبي » وهو خطأ ، والتصويب من الموطأ .

الحكم بن ظهير ضعيف. والصحيح رواية عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة كما سبق.

وروى الأعمش، عن أبي ظبيان، عن سلمان، قال: النار سوداء مظلمة، لا يطفأ جمرها، ولا يضيء لهبها، ثم قرأ: ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠][1].

وخرجه البيهقي، من طريق أحمد بن عبد الجبار، عن أبي معاوية، عن الأعمش مرفوعًا، وقال: رفعه ضعيف.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: ضرب الله مثلاً للكافر، قال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ الآية [النور: ٤٠] فهو يتقلب في خمس من الظلم: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى ظلمات النار[2].

وقال ـ أيضًا ـ أبو جعفر: عن الربيع بن أنس: إن الله جعل هذه النار ـ يعني نار الدنيا ـ نورًا وضياء ومتاعًا لأهل الأرض، وإن النار الكبرى سوداء مظلمة مثل القير ـ نعوذ بالله منها.

وعن الضحاك قال: جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود.

وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآيتين [آل عمران: ١٠٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧ / ٤٨)، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٥) وسقط « سلمان » من إسناد الطبري المطبوع، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٢) لابن جرير عن سلمان.

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٩ / ٣٣٥ ـ علمية)، وابن حاتم (٨ / ٢٦١٤) برقم (١٤٦٨٨).

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة [1]، أن من عصاة الموحدين، من يحرق في النار حتى يصير فحمًا .



(1) أخرج البخاري (٢٢) ، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه : أن الله تعالى يقول : « أخرجوا من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودُّوا » .

وأخرج ابن حبان (١٨٣ ـ إحسان) من حديث جابر وفيه : « ثم يقول الله جل وعلا أنا الآن أخرج بنعمتي وبرحمتي فيخرج أضعاف ما أخرجوا وأضعافهم قد امتحشوا وصاروا فحمًا » .

وأخرج مسلم (١٨٥) من حديث أبي سعيد مرفوعًا « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال :ـ بخطاياهم ، فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر . . . » الحديث .

الباب العاشر
في شدة حرها وزمهريرها

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١] .

وفي « الصحيحين » [١] ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: « **اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا فنفسني .**

فأذن لها في نفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سمومها وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها » .

وفي « الصحيحين » [٢] أيضًا، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **ناركم هذه،ما يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم** » .

قالوا: والله، إن كانت لكافية .

قال: « **إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها** » . وخرجه الإمام أحمد [٣] ، وزاد فيه:

« **وضربت في البحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة** [ق٢٢/١] **لأحد** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧) ، ومسلم (٦١٧) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) ، ومسلم (٢٨٤٣) .
(٣) (٢ / ٢٤٤) .

وقد سبق من حديث أنس نحوه.

وعن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « **ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، (لكل جزء منها مثل حرها)** . [*] خرجه الترمذي [1].

وقال الإمام أحمد [2] : حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز ـ هو الدراوردي ـ عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « **إن هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم**» .

وقال ابن مسعود: « إن ناركم هذه ضرب بها البحر ففترت، ولولا ذلك ما انتفعتم بها، وهي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم». وخرجه البزار مرفوعًا والموقوف [3] أصح.

وخرج الطبراني [4] ، من طريق تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أنس، عن النبي ﷺ ، قال: « **لو أن غربًا من جهنم، جعل في وسط الأرض، لآذى نتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شررة من شرر جهنم بالمشرق، لوجد حرها من بالمغرب**» . وتمام بن نجيح تكلم فيه.

وخرج أيضًا [5] ، من طريق عدي بن عدي الكندي، عن عمر، أن جبريل

(*) كذا بالأصل ، وسياق الترمذي أطول من ذلك .

(1) برقم (٢٥٨٩) من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح.

(2) (٢ / ٣٧٩) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٧) : ورجاله رجال الصحيح .

(3) أخرجه هناد موقوفًا في « الزهد » (٢٣٥) ، والطبري في تفسيره (٢٣ / ١١١) .

(4) في « المعجم الأوسط » (٣٦٨١) وقال : لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا تمام بن نجيح .

وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٢ / ٨٤) في ترجمة تمام ثم قال : ولتمام غير ما ذكرت من الروايات شيء يسير ، وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه .

(5) في « المعجمَ الأوسط » (٢٥٨٣) مطولا ثم قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن=

قال للنبي ﷺ: « **والذي بعثك بالحق نبيًا ، لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم، لمات من في الأرض كلهم جميعًا من حره**».

وقد سبق الكلام على إسناده .

وروي من وجه ضعيف، عن الحسن مرسلاً، نحوه أيضًا.

وخرج أبو يعلى الموصلي [1] ، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيهم رجل من أهل النار، فتنفس، فأصابهم نفسه ، لأحرق المسجد** ».

لكن قال الإمام أحمد: هو حديث منكر.

وقال كعب لعمر بن الخطاب: « لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق، ورجل بالمغرب، لغلى دماغه حتى يسيل من حرها » [2] .

= عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به سلام .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٧) : وفيه سلام الطويل ، وهو مجمع على ضعفه .

(١) في « مسنده » (٦٦٧٠) وفيه « مائة » بدلا من « مائة ألف » .

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤ / ٣٠٧) وقال : غريب من حديث سعيد ، تفرد به أبو عبيدة عن هشام».

قلت : وكلمة « غريب » هي إعلال للحديث عند علماء العلل ومنهم : « أبو نعيم الأصبهاني » فليتنبه لذلك .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩١) : رواه أبو يعلى عن شيخه إسحاق ولم ينسبه، فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح ، وإن كان غيره فلم أعرفه .

وقد نقل ابن رجب « رحمه الله » قول الإمام أحمد بن حنبل « رحمه الله » هو حديث منكر .

قلت : والنكارة عند أحمد تعني الخطأ ، فقد سأله الأثرم عن حديث من أحاديث الفضل بن دَلْهم ، فقال أحمد : هذا حديث منكر . قال الأثرم : يعني خطأ .

وانظر لذلك بحثًا قيمًا لأخي الحبيب الشيخ طارق بن عوض الله « حفظه الله » في مقدمته لتحقيق كتاب « المنتخب من علل الخلال » فإنه أفاد وأجاد.

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .

وقال عبد الملك بن عمير: لو أن أهل النار كانوا في نار الدنيا لقالوا فيها.

وقال عبد الله بن أحمد: أخبرت عن (يسار، عن أبي المقرئ) [1] ـ وكان من خيار الناس ـ قال: بلغني أن رجلاً لو خرج منها إلى نار الدنيا، لنام فيها ألفي سنة.

وقال معاوية بن صالح، عن عبد الملك بن أبي بشير، يرفع الحديث :

« **ما من يوم إلا والنار تقول: اشتد حري، وبعد قعري، وعظم جمري، عجل إلي بأهلي**» .

وقال ابن عيينة، عن بشر بن منصور، قلت لعطاء السلمي: لو أن إنسانًا أوقدت له نار، فقيل له: من دخل هذه النار نجا من النار ؟ .

فقال عطاء: لو قيل لي ذلك، لخشيت أن تخرج نفسي فرحًا ، أن أقع فيها .

***

(١) كذا بالأصل ، وفي المطبوع : « سيار ، عن ابن المعزى » .

فصل

[في زمهرير جهنم بيت يتميز فيه الكافر من برده]

قد سبق في حديث مرفوع « **إن زمهرير جهنم بيت يتميز فيه الكافر من برده** » يعني يتقطع ويتمزع.

وروى ابن أبي الدنيا [١] ، من طريق الأعمش، عن مجاهد، قال: إن في النار لزمهريراً يغلون فيه، فيهربون منها إلى ذلك الزمهرير، فإذا وقعوا فيه، حطم عظامهم، حتى يسمع لها نقيض [٢].

وعن ليث عن مجاهد، قال: الزمهرير، الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.

وعن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قال: يستغيث أهل النار من الحر، فيغاثون بريح باردة، فصدع العظام بردها، فيسألون الحر [٣].

وعن عبد الملك بن عمير، قال : بلغني أن أهل النار سألوا خازنها أن يخرجهم إلى جنابها، فأخرجوا ، فقتلهم البرد والزمهرير، حتى ورجعوا إليها فدخلوها، مما وجدوا من البرد.

وروى أبو نعيم [٤] بإسناده عن ابن عباس أن كعبًا [*] قال إن في جهنم بردًا

---

(١) في « صفة النار » (١٠٢) .

(٢) أي : صوت .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٥٢) .

(٤) في « الحلية » (٥ / ٣٧٠) .

(*) من « صفة النار » لابن أبي الدنيا .

هو الزمهرير يسقط اللحم [عن العظم] (*) حتى يستغيثوا بحر جهنم.

وروي عن ابن مسعود قال: الزمهرير لون من العذاب.

وعن عكرمة قال: هو البرد الشديد.

وروي عن زبيد اليامي (**) ، أنه قام ليلة للتهجد، فعمد إلى مطهرة له، قد كان يتوضأ فيها، فغسل يده، ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء الذي فيها بارداً شديداً، كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير، ويده في المطهرة فلم يخرجهما منها حتى أصبح.

فجاءت الجارية، وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك - يا سيدي - لم تصل الليلة، كما كنت تصلي ؟ .

قال: ويحك، إني أدخلت يدي في هذه المطهرة، فاشتد علي برد الماء، فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت بشدة برده حتى وقفت علي.

انظري لا تخبري بهذا أحداً ما دمت حيًّا .

فما علم بذلك أحد حتى مات رحمه الله.



(*) من الحلية .

(**) في الأصل : « اليمامي » وكتب في حاشية الأصل : لعله اليامي .

الباب الحادي عشر
في ذكر سجر جهنم وتسعيرها

قد سبق في غير حديث أنه قد أوقد عليها ثلاثة آلاف عام.

وروى أبو هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « لما خلق الله النار، أرسل جبريل إليها ، وقال له: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها .

قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضًا.

ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها ! .

فأمر بها، فحفت بالشهوات، ثم قال : اذهب، فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها.

فذهب، فنظر إليها ورجع، فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها. خرجه الإمام أحمد [1] وأبو داود [2] والترمذي [3] .

وفي حديث سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ: « أن ملكين أتياه في المنام فذكر رؤيا طويلة، وفيها قال: فانطلقت فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راء رجلا مرآة ، فإذا هو عند نار له ، [يحشها] [*] ويسعى حولها.

قال: قلت: ما هذا ؟

قالا لي: انطلق انطلق » .

وفي آخر الحديث قالا: « فأما الرجل الكريه المرآة، الذي عند النار،

---

(١) (٢ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ٣٥٤ ، ٣٧٣) .

(٢) برقم (٤٧٤٤) .

(٣) برقم (٢٥٦٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(*) في الأصل : « يحثها » ، وما نقلته من صحيح البخاري .

[يحشها][*] ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم » .

وقد خرجه البخاري [1] بتمامه ، وخرج مسلم أوله ولم يتمه [2].

وقوله: كريه المرآة أي المنظر ، وقوله: [يحشها] [*] أي يوقدها .

وروى هذا الحديث أبو خلدة، عن أبي رجاء، عن سمرة بن جندب، (ق/ ١٢٣) عن النبي ﷺ ، فذكر الحديث بطوله.

وفي حديثه قال: « **فرأيت شجرة، لو أن الخلق اجتمعوا لأظلتهم، وتحتها رجلان، واحد يوقد ناراً وآخر يحتطب الحطب** » .

وفي آخر الحديث قلت: « **فالرجلان اللذان رأيت تحت الشجرة** ؟ .

قال: **ذانك ملكا جهنم، يحمون جهنم لأعداء الله إلى يوم القيامة** » .

***

(*) في الأصل : « يحثها » ، وما نقلته من صحيح البخاري .

(1) برقم (٧٠٤٧) .

(2) برقم (٢٢٧٥) .

فصل
وجهنم تسجر كل يوم نصف النهار

وفي صحيح مسلم [1]، عن عمرو بن عبسة، عن النبي ﷺ، قال: « **صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة، حتى تطلع الشمس وترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل**. وذكر بقية الحديث.

وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ، من غير وجه، من حديث أبي أمامة وغيره.

وفي حديث صفوان بن المعطل، عن النبي ﷺ: « **إذا طلعت الشمس فصل، حتى تعتدل على رأسك مثل الرمح، فإذا اعتدلت على رأسك، فإن تلك الساعة تسجر فيها جهنم، وتفتح فيها أبوابها، حتى تزول عن حاجبك الأيمن** ». خرجه عبد الله بن الإمام أحمد [2].

وفي حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، في هذا المعنى قال: « **فإذا انتصف النهار فأقصر عن الصلاة، حتى تميل الشمس، فإن حينئذ تسعر جهنم، وشدة الحر من فيح جهنم** » [3].

وروى أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود،

---

(١) برقم (٨٣٢) .

(٢) أخرجه عبد الله في « المسند » (٥ / ٣١٢) عن أبيه مطولا، وفي إسناده انقطاع بين سعيد المقبري وصفوان بن المعطل .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٥٨١) ، وابن حبان (١٢٧٥ ـ إحسان) .

قال: « إن الشمس تطلع بين قرني شيطان - أو في قرني شيطان - فما ترتفع قصمة[1] في السماء إلا فتح لها باب من أبواب النار، فإذا كانت الظهيرة، فتحت أبواب النار كلها، فكنا ننهى عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها ونصف النهار».

خرجه يعقوب بن شيبة ورواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عياش أيضًا.

وفي « الصحيحين » [2] عن أبي هريرة. عن النبي ﷺ قال: « **إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم**» .

[وفي رواية خرجها أبو [*] نعيم] [3] : « **من فيح جهنم أو من فيح أبواب جهنم** » .

وخرج أبو داود [4] « من حديث أبي قتادة، عن النبي ﷺ أنه كره الصلاة نصف النهار، إلا يوم الجمعة، وقال: **إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة**.

وفي إسناده انقطاع وضعف .



(١) أي : درجة .

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣) ، ومسلم (٦٤٥) .

(*) من المطبوع .

(٣) في « الحلية » (٦ / ٢٧٤) من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا .

وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢ / ٥٠٧) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٦٠٧٤) كلاهما من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به .

(٤) برقم (١٠٨٣) .

فصل
وتسجر أحيانًا في غير نصف النهار

كما خرجه الطبراني [1]، من حديث ابن أم مكتوم، قال: خرج النبي ﷺ ذات غداة، فقال: « **سعرت النار، وجاءت الفتن** » فذكر الحديث.

ومن طريق عبيد الله بن سعيد، قائد الأعمش، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **يا أهل الحجرات، سعرت النار، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً** » [2].

عبيد الله بن سعيد فيه ضعف.

والصحيح أن الأعمش رواه عن أبي سفيان، [ق/ ٢٣ ب] عن عبيد بن عمير مرسلاً.

وقيل: عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن ابن عمر، ولا يصح.

وفي حديث، عدي بن عدي، عن عمر، أن جبريل قال للنبي ﷺ: « **جئتك**

---

(١) في « المعجم الأوسط » (٨٨٧) وقال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن ابن أم مكتوم إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إسحاق بن سليمان .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠ / ١٠٣٩٣) ، والبزار في « البحر الزخار » (١٧٧٢) وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلم رواه إلا عبيد الله بن سعيد بهذا الإسناد، ولا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه .

وأخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣ / ١٢١) وقال العقيلي : ولا يتابع على هذا ـ أي عبيد الله قائد الأعمش ـ ولا على غيره ، في حديثه عن الأعمش وهم كثير ، أما هذا المتن فيروى من غير هذا الوجه ، بأسانيد صالحة جياد .

وعزاه الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٢٩) للطبراني في الكبير والأوسط ، وللبزار وقال: وفيه عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان وقال : يخطئ ، وبقية رجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف .

حين أمر الله عز وجل بمنافخ النار، فوضعت على النار» [1] الحديث.

وروي أيضًا من حديث الحسن مرسلاً .

وفي الإسنادين ضعف .

***

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٥٧) ، والطبراني في الأوسط (٢٥٨٣) من طريق عدي بن عدي به .

وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦ / ١٣٨ ـ ١٤٠) من طريق الأوزاعي حدثني يزيد ابن مزيد عن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن عمر بن الخطاب وفيه : «وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : **أتيتك حين أمر الله عز وجل بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة . . . فذكره .**

قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٩) : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه : سلام الطويل ، وهو مجمع على ضعفه .

فصل
وتسجر أيضًا يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢ ـ ١٤] ، وقرئ " « سعِّرت » وسعرت بالتشديد والتخفيف .

قال الزجاج: المعنى واحد، إلا أن معنى المشدد أوقدت مرة بعد مرة.

قال قتادة: « وإذا الجحيم سعرت»: أوقدت.

وقال السدي: أحميت.

وقال سعيد بن بشير عن قتادة: يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم. خرجه ابن أبي حاتم.

وهذا يقتضي، أن تسعير جهنم، حيث سعرت، فإنما تسعر بخطايا بني آدم التي تقتضي غضب الله ، فتزداد جهنم حينئذ تلهبًا وتسعرًا.

وهذا، كما أن بناء دور الجنة وغرس إشجارها ، يحصل بأعمال بني آدم الصالحة من الذكر وغيره، وكذلك حسن ما فيها من الأزواج وغيرهم ، يتزايد بتحسين الأعمال الصالحة، وكذلك جهنم، تسعر وتزداد آلات العذاب فيها، بكثرة ذنوب بني آدم وخطاياهم وغضب الرب تعالى عليهم.

نعوذ بالله من غضب الله، ومن النار، وما قرب إليها من قول وعمل، بمنه وكرمه .

وقد سبق في الباب الخامس، صفة تسعر النار يوم القيامة ومزيدها، بإيقاد البحر وإضافته إليها .

فصل
وتسجر على أهلها بعد دخولهم إليها

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ (١) زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٢)﴾ [الإسراء : ٩٧].

[قال ابن عباس: كلما طفئت أوقدت .

وقال ابن عباس: خبت: سكنت] (*) .

وقال ابن قتيبة: خبت النار، إذا سكن لهبها، فاللهب يسكن والجمر يعمل .

وقال غير واحد من المفسرين: تأكلهم، فإذا صاروا فحمًا، ولم تجد النار شيئًا تأكله، أعيد خلقهم خلقًا جديدًا، فتعود لأكلهم.

وقوله: ﴿ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ أي نارًا تتسعر وتتلهب.

وقد روي عن عمرو بن عبسة، أن في جهنم بئرًا يقال له: الفلق، منه تسعر جهنم إذا سعرت (٣).

وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

والمعنى أنه يكشف تلك البئر فتخرج منه نار تلهب جهنم وتوقدها.

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل : ١٤] .

---

(١) خبت : سكن لهبها .

(٢) سعيرًا : لهبًا وتوقدًا .

(*) من المطبوع .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٤٤) .

قال مجاهد وغيره: توهج.

قرأ عمر بن عبد العزيز ليلة في صلاته سورة ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ فلما بلغ قوله" ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ . بكى، ولم يستطع أن يجيزها ، ثم عاد فقرأ السورة حتى بلغ الآية،فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثًا، ثم قرأ سورة أخرى غيرها.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني عشر [ق/١٢٤]
في ذكر تغيظها وزفيرها

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠١ـ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً . إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً﴾ [الفرقان: ١١ـ١٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ . تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٦ـ ٨] .

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار.

قال الربيع بن أنس: الشهيق في الصدر.

وقال مجاهد في قوله﴿ وَهِيَ تَفُورُ﴾ قال: تغلي بهم كما تغلي القدور.

وقال ابن عباس: تتميز: تفرق، وعنه قال: يكاد يفارق بعضها بعضًا وتتفطر.

وعن الضحاك : تتميز: تتفطر.

وقال ابن زيد: التميز: التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله عز وجل، غضبًا لله، وانتقامًا له.

وخرج ابن أبي حاتم [١] ، من حديث خالد بن دريك، عن رجل من الصحابة، قال: قال رسول الله ﷺ: « من تقول علي ما لم أقل، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا .

قيل: يا رسول الله وهل لها عينان؟

قال : نعم، أو لم تسمع قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً ﴾ [الفرقان: ١٢] » .

---

(١) كما في « تفسير ابن كثير » (٦ / ٦٢ ـ دار الإيمان) .

وروى أبو يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: إن العبد ليجر إلى النار، فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة، لا يبقى أحد إلا خاف. خرجه ابن أبي حاتم [1].

وقال كعب: ما خلق الله من شيء، إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية، إلا الثقلين، اللذين عليهما الحساب والعذاب. خرجه الجوزجاني.

وفي كتاب « الزهد » لهناد بن السري [2]، عن مغيث بن سمي، قال: إن لجهنم كل يوم زفرتين، يسمعهما كل شيء إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب.

وعن الضحاك قال: إن لجهنم زفرة يوم القيامة، لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا خر ساجداً، يقول: رب نفسي نفسي.

وعن عبيد بن عمير، قال: تزفر جهنم زفرة، فلا يبقى ملك، ولا نبي، إلا وقع لركبتيه، ترعد فرائصه، يقول: رب نفسي نفسي.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره، عن الضحاك، قال: ينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه، مجنبته اليسرى جهنم، فيسمعون شهيقها وزفيرها فيندون.

وعن وهب بن منبه، قال: إذا سيرت الجبال، فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها، صرخت الجبال كما تصرخ النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها، يدق بعضها بعضًا. خرجه الإمام أحمد [3].

وفي تفسير آدم بن أبي إياس عن محمد بن الفضل، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال: تزفر جهنم زفرة، لا يبقى ملك

---

(١) كما في تفسير ابن كثير (٣ / ٣١٢) ثم قال ابن كثير : هكذا رواه ابن أبي حاتم بإسناده مختصراً، وقد رواه الإمام أبو جعفر الطبري ثم ساق سنده ، ثم قال : وهذا إسناد صحيح .

(٢) برقم (٢٥٥) .

(٣) في « الزهد » (٣٧٣ ، ٣٧٤ ـ علمية) .

مقرب، ولا نبي مرسل، إلا جثا على ركبتيه حول جهنم، فتطيش عقولهم، فيقول الله عز وجل [ق/٢٤ب]: ماذا أجبتم ؟

قالوا: لا علم لنا .

ثم ترد عليهم عقولهم، فينطقون بحجتهم، وينطقون بعذرهم .

محمد بن الفضل، هو ابن عطية، متروك.

قال آدم بن أبي إياس: وحدثنا أبو صفوان، عن عاصم بن سليمان الكوزي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [الفرقان: ١٢] من مسيرة مائة عام، وذلك، إذا أتي بجهنم، تقاد بسبعين ألف زمام، يشدد بكل زمام سبعون ألف ملك، لو تركت لأتت على كل بر وفاجر ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً ﴾ [الفرقان: ١٢] ثم تزفر زفرة، لا يبقى قطرة من دمع إلا بدرت، ثم تزفر الثانية، فتقطع القلوب من أماكنها، تقطع اللهوات والحناجر، وهو قوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب : ١٠] وعاصم الكوزي ضعيف جداً .

وقال الليث بن سعد، عن عبيد الله بن أبي جعفر: إن جهنم لتزفر زفرة، (تنشق) (*) منها قلوب الظلمة، ثم تزفر أخرى، فيطيرون من الأرض، حتى يقعوا على رءوسهم. خرجه عبد الله بن الإمام أحمد [(١)].

وروى أسد بن موسى، عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد اللهبن عمرو بن العاص، مثله.

وخرج أبو نعيم [(٢)] ، وغيره، من رواية عبد الرحمن بن حاطب، قال قال عمر رضي الله عنه لكعب: خوفنا، قال: والذي نفسي بيده، إن النار لتقرب يوم القيامة، لها زفير وشهيق، حتى إذا أدنيت وقربت، زفرت زفرة، فما خلق الله من نبي ولا شهيد، إلا وجب لركبتيه ساقطًا، حتى يقول كل نبي، وكل صديق، وكل

(*) في الأصل : « تشهق » والمثبت من حاشية الأصل .

(١) في « الزهد» ص ٣٦٨ ـ علمية .

(٢) في « الحلية » (٥ / ٣٧١) .

شهيد: اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبيًّا لظننت أن لا تنجو. قال عمر: واللهإن الأمر لشديد .

ومن رواية شريح بن عبيد قال: قال عمر لكعب: خوفنا، فقال: والله لتزفرن جهنم زفرة، لا يبقى ملك مقرب، ولا غيره، إلا خر جاثيًا على ركبتيه، يقول: رب نفسي نفسي، وحتى نبينا ، وإبراهيم، وإسحاق، عليهم الصلاة والسلام، قال: فأبكى (*)القوم حتى نشجوا.

وفي رواية مطرف بن الشخير، عن كعب، قال: كنت عند عمر، فقال: يا كعب، خوفنا، فقلت يا أمير المؤمنين، إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة، ما يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا خر جاثيًا على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليله عليه السلام ليخر ساجداً ، ويقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، قال: فأطرق عمر مليًّا .

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أولستم تجدون هذا في كتاب الله عز وجل ؟ .

قال عمر: كيف ؟ .

قلت : يقول الله عز وجل في هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١] (١).

وكان سعيد الجرمي، يقول في موعظته، إذا وصف الخائفين : [ق/٢٤ب] كأن زفير النار في آذانهم.

وعن الحسن، أنه قال في وصفهم: إذا مروا بآية، من ذكر الجنة، بكوا شوقًا، وإذا مروا بآية، من ذكر النار، ضجوا صراخًا، كأن زفير جهنم عند أصول آذانهم.

وروى ابن أبي الدنيا، وغيره عن أبي وائل، قال : خرجنا مع ابن مسعود،

(*) في حاشية الأصل : « فبكى » .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .

ومعنا الربيع بن خثيم، فأتينا على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١٢-١٣] فصعق الربيع بن خثيم، فاحتملناه إلى أهله، فرابطه عبد الله حتى صلى الناس الظهر، فلم يفق، ثم رابطه العصر فلم يفق، ثم رابطه إلى المغرب فأفاق، فرجع عبد الله إلى أهله.

ومن رواية مسمع بن عاصم، قال: بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب ابن جري، وسلمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل، فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت، ثم بكى عبد العزيز لبكائه، ثم بكى سلمان لبكائهما، وبكيت والله لبكائهم، لا أدري ما أبكاهم.

فلما كان بعد، سألت عبد العزيز فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك ليلتئذ؟ .

قال: إني والله نظرت إلى أمواج البحر، تموج وتجيل، فذكرت أطباق النيران وزفراتها، فذلك الذي أبكاني.

ثم سألت كلابًا أيضًا نحواً مما سألت عبد العزيز فوالله لكأنما سمع قصته، فقال لي مثل ذلك .

ثم سألت سلمان الأعرج نحواً مما سألتهما .

فقال لي: ما كان في القوم شرًّا مني، ما كان بكائي إلا لبكائهم، رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم، رحمهم الله تعالى.

***

الباب الثالث عشر
في ذكر دخانها وشررها ولهبها

قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ . لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

قال ابن عباس: ظل من دخان. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وغير واحد.

وعن مجاهد، قال: ظل من دخان جهنم، وهو السموم.

وقال أبو مالك اليحموم: ظل من دخان جهنم.

قال الحسن وقتادة، في قوله: ﴿ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴾: لا بارد المدخل، ولا كريم المنظر.

والسموم: هو الريح الحارة، قاله قتادة وغيره.

وهذه الآية، تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا، من الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء، والهواء، والظل، فهواء جهنم: السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها: الحميم وهو الذي قد اشتد حره، وظلها: اليحموم، وهو قطع دخانها، أجارنا الله من ذلك كله بمنه وبكرمه .

وقال تعالى: ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ [المرسلات: ٣٠].

قال مجاهد: هو دخان جهنم: اللهب الأخضر، والأسود، والأصفر، الذي يعلو النار، إذا أوقدت.

قال السدي، في قوله: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ [المرسلات : ٣٢]. قال: زعموا أن شررها، ترمي به كأصول الشجر، ثم يرتفع فيمتد[ق/٢٥ب].

وقال القرظي: على جهنم سور، فما خرج من وراء سورها، يخرج منها في

عظم القصور، ولون القار.

وقال الحسن والضحاك، في قوله: « **كالقصر** »: هو كأصول الشجر العظام.

وقال مجاهد: قطع الشجر والجبل.

وصح عن ابن مسعود، قال: شرر كالقصور والمدائن.

وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: « **شرر كالقصر** » يقول: كالقصر العظيم [1].

وفي صحيح البخاري [2]، عن ابن عباس، قال: كنا نرفع من الخشب، بقصر ثلاثة أذرع، أو أقل، نرفعه للشتاء، نسميه القصر.

وقوله: « **كأنه جمالة صفر** » قال ابن عباس: هي حبال السفن، يجمع بعضها إلى بعض، تكون كأوساط الرجال [3].

وقال مجاهد: هي حبال الجسور.

وقالت طائفة: هي الإبل، منهم الحسن، وقتادة، والضحاك، وقالوا: الصفر هي السود.

وروي عن مجاهد أيضًا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: في قوله: « **جمالة صفر** » قال: يقول: قطع النحاس [4].

قال الله عز وجل: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾ [الرحمن : ٣٥]. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ يقول: « لهب النار » [5]

(١) أخرجه الطبري (٢٩ / ٢٣٩) .
(٢) برقم (٤٩٣٢) .
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٣٣) .
(٤) أخرجه الطبري (٢٩ / ٢٤٢) .
(٥) أخرجه الطبري (٢٧ / ١٣٩) .

﴿وَنُحَاسٌ﴾ يقول: دخان النار [1].

وكذا قال سعيد بن جبير، وأبو صالح، وغيرهما: إن النحاس دخان النار.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ قال: دخان.

وقال أبو صالح: الشواظ: اللهب الذي فوق النار ودون الدخان.

قال منصور، عن مجاهد: الشواظ: هو اللهب الأخضر المتقطع.

وعنه قال: الشواظ: قطعة من النار فيها خضرة.

قال الحسين بن منصور: أخرج الفضيل بن عياض رأسه من خوخة، فقال منصور عن مجاهد: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] ثم أدخل رأسه فانتحب.

ثم أخرج رأسه، فقال: هو اللهب المتقطع.

ولم يستطع أن يجيز الحديث.

وخرج النسائي [2] والترمذي [3]، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « لا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم، في جوف امرئ أبداً» .

وخرج الإمام أحمد [4]، من حديث أبي الدرداء، عن النبي ﷺ نحوه.

* * *

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧ / ١٣٩) .

(٢) في « المجتبى » (٦ / ١٢) .

(٣) برقم (١٦٣٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح.

(٤) (٦ / ٤٤٣) ولفظ أحمد : « ثم لا يجمع الله في جوف رجل غباراً في سبيل الله ودخان جهنم » وفي إسناده خالد بن دريك وهو لم يدرك أبا الدرداء .

الباب الرابع عشر
في ذكر أوديتها وجبالها وآبارها وجبابها وعيونها وأنهارها

روى دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «**ويل: واد في جهنم، يهوي فيه الكافر، أربعين خريفًا، قبل أن يبلغ قعره**». خرجه الإمام أحمد [1]، والترمذي [2]، ولفظه:

«**واد بين جبلين يهوي فيه الكافر، سبعين خريفًا، قبل أن يبلغ قعره**». وذكر أنه لا يعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، عن دراج.

ولكن خرجه ابن حبان [3]، والحاكم [4]، في صحيحيهما من حديث عمرو بن الحارث، عن دراج به.

وخرج ابن جرير الطبري [5]، بإسناد فيه نظر، عن عثمان، عن النبي ﷺ، قال: «**الويل جبل في النار**».

---

(١) (٣ / ٧٥).

(٢) برقم (٣١٦٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة.

وقال ابن كثير في «تفسيره» وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعًا منكر، والله أعلم.

(٣) برقم (٧٤٦٧ ـ إحسان).

(٤) في «المستدرك» (٢ / ٥٥١ ، ٥٨٣)، (٤ / ٦٣٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) في «تفسيره» (١ / ٣٧٩). وذكره ابن كثير بإسناد ابن جرير ومتنه ثم قال: وهذا غريب أيضًا جدًا.

وخرج البزار [1]، بإسناد مجهول، عن سعد بن أبي وقاص، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: « إن في النار حجراً، يقال له: ويل، يصعد عليه العرفاء، وينزلون منه ».

ورواه ابن أبي حاتم، من طريق الحماني، حدثنا خلف بن خليفة، عن العلاء ابن المسيب، عن أبيه عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: ويل واد في جهنم من قيح [2].

ومن طريق المحاربي، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه وعاصم بن أبي النجود، قالا: واد في جهنم يقال له: ويل، ينصب فيه صديد أهل النار.

ومن طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: الويل واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره [3].

وعن مالك بن دينار، قال: الويل: واد في جهنم، فيه ألوان العذاب.

وعن أبي عياض، قال: ويل: واد يسيل من صديد في أصل جهنم [4].

وخرج ابن جرير بإسناده، عن أبي عياض، قال: ويل: صهريج في أصل جهنم، يسيل فيه صديد أهل النار.

وعن سفيان نحوه.

وروى الأعمش، عن زر، عن وائل بن مهانة، قال: الويل واد في جهنم من قيح.

---

(١) في « البحر الزخار » (٦٠) من مسند سعد بن أبي وقاص بتحقيق شيخنا الحويني «حفظه الله » وقال : إسناده ضعيف .

(٢) وعزاه الهيثمي في المجمع (٧ / ٥٥) للطبراني بأسانيد رجال بعضها ثقات ، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه .

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في زوائده على زهد ابن المبارك (٣٣٢) ، وابن أبي الدنيا في «صفة النار » (٣٢) .

(٤) أخرجه نعيم في زوائد الزهد (٣٣٣) ، وابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٣٣) مع إختلاف في بعض ألفاظه .

فصل
[في تفسير قوله تعالى:
﴿ سأرهقه صعودًا ﴾]

وروى دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال في قوله تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ [المدثر : ١٧] قال: « **جبل من نار، يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، يصعد سبعين خريفًا، ثم يهوي مثلها كذلك** » . وهذا الحديث خرجه الإمام أحمد[1] وغيره[2] بمعناه.

وخرجه الترمذي [3] مختصرًا، ولفظه: « **الصعود: جبل من نار، يصعد فيه الكافر سبعين خريفًا ويهوي فيه كذلك أبدًا** » . وقال : حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا، إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج.

ولكن رواه أيضًا، عمرو بن الحارث، عن دراج، به خرجه من طريقه الحاكم[4]، وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) (٣ / ٧٥) .

(٢) وأخرجه عبد بن حميد في « مسنده » (٩٢٤) وأخرج لفظ المصنف الطبراني في «الأوسط » (٥٥٧٣) وقال الطبراني : لم يرفع هذا الحديث عن عمار الدهني إلا شريك ، ورواه سفيان بن عيينة ، عن عمار الدهني ، فوقفه . وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٣١) : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه عطية وهو ضعيف .

(٣) برقم (٣٣٢٦ وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، إنما نعرفه مرفوعًا من حديث ابن لهيعة ، وقدَ رُوِي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله موقوف .

(٤) سبق تخريجه .

وروى هذا الحديث أيضًا، شريك عن عمار الدهني، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ . خرجه من طريقه البزار [(١)] ، وقال: تفرد شريك برفعه .

ووقفه سفيان على عمار - أي أنه وقفه على أبي سعيد - ولم يرفعه.

ورواه أيضًا عمرو بن قيس الملائي، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ.

وروى سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ قال: جبل في النار.

[وروينا من طريق فيه ضعف، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: هو جبل من النار] [(*)]زلق، كلما صعد الفاجر زلق، يهوي في النار.

وعن ابن السائب قال: هو جبل من صخرة ملساء في النار، يكلف أن يصعدها، حتى إذا بلغ أعلاها أحضر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدها، فذلك دأبه أبدًا، [ق/٢٤ب] يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في أربعين سنة.

وقال أيوب بن بشير، عن شفي بن ماتع، قال: في جهنم جبل يدعى صعودًا، يطلع فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يرقاه . خرجه ابن أبي الدنيا [(٢)].

---

(١) وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢ / ٣٠٨ - دار الكتب العلمية) .

وسئل الدارقطني عن حديث عطية عن أبي سعيد في قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ في العلل (١١ / ٢٩٠ - ٢٩١) برقم (٢٢٨٩) فقال : يرويه عمار الدهني عن عطية ، واختلف عنه ؛ فرواه شريك عن عمار عن عطية عن أبي سعيد مرفوعًا .

ورواه عبيدة بن حميد وابن عيينة عن عمار موقوفًا .

وكذلك رواه إبراهيم بن مهاجر عن عطية عن أبي سعيد موقوفًا ، وعطية مضطرب الحديث.

ورواه عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد مرفوعًا .

(*) من المطبوع .

(٢) في « صفة النار » (٣٧) .

فصل
[في أودية جهنم]

وروى عطية عن ابن عمر، في قوله تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: ١١] قال: جبل زلزال في جهنم.

وقد سبق ذكره في الباب السادس، وذكرنا فيه عن أبي رجاء، قال: بلغني أن مطلعها سبعة آلاف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة.

وروى لقمان بن عامر، عن أبي أمامة، مرفوعًا: « **غي وآثام: نهران في أسفل جهنم، يسيل فيهما صديد أهل النار** » (١). وقد سبق ذكره، مرفوعًا وموقوفًا (٢)، بلفظ آخر، وهو « **بئران** ».

وروي أيضًا، عن ابن عباس، مرفوعًا: « **الغي واد في جهنم** ». ولا يصح رفعه.

وعن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة عن عبد الله ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] قال: واد في جهنم، خبيث الطعم، بعيد القعر. خرجه ابن أبي الدنيا (٣) وغيره (٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٧) بلفظ : « بئران » .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢٥) بلفظ : « إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفًا من حجر يهوي ، أو قال : صخرة تهوي ، عظَمُها كعشر عشراوات عظام سمان . فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد : هل تحت ذاك شيء يا أبا أمامة ؟ قال : نعم ، غي وأثام .

(٣) في « صفة النار » (ق ١٤٣ / أ) .

(٤) وأخرجه هناد في « الزهد » (٢٧٦) ، والطبري (١٦ / ٧٥) ، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٥٩) ، والحاكم (٢ / ٣٧٤) وقال : هذا حديث الإسناد ولم يخرجاه .
قلت : في إسناده انقطاع ، فإن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله بن مسعود .

وخرجه البيهقي [1] ولفظه: « **الغي: نهر حميم في النار، يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات** ».

وخرجه أيضًا [2] من وجه آخر، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب بنحوه.

ورواه عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي عبيدة، قال: هو نهر في جهنم.

وقال همام، عن قتادة، قال: « أثام: واد في جهنم » .

[وكذا قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وقال شفي بن ماتع: إن في جهنم] [*] قصرًا يقال له: هوى، يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفًا قبل أن يبلغ أصله، قال الله: **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾** [طه:٨١]. وإن في جهنم واديًا، يدعى أثامًا، فيه حيات وعقارب، فقار إحداهن، مقدار سبعين قلة سم، والعقرب منهن، مثل البغلة الموكفة، يلدغ الرجل، ولا يلهيه ما يجد من حر جهنم حموة لدغتها، فهو لمن خلق له، وإن في جهنم واديًا، يدعى غيًّا، يسيل قيحًا ودمًا، وإن في جهنم سبعين داء، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم. خرجه ابن أبي الدنيا [3].

وروى يزيد بن درهم، عن أنس، في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا** ﴾ [الكهف: ٥٢]قال: هو واد من قيح في جهنم. وفي رواية: نهر في جهنم من قيح ودم. خرجه عبد الله بن الإمام أحمد [4].

وعن عبد اللهبن عمرو، قال: هو واد في النار عميق.

وروى النعمان بن عبد السلام، أنبأنا أبو مغلس بن علي، عن أيوب بن يزيد،

---

(١) في « البعث » (٤٧١) .
(٢) في « البعث (٤٦٩) .
(*) من المطبوع .
(٣) في « صفة النار » (٤٤) . وفي المطبوع : « مغلس أبي علي » ، وليس في إسناده : « يحيى بن أبي كثير » .
(٤) في « الزهد » ص ٣٧٨ طبعة الريان .

عن يحيى بن أبي كثير ، عن عمرو بن عَبَسَة، قال: الفلق بئر في جهنم، فإذا سعرت جهنم فيه تسعر، وإن جهنم لتتأذى منه، كما يتأذى بنو آدم من جهنم. خرجه ابن أبي الدنيا (١).

وخرجه ابن أبي حاتم، وغيره عن أيوب بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير، عن رجل عن عمرو بن عبسة.

وخرج ابن أبي حاتم(٢) ، من طريق السدي، عن زيد بن علي[ق/١٢٧]، عن آبائه قالوا: الفلق جب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كشف عنه، خرجت منه نار، تضج منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه.

ومن طريق ابن لهيعة، عن ابن عجلان، عن أبي عبيد، أن كعب الأحبار، دخل كنيسة، فأعجبه حسنها، فقال: أحسن عملا، وأضل قومًا، رضيت لهم بالفلق. قالوا: وما الفلق ؟

قال: بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (٣).

وفي تفسير ابن جرير (٤) ، من طريق عبد الجبار الخولاني، قال: قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ الشام، فنظر إلى دور أهل الذمة، وما هم فيه من العيش والنضارة، وما وسع عليهم في دنياهم، فقال: لا أبالي، أليس من ورائهم الفلق ؟ !

قيل: وما الفلق ؟

قال: بيت في جهنم، إذا فتح هرَّ أهل النار.

وفيه أيضًا (٥) ، من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « **الفلق جب في جهنم مغطى**».

---

(١) وأورده ابن كثير (١٤ / ٥٢٣) بنحوه عن زيد بن علي عن آبائه من رواية ابن أبي حاتم ، وقال : وكذا روي عن عمرو بن عبسة .

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٥٧٤) .

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠ / ٣٤٩) .

(٤) (٣٠ / ٣٤٩) .

(٥) ابن جرير (٣٠ / ٣٤٩). وقال ابن كثير (٤/ ٥٧٤): إسناده غريب ولا يصح رفعه.

وروي عن ابن عباس، أن الفلق سجن في جهنم [(1)].

وروى يحيى بن يمان، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، قال : السعير واد من قيح في جهنم . خرجه ابن أبي حاتم.

وقال خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه: إن في جهنم لآبارًا، من ألقي فيها، تردى سبعين عامًا، ثم ينزع بهذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجاثية: ٣٤] . خرجه ابن أبي الدنيا [(2)].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠ / ٣٤٩) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ـ وهو متروك ـ عمن حدثه عن ابن عباس. وفي إسناده راو مبهم كما رأيت فهو ضعيف جداً .

(٢) في « صفة النار » (٤٩) .

فصل
في جهنم واد هو: جب الحزن

روى عمار بن سيف، عن أبي معان(*) ، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: « **تعوذوا بالله من جب الحزن**» .

قالوا: وما جب الحزن ؟ قال: « **واد في جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة !** » .

قيل: يا رسول الله من يدخله ؟ .

قال: « **القراء المراؤون بأعمالهم**» . خرجه الترمذي [١] وقال: غريب. وخرجه ابن ماجه [٢] بمعناه . وفي روايته: « **أربعمائة مرة** » ، وزاد في آخره «**وإن من أبغض القراء إلى الله، الذين يزورون الأمراء الجورة**». وفي هذا الإسناد ضعف.

وخرج الطبراني [٣] نحوه، من حديث الحسن، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ

(*) في حاشية الأصل أنه في نسخة : « أبي معاذ » . وفي سند الترمذي وتحفة الأشراف والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩ / ٤٤٧) والكنى للبخاري ص ٧٥ : « أبو معان» .

(١) برقم (٢٣٨٣) وقال : حسن غريب . وقد نقل المصنف قول الترمذي غريب ونقله أيضًا البوصيري عنه في مصباح الزجاجة (١ / ٣٧) .

(٢) برقم (٢٥٦) وقال البخاري في « التاريخ الكبير » بعد أن روى الحديث (٢ / ١٧٠): وأبو معان لا يعرف له سماع من ابن سيرين ، وهو مجهول .

وقال ابن عدي في « الكامل » (٥ / ٧١) عن عمار بن سيف : منكر الحديث ، وجعل هذا الحديث من مناكيره .

وضعف الحديث العقيلي (٢ / ٢٤١) وجهل أبا معان .

(٣) وأخرجه في المعجم الأوسط (٦١٨٩) من طريق محمد بن ماهان قال : لنا محمد بن الفضل بن عطية عن سليمان التيمي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وقال=

وخرج العقيلي [1] نحوه، من حديث علي، عن النبي ﷺ ، من طريق أبي بكر الداهري، وهو ضعيف جداً.

وروى الإمام أحمد في الزهد بإسناده، عن عمران القصير، قال: بلغني أن في جهنم واديًا، تستعيذ منه جهنم [كل يوم] (*) أربعمائة مرة، مخافة أن يرسل عليها فيأكلها، أعد الله ذلك الوادي للمرائين من القراء.

وقال بكر بن محمد العابد، عن سفيان الثوري: إن في جهنم لواديًا، تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة، يسكنه القراء الزائرون للملوك.

وروينا من حديث معروف الكرخي، رحمه الله تعالى، قال بكر بن خنيس: إن في جهنم لواديًا تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وإن في الوادي لجبًا، يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وإن في الجب لحية، يتعوذ الوادي والجب وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات، يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: أي رب[ق/٢٧ب] بدئ بنا قبل عبدة الأوثان ؟ !

قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

= الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سليمان التيمي إلا محمد بن الفضل ، تفرد به محمد بن ماهان .

ورواه أيضًا (٣٠٩٠) من طريق بكير بن شهاب الدامغاني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

قال ابن حبان في المجروحين (١ / ١٩٤) في ترجمة بكير بن مسمار ، وقيل : إنه بكير الدامغاني الذي يروي عن مقاتل بن حيان ، كان مرجئًا ، يروي من الأخبار ما لا يتابع عليها ، وهو قليل الحديث على مناكير فيه ... وهو الذي روى عن محمد بن سير بن عن أبي هريرة قال : خرج علينا ﷺ وهو يقول : « **أعوذ بالله من جب الحزن** » ... فذكر الحديث .

(١) في الضعفاء الكبير (٢ / ٢٤١) وقال : لا أصل له .

(*) من المطبوع .

وروى هناد بن السري [1] ، بإسناده عن حميد بن هلال، قال: نبئت أن كعبًا قال: إن في أسفل درك جهنم تنانير ضيقها كضيق زج [2] أحدكم من الأرض، يقال له: جب الحزن، يدخلها قوم بأعمالهم، فيظبق [*] عليهم.

وخرجه ابن أبي حاتم، إلا أن عنده، عن حميد بن هلال، قال: لا أعلمه إلا عن بشير بن كعب، قال: إن في النار لجبًّا يقال له: جب الحزن، لهو أضيق على من دخل فيه من زج أحدكم على رمحه، يطبقها الله ، أو قال: يضيقها الله على عباد من عباده، سخطًا عليهم، ثم لا يخرجهم منها آخر الأبد.

وروى ابن المبارك [3] ، عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : « **إن في جهنم لواديًا يقال له: لملم، إن أودية جهنم تستعيذ بالله من حره** » . خرجه ابن أبي الدنيا [4] وغيره [5]، ويحيى ضعفوه.

وخرج ابن أبي الدنيا [6] وغيره [7] ، من رواية أزهر بن سنان القرشي، عن محمد بن واسع، عن أبي بردة عن أبيه ، عن النبي ﷺ ، قال: « **إن في جهنم لواديًا، ولذلك الوادي بئر، يقال له: هبهب، حق على الله أن يسكنه كل جبار** » . أزهر بن سنان ضعفوه.

والصحيح ما خرجه الإمام أحمد وغيره، من طريق هشام بن حسان، عن

---

(١) في « الزهد » (٢٢١) .

(٣) في « الزهد » (٣٣١) .

(٢) الزج : الرمح والسهم ، قال ابن سيده : الزج ، الحديدة التي تُرَكَّبُ في أسفل الرمح والسِّنان . « اللسان ، مادة : زج » .

(*) في حاشية الأصل أنها في نسخة « فينطبق » .

(٤) في « صفة النار » (٣٤) .

(٥) وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨ / ١٧٨) وقال : غريب لم نكتبه إلا من حديث يحيى.

(٦) في « صفة النار » (٣٥) .

(٧) وأخرجه الدارمي (٢٨١٦) ، والحاكم (٤ / ٥٩٦ ـ ٥٩٧) وقال : هذا حديث تفرد به أزهر بن سنان عن محمد بن واسع ، لم نكتبه عاليا إلا من هذا الوجه .

محمد بن واسع، قال: قلت لبلال بن أبي بردة، وأرسل إلي: إنه بلغني أن في النار بئرًا يقال له: جب الحزن، يؤخذ المتكبرون فيجعلون في توابيت من نار، ثم يجعلون في تلك البئر، ثم تنطبق عليهم جهنم من فوقهم، فبكى بلال.

وروى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة، أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له: بولس، فيعلوهم نار الأنيار، يسقون من طين الخبال، عصارة أهل النار**». خرجه الإمام أحمد [1] والنسائي والترمذي [2] ، وقال: حسن .

وروي موقوفًا على عبد الله بن عمرو.

وروي من وجه آخر موقوفًا على عبد الله بن عمرو ، قال: « **في النار قصر يقال له : بولس ، يدخله الجبارون والمتكبرون ، فيه نار الأنيار وأشر الأشرار ، وحزن الأحزان ، وموت الأموات ، والشر ، وأبيار الشر** » [3].

وقال ابن لهيعة: أنبأنا أبو قبيل، قال: سمعت رجلا يقول: سمعت عبد الله ابن عمرو يقول: إن في النار لجبًا ، لا يدخله إلا من كان شر الأشرار، قراره نار وسقفه نار، وجدرانه نار، وتلفح منه نار. خرجه عبد الله بن الإمام أحمد ،

---

(١) (٢ / ١٧٩) .
(٢) برقم (٢٤٩٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٣) وسأل ابن أبي حاتم أباه عن هذا الحديث كما في العلل (٢ / ٤٣٦) من طريق عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : « في الجنة قصر يقال له : عدن ، حوله البروج والمروج ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل ، وفي النار قصر يقال له: بولس يدخله الجبارون والمتكبرون ، فيه نار الأنيار ، وأشر الأشرار ، وحزن الأحزان ، وموت الأموات ، والشر ، وأنيار الشر » قال: فسمعت أبي يقول : هذا خطأ ، إنما هو نافع عن عاصم بن عروة بن مسعود عن عبد الله بن عمرو .
قلت : الكلام الأخير لا أعلمه في شيء من الحديث . اهـ .

وخرجه ابن أبي الدنيا [1] وعنده: فإذا دخلوا قيل بالنار على أفواههم.

وروى إبراهيم بن الفضيل المديني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن بشر بن عاصم الجشمي، حدثه عمر، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **لا يلي أحد من أمر الناس شيئًا إلا وقفه الله على جسر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة، فناج أو غير ناج لا يبقي منه عظمًا إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج ذهب به في جب مظلم كالقير في جهنم، لا يبلغ قعره سبعين خريفًا** ». (١٢٨ /

وإن عمر سأل سلمان وأبا ذر: هل سمعتما ذلك من رسول الله ﷺ؟

قالا: نعم. خرجه ابن أبي الدنيا [2]، وإبراهيم بن الفضيل ضعيف.

وروى إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام، عن الحجاج بن عبد الله الثمالي ـ وكان قد رأى النبي ﷺ، وحج معه حجة الوداع ـ قال: إن سفيان بن مجيب حدثه ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وقدمائهم ـ قال: إن في جهنم ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث منكر لا يصح.

وخرج ابن أبي الدنيا [3]، من طريق إسماعيل بن عياش، عن محمد بن عمرو بن حلحلة، عن عطاء بن يسار، قال: إن في النار سبعين ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب ألف جحر، في كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار.

وقال ابن المبارك أنبأنا عوف، عن أبي المنهال الرياحي، أنه بلغه أن في النار أودية في ضحضاح من النار، في تلك الأودية حيات أمثال أجواز الأبل، وعقارب

---

(١) في « صفة النار » (٤٢) بنحوه .

(٢) في « الأهوال » (٢٤٧) .

(٣) في « صفة النار » (٤٥) .

كالبغال الحبش، فإذا سقط [إليهن] (*) شيء من أهل النار، أنشأن به لسعًا ونشطًا، حتى يستغيثوا بالنار، فراراً منهن، وهربًا منهن. خرجه ابن أبي الدنيا.

وخرج الجوزجاني، من رواية الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قال: إن لجهنم جبابًا ، فيه هوام، فيه حيات أمثال البخت، وعقارب أمثال البغال الدلم، [يستغيث أهل النار إلى تلك الحيات أو الساحل، فتثب إليهم](**) فتأخذهم بأشعارهم وشفاههم، فتكشطهم حتى تبلغ أقدامهم، فيستغيثون بالرجوع إلى النار، فيقولون النار النار، وتتبعهم حتى تجد حرها، فترجع وهي في أسراب.

وقال مطهر بن الهيثم بن الحجاج، عن أبيه: إن طاوسًا قال لسليمان بن عبد الملك يا أمير المؤمنين، إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم، هوت فيها سبعين خريفًا حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال: [لا ثم](***) قال: ويلك ! لمن أعدها الله ؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار. قال: فبكى لها. خرجه أبو نعيم .

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني أبو الطيب أبو الحسن علي، (عن الحسن ابن يحيى، في « الحلية ») (١) عن الحسن بن يحيى الخشني، قال: ما في جهنم دار، ولا مغار، ولا غل، ولا قيد، ولا سلسلة، إلا اسم صاحبها عليها مكتوب، قال أحمد: فحدثت به أبا سليمان، فبكى ثم قال: ويحك ! فكيف به أن لو جمع هذا كله عليه، فجعل الغل في عنقه، والقيد في رجله، (ق / ٢٨ب) والسلسة في عنقه، ثم أدخل النار، وأدخل المغار ؟ نعوذ بالله من ذلك.



(*) في الأصل : إليهم .

(**) من المطبوع .

(***) الزيادة من « الحلية » (٤ / ١٥) .

(١) كذا في الأصل ، ولعلها مقحمة .

الباب الخامس عشر - في ذكر سلاسلها وأغلالها وأنكالها

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾[الإنسان : ٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سبأ : ٣٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧٢] .

وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا [١] وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ [٢] ﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] .

وقرأ ابن عباس: ﴿ وَالسَّلَاسِلَ يَسْحَبُونَ ﴾ [غافر : ٧١] بنصب السلاسل وفتح الياء من يسحبون، قال: هو أشد عليهم، هم يسحبون السلاسل. خرجه ابن أبي حاتم.

فهذه ثلاثة أنواع :

أحدها: الأغلال: وهي في الأعناق .

كما ذكر سبحانه.

قال الحسن بن صالح: الغل: تغل اليد الواحدة إلى العنق، والصفد اليدان جميعًا إلى العنق. خرجه ابن أبي الدنيا.

وقال أسباط عن السدي: الأصفاد تجمع اليدين [*] إلى عنقه.

(١) أنكالاً : أي قيوداً شديدة ثقال .

(٢) طعامًا ذا غصة : أي ذا نشوب في الحلق فلا يستساغ .

(*) في حاشية الأصل أنها في نسخة : « اليد » .

وقال معمر، عن قتادة في قوله: ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم : ٤٩]. قال: مقرنين في القيود والأغلال.

قال عيينة بن الغصن، عن الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب عز وجل، ولكنها إذا طفا بهم اللهب أرستهم، قال: ثم خر الحسن مغشيًّاعليه ! !.

وقال سيار بن حاتم: حدثنا مسكين، عن حوشب، عن الحسن، أنه ذكر النار فقال: لو أن غلاً منها، وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود، ولو أن ذراعاً من السلسلة، وضع على جبل لرضه.

وروى ابن أبي حاتم، بإسناده عن موسى بن أبي عائشة، أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر : ٢٤] قال: تشد أيديهم بالأغلال في النار، فيستقبلون العذاب بوجوههم، قد شدت أيديهم، فلا يقدرون على أن يتقوا بها، كلما جاء نوع من العذاب يستقبلونه بوجوههم.

وبإسناده عن فيض بن إسحاق، عن فضيل بن عياض: إذا قال الرب تبارك وتعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة : ٣٠] . يبتدره سبعون ألف ملك، كلهم يبتدر أيهم يجعل الغل في عنقه.

النوع الثاني: الأنكال: وهي القيود .

قاله مجاهد والحسن وعكرمة وغيرهم.

قال الحسن: قيود من نار.

قال أبو عمران الجوني: قيود لا تحل والله أبداً.

وواحد الأنكال: نكل، وسميت القيود أنكالاً لأنه ينكل بها، أي يمنع.

وروى أبو سنان، عن الحسن قال: أما وعزته، ما قيدهم مخافة أن يعجزوه، ولكن قيدهم لترسى بهم القيود في النار.

وقال الأعمش: الصفد:القيود، وقوله تعالى: ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ القيود.

وقد سبق عن أبي صالح في قوله: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٩]. قال: القيود الطوال.

النوع الثالث: السلاسل.

خرج الإمام أحمد [١] وغيره [٢]، من طريق أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رضاضة** [٣] **مثل هذه** ـ وأشار إلى مثل الجمجمة ـ **أرسلت من السماء** (ق/ ١٢٩) **إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة عام، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خريفًا، الليل والنهار، قبل أن تبلغ أصلها**. غريب، وفي رفعه نظر، والله أعلم.

وفي حديث عدي الكندي، عن عمر، أن جبريل قال للنبي ﷺ: «**لو أن حلقة من سلسلة أهل النار، التي نعت الله في كتابه، وضعت على جبال الدنيا، لانقضت ولم ينهضها شيء، حتى تنتهي إلى الأرض السفلى**» خرجه الطبراني [٤] وسبق الكلام على إسناده.

---

(١) في مسنده (٢/ ١٩٧) .

(٢) والترمذي (٢٥٨٨) وقال : هذا حديث إسناده حسن صحيح ، وفي تحفة الأشراف للمزي (٦ / ٨٩١٠) : إسناده حسن ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٣٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وقد بين ابن رجب أنه غريب أي ضعيف ، قال : وفي رفعه نظر .
وضعفه الألباني ـ رحمه الله ـ في ضعيف الجامع (٤٨٠٥) .

(٣) الرضاضة : فتات الشيء ، والرضاضة : القطعة .

(٤) في « المعجم الأوسط » (٢٥٨٣) مطولا ، وقال الطبراني : لا يُروى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به سلام .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٧) رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه سلام الطويل ، وهو مجمع على ضعفه .

وروى سفيان، عن [نسير] [1] عن نوف [*] الشامي، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٢] قال: إن الذراع سبعون باعًا، والباع من ههنا إلى مكة ـ وهو يومئذ بالكوفة.

وقال ابن المبارك [2] : أنبأنا بكار بن عبد الله، سمع ابن أبي مليكة يحدث، أن كعبًا قال: إن حلقة من السلسلة التي قال الله: ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة : ٣٢] إن حلقة منها مثل حديد الدنيا.

وقال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة : ٣٢] قال: بذراع الملك.

وقال ابن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله، ما خلا منها وما بقي، ما عدل حلقة من الحلق التي ذكر الله في كتابه تعالى فقال: ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾[الحاقة : ٣٢] أخرجه أبو نعيم.

قال ابن المبارك، عن سفيان، في قوله: ﴿ فاسلكوه ﴾ قال: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه.

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: السلسلة تدخل في استه، ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها، كما ينظم الجراد في العود حتى يشوى. خرجه ابن أبي حاتم.

وخرج أيضًا من رواية العوفي عن ابن عباس، قال: تسلك في دبره حتى

---

(١) في الأصل والمطبوع : « بشير » ، والتصويب من كتب الرجال ، وهو نسير بن ذعلوق الثوري ، أبو طعمة ، قال الحافظ في التقريب : صدوق لم يصب من ضعفه ، من الرابعة .

والأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٥٩) .

(*) في حاشية الأصل أنه في نسخة : « عوف » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وهو نوف بن فضالة الحميري البكالي ، إمام أهل دمشق في عصره (انظر تهذيب الكمال ٣٠ / ٦٥) .

(٢) في « الزهد » (٢٨٩) .

تخرج من منخريه، حتى لا يقوم على رجليه [1].

وخرج ابن أبي الدنيا، من طريق خلف بن خليفة، عن أبي هاشم قال: يجعل لهم أوتاد في جهنم، فيها سلاسل، فتلقى في أعناقهم، فتزفر بهم جهنم زفرة، فتذهب بهم مسيرة خمسمائة سنة، ثم تجيء بهم في يوم، فذلك قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧].

ومن طريق أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، قال: لو انفلت رجل من أهل النار بسلسلة لزالت الجبال [2].

وقال جويبر عن الضحاك، في قوله: ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١] قال : يجمع بين ناصيته وقدميه، في سلسلة من وراء ظهره.

وقال السدي: في هذه الآية: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه، فتربط ناصيته بقدمه ، ويفتل ظهره.

وذكر الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: يؤخذ بناصيته وقدميه، ويكسر كما يكسر الحطب في التنور.

وقال سيار بن حاتم: أنبأنا مسكين، عن حوشب، عن الحسن، قال: إن جهنم ليغلى عليها من الدهر إلى يوم القيامة، يحمى على طعامها وشرابها وأغلالها، ولو أن غلا منها وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود، ولو أن ذراعًا من السلسلة وضع على جبل لرضه، ولو أن جبلاً كان بينه وبين عذاب الله عز وجل مسيرة خمسمائة سنة لذاب ذلك الجبل، وإنهم لَيُجمعون في السلسلة من آخرهم فتأكلهم النار وتبقى الأرواح.

ورواه ابن أبي الدنيا[3]، عن عبيد الله بن عمر الجشمي، (ق/ ٢٩ب) عن المنهال ابن عيسى العبدي، عن حوشب، عن الحسن، عن النبي ﷺ، فذكره بمعناه .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير للآية « ٣٢ » من سورة الحاقة .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٦٩) وعنده : « انقلب » بدلا من «انفلت».

(٣) في « صفة النار » (٢٧) .

وزاد في آخره: **تبقى الأرواح في الحناجر تصرخ** والموقوف أشبه.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: أخبرت عن سيار، عن (أبي العربى)[*] ـ وكان من خيار الناس ـ قال: بلغني أن الأبدان تذهب وتبقى الأرواح في السلاسل.

وخرج الطبراني [1] وابن أبي حاتم، من طريق منصور بن عمار، حدثنا بشير ابن طلحة، عن خالد بن الدريك، عن يعلى بن أمية، رفع الحديث إلى النبي ﷺ، قال: « **ينشئ الله سبحانه لأهل النار سحابة سوداء مظلمة، فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟**

فيذكرون بها سحابة الدنيا، فيقولون: يا ربنا الشراب، فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمراً تلتهب عليهم. وخرجه ابن أبي الدنيا [2] موقوفًا لم يرفعه.

وروى أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره، عن أبي هريرة، فذكر قصة الإسراء بطولها، وفيها قال: ثم أتى على واد ـ يعني النبي ﷺ ـ فسمع صوتًا منكرًا، ووجد ريحًا منتنة .

فقال: « ما هذا يا جبريل » ؟ قال: «هذا صوت جهنم تقول: رب، آتني ما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي، وقد بعد قعري، واشتد حري، فآتني ما وعدتني.

قال: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب» [3].

(*) في المطبوع : ابن المعزى .

(1) في الأوسط برقم (٤١٠٣) وقال : لا يروي هذا الحديث عن يعلى إلا بهذا الإسناد ، تفرد به منصور .

(2) في « صفة النار » (٦٢) .

(3) أورده المنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ٨٥٧ ـ ٨٦١) مطولا وقال : رواه البزار، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة . =

= وأخرجه ابن جرير الطبري كما في تفسير ابن كثير (٥ / ٢١ ـ ٢٥) قال : ثنا علي ابن سهل ، ثنا حجاج ، ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر .
وقال ابن كثير : « أبو جعفر الرازي » قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي : يهم في الحديث كثيراً ، وقد ضعفه غيره أيضًا ، ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيئ الحفظ ، ففيما تفرد به نظر ، وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء ، والله أعلم .
وقال الذهبي في الميزان (٣ / ٣٢٠) في ترجمة أبي جعفر الرازي « عيسى بن أبي عيسى » : هو ماهان ، روى حديثًا طويلاً في المعراج ، فيه ألفاظ منكرة جداً .

فصل
في تفسير قوله تعالى: ولهم مقامع من حديد

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾ [الحج : ٢١ ـ ٢٢].

قال جويبر عن الضحاك : ﴿ **مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** ﴾ أي مطارق.

وروى ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **لو أن مقمعًا من حديد، وضع في الأرض، فاجتمع له الثقلان، لما أقلوه**[1] **من الأرض** » . خرجه الإمام أحمد [2].

وخرج أيضًا بهذا الإسناد [3] ، عن النبي ﷺ: « **لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد** » .

قال الإمام أحمد في كتاب الزهد: حدثنا سيار، حدثنا جعفر، سمعت مالك بن دينار قال: إذا أحس أهل النار في النار بضرب المقامع، انغمسوا في حياض الحميم، فيذهبون سفالاً سفالاً، كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا، يذهب سفالاً سفالاً.

قال سعيد، عن قتادة: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اذكروا لهم النار لعلهم يفرقون فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، وشرابها الصديد، ومقامعها الحديد[4].

---

(١) « ما أقلوه » : ما حملوه وزحزحوه .

(٢) في « المسند » (٣ / ٢٩) ، قال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٣٨٨) : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه ضعفاء وثقوا .

(٣) في « المسند » (٣ / ٨٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٨) رواه أحمد وأبو يعلى في حديث طويل ، ويأتي إن شاء الله، وفيه ابن لهيعة وقد وثق علي ضعفه .

(٤) قتادة لم يدرك عمر فالإسناد منقطع ضعيف .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده، عن صالح المري، أنه قرأ على بعض (ق/ ١٣٠) العباد: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر : ٧١ ـ ٧٢] قال: فشهق الرجل شهقة، فإذا هو قد يبس مغشيًا عليه، قال: فخرجنا من عنده وتركناه .

وقرأ رجل، على يزيد الضبي: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم : ٤٩]فجعل يزيد يبكي حتى غشي عليه. خرجه عبد الله بن الإمام أحمد.

وقد سبق عن مالك بن دينار، أنه قام ليلة في وسط الدار إلى الصباح، فقال: ما زال أهل النار يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم .



الباب السادس عشر - في ذكر حجارتها

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦]

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤]

واختلف المفسرون من السلف في هذه الحجارة:

فقالت طائفة، منهم الربيع بن أنس: الحجارة هي الأصنام التي عبدت من دون الله، واستشهد بعضهم لهذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء: ٩٨ ـ ٩٩].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن أبي صالح، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال في قوله: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] قال: « كورت في جهنم » .

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ٢] قال: « **انكدرت في جهنم، وكل ما عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها** » .

غريب جداً، وأبو بكر بن أبي مريم فيه ضعف .

وقد روي أن الشمس والقمر يكوران في النار :

رواه عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله - هو ابن فيروز الداناج - قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن، يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الشمس والقمر يكوران في النار يوم القيامة**». خرجه البزار [(١)] وغيره [(٢)].

---

(١) في البحر الزخار (المجلد السادس مخطوط (نسخة كوبريلي) قال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، بهذا الإسناد ، ولا نعلم روى عبد الله الداناج عن أبي سلمة إلا هذا الحديث.

(٢) وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٦٦ ـ ٦٧) .

وخرجه البخاري [1] مختصراً ، ولفظه : « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » .

وخرج أبو يعلى، من رواية درست بن زياد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: « **الشمس والقمر ثوران عقيران في النار** » .

وهذا إسناد ضعيف جداً [2] .

وقد قيل: إن المعنى في ذلك أن الكفار، لما عبدوا الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لها وإذلالاً، ونكاية لهم، وإبلاغًا في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته.

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم التي أضلتهم .

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ** (ق / ٣٠ ب) **أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٣٧﴾ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴿٣٨﴾ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾ [الزخرف : ٣٦ ـ ٣٩] .

قال معمر: عن سعيد الجريري في هذه الآيات: بلغنا أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره، شفع بيده شيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار، فذلك حين يقول: ﴿ **يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾ [الزخرف : ٣٨].

وقال أبو الأشهب عن سعيد الجريري، عن عباس الجشمي: إن الكافر إذا خرج من قبره، وجد عند رأسه مثل السرحة المحترقة شيطانة فتأخذه بيده، فيقول:

---

(١) برقم (٣٢٠٠) .

(٢) قال ابن حبان في المجروحين (١ / ٢٩٣) عن درست : وكان منكر الحديث جداً يروي عن مطر وغيره أشياء تتخايل إلى من يسمعها أنها موضوعة ، لا يحل الاحتجاج بخبره ، روى عن يزيد الرقاشي عن أنس.. ثم ساق هذه الرواية .

أنا قرينك، حتى أدخل أنا وأنت جهنم، فذلك قوله: ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٨] خرجها ابن أبي حاتم وغيره .

والسرحة: شجرة كبيرة.

وقد أخبر الله تعالى عن حنق الكفار على من أضلهم بقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : ٢٩]

فإذا قرن أحدهم بمن أضله في العذاب، كان أشد لعذابه، فإن المكان المتسع، يضيق على المتباغضين، فكيف باقترانهما في المكان الضيق.

وأخبر الله تعالى عن اختصام الكفار مع من كان معهم من الشياطين، ومن عبدوه من دون الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآيات كلها [الشعراء : ٩١ ـ ٩٨] .

ومن جملة أنواع عذاب أهل النار فيها تلاعنهم وتباغضهم، وتبرؤ بعضهم من بعض، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب.

كما قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ الآيات [الأعراف:٣٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ [غافر: ٤٧]

وقال الله تعالى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ الآيات [ص : ٥٩ ـ ٦٤] .

وحينئذ فلا يبعد أن يقرن كل كافر بشيطانه الذي أضله، وبصورة من عبده من دون الله من الحجارة.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله بن وضاح، حدثنا عباءة بن كليب، عن محمد بن هاشم، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وقرأها النبي ﷺ، فسمعها شاب إلى جنبه فصعق، فجعل رسول الله ﷺ رأسه في حجره رحمة له، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم فتح عينيه، فقال: بأبي أنت وأمي، مثل أي شيء الحجر؟

قال: « **أما يكفيك ما أصابك، على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه، وإن مع كل إنسان منهم** (ق/ ١٣١) **حجراً وشيطاناً** » (١).

وقال الحسن في مواعظه: أذكرك الله إلا ما رحمت نفسك، فإنك قد حذرت ناراً لا تطفأ، يهوي فيها من صار إليها، ويتردى بين أطباقها قرين شيطان، ولزيق حجر تتلهب في وجهه شعلها: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦].

وأكثر المفسرين، على أن المراد بالحجارة في الآيتين حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب، ليس في غيرها من الحجارة: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا أحميت.

قال عبد الله بن عمير، عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] قال: هي حجارة من الكبريت، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا، يعدها للكافرين. خرجه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك (٢)، وقال:

---

(١) وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤ / ٨٨٧): رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن الوضاح، حدثنا عباءة بن كليب، عن محمد بن هاشم، وعباءة قال أبو حاتم: صدوق في حديثه إنكار، أخرجه البخاري في « الضعفاء » يحول من هناك.

(٢) (٢ / ٤٩٤).

صحيح على شرط الشيخين.

وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤] أما الحجارة حجارة في النار من كبريت أسود، يعذبون به مع النار.

وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيفة.

وهكذا قال أبو جعفر وابن جريج وعمرو بن دينار وغيرهم.

وقال ابن وهب: أخبرني عبد الله بن عياش، أخبرني عبد الله بن سليمان، عن دراج عن أبي الهيثم، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الأرضين بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة، والصخرة بيد ملك، والثانية مسجن الريح، فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عاداً** »، قال: يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور.

قال له الجبار تبارك وتعالى: **إذن يكفي الأرض ومن عليها، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم** » فهي التي قال الله في كتابه: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤٢] .

والثالثة فيها حجارة جهنم، والرابعة فيها كبريت جهنم.

قالوا: يا رسول الله أللنار كبريت ؟ !

قال: **نعم. والذي نفسي بيده، إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت، والخامسة فيها حيات جهنم، أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم** [1] ، **والسادسة فيها عقارب جهنم، إن أدنى عقربة منها**

---

(١) الوضم : الخشبة أو البارية التي يوضع عليها اللحم ، تقية من الأرض . النهاية ، مادة: « وضم » .

كالبغال الموكفة [1] تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم، والسابعة سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء من عباده أطلقه » .

خرجه الحاكم في آخر المستدرك [2] وقال: تفرد به أبو السمح، وقد ذكرت عدالته بنص الإمام يحيى (ق/ ٣١ب) بن معين، والحديث صحيح ولم يخرجاه.

وقال بعض الحفاظ المتأخرين [3] : وهو حديث منكر، وعبد الله بن عياش القتباني ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج كثير المناكير، والله أعلم.

قلت: رفعه منكر جدًّا، ولعله موقوف، وغلط بعضهم فرفعه.

وروى عطاء بن يسار عن كعب من قوله نحو هذا الكلام أيضًا .

وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال: بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ، فقال الشيخ: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟

فقال النبي ﷺ: « والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها فوقع الشيخ مغشيًّا عليه » .

فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو حي، فناداه: قل: « لا إله إلا الله» فقالها، فبشره بالجنة» .

فقال أصحابه: يا رسول الله، أمن بيننا ؟

قال: نعم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٤] . خرجه ابن أبي حاتم [4].

---

(١) السمينة .

(٢) (٤ / ٥٩٤) وأورده ابن كثير في « تفسيره » (٣ / ١٤٣) من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن وهب به وقال : وهذا حديث غريب جدًّا ، ورفعه فيه نظر .

(٣) هو الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك (٤ / ٥٩٤) .

(٤) كما في تفسير « ابن كثير » (٨ / ٨٨) وقال ابن كثير : هذا حديث مرسل غريب .

الباب السابع عشر - في ذكر حياتها وعقاربها

قد تقدم في الباب الثامن، والباب الرابع عشر، والباب السادس عشر، بعض ذكر حيات جهنم وعقاربها.

وخرج الإمام أحمد [1] ، من حديث ابن لهيعة، عن دراج، سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن في النار حيات كأعناق البخت البيض ، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد حموتها [2] أربعين خريفًا، وإن في النار عقارب، كأمثال البغال الموكفة [3] ، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد حموتها أربعين سنة** » .

وخرجه الحاكم [4]من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.

وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ [النحل : ٨٨] قال: « عقارب لها أنياب كالنخل الطوال » . وخرجه الحاكم [5] وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية عنه، قال: « زيدوا عقارب من نار كالبغال الدهم [6] ، أنيابها كالنخل » . خرجه آدم بن أبي إياس في « تفسيره » عن المسعودي، عن

---

(١) (٤ / ١٩١) . قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٠) : رواه أحمد والطبراني ، وفيه جماعة قد وثقوا .

(٢) أي سمها .

(٣) أي الغزيرة السمينة .

(٤) (٤ / ٥٩٣) وقال : صحيح الإسناد .

(٥) في « المستدرك » (٢ / ٣٥٦) .

(٦) أي السود .

الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود. وقول من قال: عن عبد الله بن مرة، عن مسروق أصح.

وخرج ابن أبي حاتم، من رواية سفيان، عن رجل، عن مرة عن عبد الله، في قوله تعالى: ﴿ عَذَابًا ضِعْفًا من النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] قال: حيات وأفاعي [١].

وروى السدي، عن مرة، عن عبد الله في هذه الآية، قال: أفاعي النار.

وروى ابن وهب [٢]، عن [حيي] [*] بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب، أعناقها كأعناق البخت [٣].

وخرج ابن أبي الدنيا وغيره، من طريق مجاهد، عن يزيد (ق ٣٢ / ١) بن شجرة، قال: إن لجهنم جبابًا [٤] في سواحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الموكفة الذل [٥]، فإذا سأل أهل النار التخفيف، قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم [٦] وجنوبهم وما شاء الله من ذلك فتكشطها، فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران، ويسلط عليهم الجرب، حتى إن

---

(١) وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٨ / ١٧٤) من طريق سفيان، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله ﴿ فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ [الأعراف: ٣٨] قال: حيات وأفاعي.
وأخرجه أيضًا (٨ / ١٧٤) من طريق سفيان قال: ثني غير واحد، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله ﴿ ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ قال: أفاعي.

(٢) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (١٤ / ١٦١) من طريقه به فذكره.

(٣) هي نوع من الإبل الضخام.

(٤) جمع جب، وهو البئر العميقة.

(٥) أي السمينة المذللة المروضة.

(٦) أي من شفاههم.

(*) في الأصل والمطبوع: « يحيى » وهو خطأ، والتصويب من كتب الرجال وكتب التخريج وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣ / ٢٧١) قال عنه أحمد بن حنبل: أحاديثه مناكير وقال ابن معين: ليس به بأس.. وفي الكامل لابن عدي (٢ / ٤٤٩)=

أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان هل يؤذيك هذا، فيقول نعم، فيقول له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين [1].

وروى عبيد الله بن موسى، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: في جهنم عقارب كأمثال الدلم لها أنياب كالرماح، إذا ضربت إحداهن الكافر على رأسه ضربة تساقط لحمه على قدميه.

وروى حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي عثمان، قال: على الصراط حيات يلسعن أهل النار، قال: فيقولون: حس حس، فذلك قوله: ﴿ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠٢]

وكان إبراهيم العجلي، رحمه الله، يقع على كتفيه وظهره، فيتأذى به فيقول لنفسه:

وأنت تأذى من حسيس بعوضة   فللنار أشقى ساكنين وأوجع

* * *

= أن البخاري قال: حيي بن عبد الله المصري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، سمع منه ابن وهب، فيه نظر.

قلت: وهذه العبارة جرح شديد عند البخاري رحمه الله.

(١) وعزاه المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤ / ٨٩٢) لابن أبي الدنيا، وقال: ويزيد بن شجرة الرهاوي مختلف في صحبته.

الباب الثامن عشر ـ في
ذكر طعام أهل النار وشرابهم فيها

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ ـ ٤٦]

وقال: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا [1] كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا [2] مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٢ ـ ٦٨]

وقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ [3] (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ﴾ [الواقعة : ٥١ ـ ٥٧]

وقال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيراً ﴾ [الإسراء : ٦٠]

وخرج الترمذي [4] وابن ماجه [5] وابن حبان في صحيحه [6]، من حديث ابن عباس، أن النبي ﷺ، قرأ هذه الآية: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم

---

(١) ﴿ طلعها ﴾ : أي ثمرها الشبيه بطلع النخل . ﴿ كأنه رؤوس الشياطين ﴾ : تمثيل لتناهيه في البشاعة والقبح .

(٢) ﴿ لشوبًا ﴾ : لخلطًا ومزاجًا . ﴿ حميم ﴾ : أي ماء بالغ غاية الحرارة .

(٣) ﴿ شرب الهيم ﴾ : الإبل العطاش التي لا تروى .

(٤) برقم (٢٥٨٥) وقال : حسن صحيح .

(٥) برقم (٤٣٢٥) .

(٦) برقم (٧٤٧٠) .

مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] فقال رسول الله ﷺ: « **لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه ؟** » وقال الترمذي: صحيح، وروي موقوفًا على ابن عباس.

وقال ابن إسحاق [(١)] : حدثني حكيم بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل لما ذكر رسول الله ﷺ شجرة الزقوم: يخوفنا بها محمد ؟ !

يا معشر قريش، أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا: لا . قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمها تزقمًا [(٢)] ، فأنزل الله فيه: ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ** ﴾ الآية [الدخان : ٤٣ ـ ٤٤] .

أي ليس كما تقول .

وأنزل الله: ﴿ **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيراً** ﴾ [الإسراء : ٦٠]

وقال عبد الرزاق [(٣)] : عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿ (ق / ٣٢ ب) **فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ** ﴾ [الصافات: ٦٣] قال: زادتهم تكذيبًا حين أخبرهم أن في النار شجرة، فقالوا: يخبرهم أن في النار شجرة، والنار تحرق الشجرة، فأخبرهم أن غذاءها من النار.

وقد تقدم عن ابن عباس، أن شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر [(٤)] .

وروي عن الحسن، أن أصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

وقال سلام بن مسكين: سمعت الحسن تلا هذه الآية ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ** ﴾ [الدخان : ٤٣ ـ ٤٦]

---

(١) ذكرها ابن هشام في السيرة ٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨) دون إسناد .

(٢) أي لنلتقمنها تلقمًا ، اللسان ، مادة : « زقم » .

(٣) في « تفسيره » (٣ / ١٥٠) .

(٤) انظر تفسير الطبري (١ / ٣٨١) .

قال: إنها هناك قد أحميت عليها جهنم.

وقال مغيرة، عن إبراهيم، وأبي رزين: ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [الدخان: ٤٥]قال: الشجر يغلي.

قال جعفر بن سليمان: سمعت أبا عمران الجوني يقول: بلغنا أنه لا ينهس منها نهسة إلا نهست منه مثلها.

وقد دل القرآن، على أنهم يأكلون منها، حتى تمتلئ منها بطونهم، فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم.

قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: الهيم: الإبل العطاش [(١)].

وقال السدي: هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا .

وعن مجاهد نحوه.

وعن الضحاك في قوله: ﴿ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥٥] قال: من العرب من يقول: هو من الرمل، ومنهم من يقول: الإبل العطاش.

وقد روي عن ابن عباس كلا القولين.

ودل قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [الصافات : ٦٧] على أن الحميم يشاب به ما في بطونهم من الزقوم، فيصير شوبًا له.

وقال عطاء الخراساني في هذه الآية: يقول: يخلط طعامهم ويشاط [(*)] بالحميم.

وقال قتادة: ﴿ لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [الصافات : ٦٧] : مزاجًا من حميم .

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٧ / ١٩٦) من طريق سفيان عن ابن عباس ، وهو إسناد منقطعٌ ، وكذلك علي بن أبي طلحة قيل : لم يسمع ابن عباس .

(*) في المطبوع : « ويشاب » .

وعن سعيد بن جبير قال: إذا جاع أهل النار، واستغاثوا ، فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فانسلخت وجوههم، حتى لو أن ماراً مر عليهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم، فإذا أكلوا منها، ألقي عليهم العطش، فاستغاثوا من العطش، فأغيثوا بماء كالمهل، والمهل: الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم، أنضج حره الوجوه، ويصهر به ما في بطونهم، ويضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حاله، يدعون بالثبور [1] .

وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٨] أي بعد أكل الزقوم وشرب الحميم عليه.

ويدل هذا على أن الحميم خارج من الجحيم، فهو يوردونه كما تورد الإبل على الماء، ثم يردون إلى الجحيم.

ويدل على هذا أيضًا ، قوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ [الرحمن ٤٣ ـ ٤٤] .

والمعنى أنهم يترددون بين جهنم والحميم، فمرة إلى هذا، ومرة إلى هذا، قاله قتادة، وابن جريج، وغيرهما .

وقال القرظي في قوله: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ [الرحمن : ٤٤] قال: إن الحميم دون النار، فيؤخذ العبد بناصيته، فيجر في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحم، ويبقى العظم، (ق/ ١٣٣) والعينان في الرأس، وهذا الذي يقول الله عز وجل: ﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧٢]



---

(١) الثبور : الهلاك .

فصل
في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ ـ ١٣]

وقال: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ٦ ـ ٧]

روى الإمام أحمد بإسناده، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج [(١)].

وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ مِن ضَرِيعٍ ﴾ قال: شجر في النار.

وقال مجاهد: الضريع: الشبرق اليابس.

وروي أيضًا عن عكرمة وقتادة.

ورواه العوفي عن ابن عباس .

والشبرق: نبت ذو شوك، لاطئ بالأرض، فإذا هاج سمي ضريعًا .

وقال قتادة: من أضرع الطعام وأبشعه.

وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ مِن ضَرِيعٍ ﴾ قال: من حجارة، وعنه قال: الزقوم .

---

(١) وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٩ / ١٣٥) من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة به . وعزاه المنذري في الترغيب (٤ / ٢٦٢) للحاكم وقال : صحيح الإسناد . أي الحاكم .

وعن أبي الجوزاء قال: الضريع: السلى [شوك النخل] (*)، وكيف يسمن من يأكل الشوك؟

وخرج الترمذي (١) من حديث أبي الدرداء، عن النبي ﷺ: « **يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون، فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن، ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا وصلت بطونهم قطعت ما في بطونهم** » وذكر بقية الحديث.

وقد روي هذاموقوفًا على أبي الدرداء، وقيل: إن وقفه أشبه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ** ﴾ (٢) [الحاقة : ٣٥ ـ ٣٧]

روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: من غسلين، قال: هو صديد أهل النار(٣).

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس في الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم، وهو طعامهم (٤).

وعن مقاتل، قال: إذا سال القيح والدم، بادروا أكله، قبل أن تأكله النار.

وقال أبو جعفر، عن الربيع بن أنس: الغسلين: شجرة في جهنم.

(*) من المطبوع.

(١) برقم (٢٥٨٦) ونقل قول الدارمي : والناس لا يرفعون هذا الحديث .

وقال الترمذي: إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله ، وليس بمرفوع .

(٢) الخاطئون : الكافرون .

(٣) أخرجه الطبري (٢٩ / ٦٥) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٤١٧ ـ دار الفكر) .

وعن الضحاك مثله.

وروى خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: ما أدري ما الغسلين، ولكني أظنه الزقوم.

وقال أبو هلال، عن قتادة: وهو طعام من طعام جهنم، من شر طعامهم.

وقال يحيى بن سلام: هو غسالة أجوافهم.

قال ابن قتيبة: هو فعلين من غسلت، كأنه الغسالة.

قال شريح بن عبيد: قال كعب: لو دلي من غسلين دلو واحد في مطلع الشمس، لغلت منه جماجم قوم في مغربها. خرجه أبو نعيم [1].

وقد روي أن بعض أهل النار يأكل لحمه، وسنذكر الحديث في ذلك، فيما بعد، إن شاء الله.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠]

وقد روي في حديث: « **إن أكلة الربا [يبعثون] (*) تتأجج أفواههم ناراً** » ثم تلا هذه (ق/ ٣٣ب) الآية. خرجه ابن حبان في صحيحه [2] من حديث أبي برزة عن النبي ﷺ



(*) من المطبوع.

(١) في « الحلية » (٥ / ٣٦٨) مطولا ، وأوله : « قال عمر لكعب : خوفنا يا كعب . . . » الحديث .

(٢) برقم (٢٥٨٠ ـ موارد) .

فصل
في شراب أهل النار

وأما شرابهم فقال الله تعالى: ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ [الواقعة : ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥].

وقال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ : ٢٤ ـ ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص: ٥٧ ـ ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ [١] وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم: ١٦ ـ ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢] [الكهف : ٢٩].

فهذه أربعة أنواع من شرابهم، ذكرها الله في كتابه:

النوع الأول: الحميم.

قال عبد الله بن عيسى الخزاز [*] ، عن أبي رواد، عن عكرمة، عن ابن عباس: الحميم: الحار الذي يحرق .

---

(١) « يتجرعه » : أي يتكلف بلعه لحرارته ومرارته . « لا يكاد يسيغه»: أي يبتلعه لشدة كراهته ونتنه .

(٢) « مرتفقا » : أي متكئًا أو مقرًّا .

(*) في الأصل : « الحراز » ، والمثبت من حاشية الأصل وهو الصواب، وانظر الإكمال لابن ماكولا (٢ / ١٨٣) .

وقال الحسن والسدي: الحميم: الذي قد انتهى حره.

وقال جويبر عن الضحاك: يسقى من حميم يغلي منذ خلق الله السموات والأرض، إلى يوم يسقونه، ويصب على رؤوسهم.

وقال ابن وهب، عن ابن زيد: الحميم: دموع أعينهم في النار، تجتمع في حياض النار، فيسقونه، قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]

قال محمد بن كعب: حميم آن: حاضر، وخالفه الجمهور، فقالوا: بل المراد بالآن: ما انتهى حره.

وقال شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: حميم آن: الذي قد انتهى غليه[1].

وقال سعيد بن بشير عن قتادة: قد آن طبخه، منذ خلق الله السموات والأرض. وقال الله تعالى: ﴿ تسقى من عين آنية﴾ قال مجاهد: قد بلغ حرها، وحان شربها.

وعن الحسن، قال: كانت العرب تقول للشيء، إذا انتهى حره، حتى لا يكون شيء أحر منه: قد أنى حره.

قال الله عز وجل: " من عين آنية" يقول قد أوقد الله عليها جهنم منذ خلقت، وأنى حرها.

وعنه قال: آن طبخها منذ خلق الله السموات والأرض.

وقال السدي: انتهى حرها، فليس بعده حر.

وقد سبق حديث أبي الدرداء، في دفع الحميم إليهم بكلاليب الحديد.

النوع الثاني: الغساق.

قال ابن عباس: الغساق: ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه.

وعنه قال: الغساق: الزمهرير البارد، الذي يحرق من برده.

وعن عبدِ الله بن عمرو قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٧ / ١٤٤) من طريق آخر مسلسل بالضعفاء.

في المغرب، لأنتنت أهل المشرق، ولو تهراق في المشرق، لأنتنت أهل المغرب.

وقال مجاهد: غساق: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.

وقال عطية: هو ما يغسق من جلودهم ـ يعني يسيل من جلودهم.

وقال كعب: غساق: عين في جهنم يسيل إليها [١] حمة كل ذي حمة، من حية وعقرب أو غير ذلك، فيستنقع، فيؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه، ويجر لحمه، كما يجر الرجل ثوبه.

وقال السدي : الغساق : الذي يسيل من أعينهم من دموعهم ، يسقونه مع الحميم.

وروى دراج، (ق١٢٤) عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **لو أن دلواً من غساق، يهراق في الدنيا، لأنتن أهل الدنيا** » خرجه الإمام أحمد [٢] والترمذي [٣] والحاكم [٤] وصححه.

وقال بلال بن سعد: لو أن دلواً من الغساق، وضع على الأرض، لمات من عليها.

وعنه قال: لو أن قطرة منه، وقعت على الأرض، لأنتنت ما فيها. خرجهما أبو نعيم.

فقد صرح ابن عباس، في رواية عنه، ومجاهد، بأن الغساق هنا هو البارد الشديد البرد.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا** ﴾

---

(١) الحُمَة : بالتخفيف : السم ، وقد يُشَدَّد .

(٢) (٣ / ٢٨ ، ٨٣) .

(٣) برقم (٢٥٨٤) وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تُكلِّمَ فيه من قبل حفظه .

(٤) (٤ / ٦٠٢) .

[النبأ : ٢٤ ـ ٢٥]فاستثنى من البرد الغساق ومن الشراب الحميم.

وقد قيل: إن الغساق هو البارد المنتن، وليس بعربي.

وقيل: إنه عربي، وإنه فعال من غسق، يغسق، والغاسق: الليل، وسمي غاسقًا لبرده.

النوع الثالث: الصديد.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم : ١٦] قال: يعني القيح والدم.

وقال قتادة في قوله : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده.

قال: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٧] قال قتادة: هل لكم بهذا يدان، أم لكم على هذا صبر؟ طاعة الله أهون عليكم يا قوم فأطيعوا الله ورسوله.

وخرج الإمام أحمد [(١)] والترمذي [(٢)] ، « من حديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٦ ، ١٧] قال: يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره، يقول تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥]

ويقول تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ [الكهف: ٢٩]

وروى أبو يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: في جهنم أودية من قيح تكتاز ، ثم تصب في فيه.

وفي صحيح مسلم [(٣)] عن جابر، عن النبي ﷺ، قال: « **إن على الله عهدًا**،

---

(١) (٥ / ٢٦٥) .

(٢) برقم (٢٥٨٣) وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر ، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث .

(٣) برقم (٢٠٠٢) .

لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال .

قالوا: يا رسول الله ! وما طينة الخبال ؟

قال: **عرق أهل النار أو عصارة أهل النار»** .

وخرج الإمام أحمد [(١)] والنسائي [(٢)] وابن ماجه [(٣)] وابن حبان في «صحيحه»[(٤)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ، نحوه، إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة. وفي بعض الروايات : « **من عين الخبال** » [(٥)].

[وخرج الترمذي [(٦)] ، من حديث عبد الله بن عمر، نحوه، عن النبي ﷺ، أنه قال: « **من نهر الخبال**»] [(*)] .

قيل: يا أبا عبد الرحمن ما نهر الخبال ؟

قال: نهر من صديد أهل النار. وقال: حديث حسن.

وخرج أبو داود [(٧)] ، من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ نحوه، وقال: «**من طينة الخبال**» .

قيل: يا رسول الله، ما طينة الخبال ؟

قال: « **صديد أهل النار**».

وفي رواية أخرى، قال: « **ما يخرج من زهومة [(٨)] أهل النار وصديدهم**».

وخرجه الإمام أحمد بمعناه أيضًا من حديث أبي ذر [(٩)] وأسماء بنت يزيد[(١٠)]،

---

(١) (٢ / ١٧٨) .
(٢) لم أجده عند النسائي بلفظ أحمد .
(٣) برقم (٣٣٧٧) .
(٤) برقم (١٣٧٨ ـ موارد) .
(٥) أخرجه البزار في البحر الزخار (٢٤٦٩) ، والحاكم (٤ / ١٦٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
(٦) برقم (١٨٦٢) .
(*) من المطبوع .
(٧) برقم (٣٦٨٠) .
(٨) زهومة : الريح المنتنة .
(٩) (٥ / ١٧١) .
(١٠) (٦ / ٤٦٠) .

عن النبي ﷺ

وخرجه الإمام أحمد [1] وابن حبان [2] في صحيحه، من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: «**من مات** (ق/ ٣٤ب) **مدمن خمر، سقاه الله من نهر الغوطة.** قيل: وما نهر الغوطة؟

قال: نهر يخرج من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهم».

وقد سبق حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، في المتكبرين، وفيه: «**يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**».

النوع الرابع: الماء الذي كالمهل.

خرج الإمام أحمد [3] والترمذي [4]، من حديث دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، في قوله: كالمهل قال: «**كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه، سقطت فروة وجهه فيه**».

قال عطية: سئل ابن عباس عن قوله: «**كالمهل**» قال: غليظ كدردي الزيت[5].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أسود كمهل الزيت [6].

وكذا قال سعيد بن جبير وغيره.

---

(١) (٤ / ٣٩٩).

(٢) برقم (١٣٨٠ ـ موارد).

(٣) (٣ / ٧١).

(٤) برقم (٢٥٨٤) وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥ / ١٣١) من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس دون قوله: «غليظ».

وأخرجه الطبري (١٥ / ٢٤٠) بإسناد مسلسل بالضعفاء قال: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت.

(٦) أخرجه الطبري (٢٥ / ١٣١).

وقال الضحاك: أذاب ابن مسعود فضة بيت المال، ثم أرسل إلى أهل المسجد، فقال: من أحب أن ينظر إلى المهل، فلينظر إلى هذا.

وقال مجاهد: بماء كالمهل: مثل القيح والدم، أسود كعكر الزيت.

وخرج الطبراني [١]، من طريق تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أنس عن النبي ﷺ: «**لو أن غربًا، جعل من حميم [٢] جهنم، جعل وسط الأرض، لآذى نتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب**».

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال: بلغني أن جبريل، قال للنبي ﷺ: «**لو أن ذنوبًا من شراب جهنم، صب في ماء الأرض جميعًا، لقتل من ذاقه**».

خرج بعض المتقدمين، فمر بكروم بقرية، يقال لها: طيز ناباذ، وكأنه كان يعصر فيها الخمر، فأنشد يقول:

بطيز ناباذ [٣] كرم ما مررت به ... إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فهتف به هاتف يقول:

وفي جهنم ماء ما تجرعه ... حلق فأبقى له في البطن أمعاء

❊❊❊

---

(١) في الأوسط (٣٦٨١) وقال: لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا تمام بن نجيح.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٨٧): وفيه تمام بن نجيح وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله أحسن حالاً من تمام.

(٢) في «الأوسط»: «لو أن غربًا من جهنم».

(٣) طيزناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية، بينها وبين القادسية ميل، وهي كلمة أعجمية، والشعر لأبي نواس الحسن بن هانئ.

فصل
في تنغص السلف على طعامهم عند ذكر طعام أهل النار

وكان كثير من الخائفين من السلف، ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار ، طعام الدنيا وشرابها، حتى يمتنعوا من تناوله أحيانًا لذلك،

وكان الإمام أحمد يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه.

روى شعبة، عن سعد بن إبراهيم، قال: أتي عبد الرحمن بن عوف بعشائه، وهو صائم، فقرأ: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ ، ١٣]فلم يزل يبكي، حتى رفع طعامه، فما تعشى، وإنه لصائم. خرجه الجوزجاني.

وروى ابن أبي الدنيا من طريق يونس، عن الحسن، قال: لقي رجل رجلاً، فقال له: ما هذا إني أراك قد تغير لونك، ونحل جسمك، فما هو ؟

فقال الآخر: وإني أرى ذلك، فمم هو ؟

قال: أصبحت منذ ثلاثة أيام صائمًا، فلما أتيت بإفطاري، عرضت لي هذه الآية: ﴿ يُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٦ ، ١٧] .

فلم أستطع أن أتعشى، فأصبحت صائمًا، فلما أتيت بعشائي أيضًا، عرضت لي أيضًا ، فلم أستطع أن أتعشى، فلي ثلاث منذ أنا صائم، قال: يقول الرجل الآخر: وهي التي عملت بي (ق/ ١٣٥)هذا العمل.

ومن طريق خليد بن حسان الهجري، قال: أمسى الحسن صائماً فأتي بعشائه، فعرضت له هذه الآية: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[المزمل : ١٢ ، ١٣] فقلصت يده، وقال: ارفعوه، فأصبح صائمًا، فلما أمسى، أتي بإفطاره، عرضت له، فقال ارفعوه فقلنا: يا أبا سعيد، تهلك وتضعف!! فأصبح اليوم الثالث صائمًا، فذهب ابنه إلى يحيى البكاء وثابت البناني ويزيد الضبي، فقال: أدركوا أبي، فإنه هالك، فلم يزالوا به، حتى سقوه شربة ماء من سويق .

ومن طريق صالح المري قال: كان عطاء السلمي، قد أضر بنفسه حتى ضعف، فقلت له: إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك شيئًا، فلا ترد كرامتي، قال: أفعل، قال: فاشتريت سويقًا، من أجود ما وجدت، وسمنًا، قال: فجعلت له شربة، فلتتها وحليتها، وأرسلت بها مع ابني وكوزًا من ماء، وقلت له: لا تبرح حتى يشربها، فرجع، فقال: قد شربها، فلما كان من الغد، جعلت له نحوها، ثم سرحت بها مع ابني، فرجع بها لم يشربها، قال: فأتيته فلمته، فقلت: سبحان الله ! أرددت علي كرامتي ؟ ! إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة، وعلى ذكر الله تعالى، قال :فلما رآني قد وجدت [1] من ذلك، قال: يا أبا بشر، لا يسؤك الله قد شربتها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد راودت نفسي على أن أسيغها، فما قدرت على ذلك، إذا أردت أن أشربه أذكر هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم : ١٧] فبكى صالح عند هذا، وقال قلت لنفسي: ألا أراني في واد وأنت في آخر.

وروى الإمام أحمد بإسناده، عن صالح المري، عن عطاء السلمي، قال: كنت إذا ذكرت جهنم، ما يسيغني طعام ولا شراب.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد، من طريق مرجى بن وداع، قال: انطلقت مع صالح المري، فدخلنا على عطاء السلمي، فقلنا له: يا عطاء، تركت الطعام والشراب ؟ !

قال: إني إذا ذكرت صديد أهل النار لم أسغه.

---

(١) وجدت : غضبت .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن عبد المؤمن الصائغ، قال: دعوت رباحًا القيسي ذات ليلة إلى منزلي، فجاءني في السحر، فقربت إليه طعامًا، فأصاب منه شيئًا، فقلت: ازدد فما أراك شبعت، قال: فصاح صيحة أفزعتني، وقال: كيف أشبع أيام الدنيا، وشجرة الزقوم بين يدي طعام الأثيم، قال: فرفعت الطعام من بين يديه، فقلت: أنت في شيء ونحن في شيء.

وبإسناده عن أبي سعد (*) ، قال: دخل عبيد الله بن الوليد ، على حبابة التيمية، فقدمت له سمنًا وخبزًا وعسلاً، فقال: يا حبابة ما تخافين أن يكون بعد هذا الضريع، قال: فما زال يبكي وتبكي، حتى قام ولم يأكل شيئًا .

وبإسناده عن سوار بن عبد الله القريعي، قال: كنا مع عمرو بن درهم في بعض السواحل، وقال: وكان لا يأكل إلا من السحر إلى السحر، فجئنا بطعام، فلما رفع الطعام إلى فيه، سمع بعض المتهجدين وهو يقرأ : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣] (ق/ ٣٥ب) فغشي عليه، وسقطت اللقمة من يده، فلم يفق إلا بعد طلوع الفجر، فمكث بذلك سبعًا، لا يطعم شيئًا، كلما قرب إليه طعام، عرضت له الآية، فيقوم ولا يطعم شيئًا، فاجتمع إليه أصحابه، فقالوا : سبحان الله ! تقتل نفسك ؟ ! فلم يزالوا به حتى أصاب شيئًا .

وبإسناده عن محمد بن سويد ، قال : كان لطاووس طريقان إذا رجع من المسجد ، أحدهما فيه رواس، وكان يرجع إذا صلى المغرب، فإذا أخذ الطريق الذي فيه الرواس لم يتعش ، فقيل له ، فقال : إذا رأيت تلك الرؤوس كالحة لم أستطع آكل.

وذكر مالك بن أنس هذه الحكاية، عن طاووس، قال مالك : يعني لقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤]

وروى ابن أبي الدنيا أيضًا بإسناده عن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء باردًا فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك ؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله قوله:

(*) في المطبوع : « عن أبي سعيد » .

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ : ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٥٠]

وعن سلام بن أبي مطيع، قال: أتي الحسن بكوز من ماء، ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى، وقال: ذكرت أمنية أهل النار وقولهم: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا ﴾ [الأعراف : ٥٠] وذكرت ما أجيبوا به ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.

وعن عبد الملك بن مروان، أنه شرب ماء باردًا، فقطعه ثم بكى، فقيل: له ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ !

قال: ذكرت شدة العطش يوم القيامة، وذكرت أهل النار وما منعوا من بارد الشراب، ثم قرأ: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٧]

وروى عبد الله بن الإمام أحمد، بإسناده عن إبراهيم النخعي، قال: ما قرأت هذه الآية إلا ذكرت برد الشراب، وقرأ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ : ٥٤]

واستسقى محمد بن مصعب العابد ماء، فسمع صوت البراد ، وقال لنفسه: من أين لك في النار براد؟ ثم قرأ: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ [الكهف : ٢٩]

***

الباب التاسع عشر
في ذكر كسوة أهل النار ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج : ١٩].

كان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية في قصصه يقول: سبحان من خلق من النار ثيابًا !

وروينا من طريق يحيى بن معين، حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثنا عبد الله بن بحير، عن عباس الجريري ـ أحسبه عن ابن عباس ـ قال: يقطع للكافر ثياب من نار، حتى ذكر القباء والقميص والكمة.

وخرج أبو داود [(١)] وغيره [(٢)] ، من حديث المستورد، عن النبي ﷺ، قال: **«من أكل برجل [(٣)] مسلم أكلة في الدنيا، أطعمه الله مثلها في جهنم، ومن كسي أو اكتسى برجل مسلم ثوباً، كساه الله مثله في جهنم»**.

وفي مسند الإمام أحمد [(٤)] عن هبيب بن مغفل، عن النبي ﷺ، قال: **« من وطئ إزاره خيلاء، وطئه في النار»**.

---

(١) برقم (٤٨٨١) .

(٢) وأخرجه أحمد (٤ / ٢٢٩) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٠)، والحارث في مسنده (٨٧٩ ـ بقية) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٨٠٧) ، والطبراني في الكبير (٢٠ / ٧٣٥) ، وفي مسند الشامين (٢٠٦) ، وفي الأوسط (٦٩٧ ، ٣٥٧٢) وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن ثوبان إلا بقية بن الوليد . وأخرجه البيهقي في الشعب (٦٧١٧) أيضًا .

(٣) من أكل برجل مسلم : أي بسبب اغتيابه والوقيعة فيه ، أو بتعرضه له بالأذية عند من يعاديه .

(٤) (٣ / ٤٣٧) ، (٤ / ٢٣٧) . قال الهيثمي في المجمع (٥ / ١٢٥): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، خلا أسلم أبا عمران ، وهو ثقة .

وهذا يبين معنى ما في صحيح البخاري [1] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: « **ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار** » أن المراد ما تحت الكعب من البدن والثوب معًا. وأنه يسحب ثوبه (ق/ ١٣٦) في النار كما يسحبه في الدنيا خيلاء.

وسيأتي حديث: « **أهون أهل النار عذابًا، من في قدميه نعلان من نار، يغلي منهما دماغه** » . فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفي كتاب أبي داود [2] والنسائي [3] والترمذي [4]، عن بريدة أن النبي ﷺ، رأى على رجل خاتمًا من حديد، فقال: « **مالي أرى عليك حلية أهل النار ؟!** ».

وروى حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس، عن النبي ﷺ: « **أن أول من يكسى حلة من النار إبليس، يضعها على حاجبيه، ويسحبها من خلفه [و][*] ذريته من خلفه، وهو يقول: يا ثبوره ! وهم ينادون: يا ثبورهم ! حتى يقفوا على النار، فيقول: يا ثبوره ! فيقول: يا ثبورهم فيقال:** ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٤] خرجه الإمام أحمد [5].

وفي حديث عدي الكندي، عن عمر، أن جبريل قال للنبي ﷺ: « **والذي بعثك بالحق، لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار، علق بين السماء والأرض، لمات من في الأرض كلهم جميعًا من حره** »، وخرجه الطبراني، وسبق ذكر إسناده.

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال: بلغني أن جبريل قال للنبي ﷺ، فذكر بنحوه.

---

(١) برقم (٥٧٨٧) .

(٢) برقم (٤٢٢٣) .

(٣) (٨ / ١٧٢) .

(٤) برقم (١٧٨٥) وقال الترمذي : هذا حديث غريب . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو .

(*) من « المسند » ، وأخرجه البزار (٦ / ١٢ أ مخطوط) وعنده : «فيسحبها من خلفه ، أحسبه قال : وتتبعه ذريته خلفه » . وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلم رواه إلا أنس ، ولا نعلم رواه عن علي بن زيد إلا حماد بن سلمة .

(٥) (٣ / ١٥٢ ، ١٥٣ ـ ١٥٤) . قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٢) : رواه أحمد والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح ، غير علي بن زيد وقد وثق .

فصل
في أن سرابيل أهل النار من قطران

قال الله عز وجل: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم : ٤٩ ، ٥٠].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ قال: هو النحاس المذاب [1].

وروى حصين عن عكرمة في قوله: ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: من صفر يحمى عليها.

قال معمر [عن قتادة في قوله: ﴿ مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: من النحاس.

قال معمر:] [*]وقال الحسن: قطران الإبل.

وفي صحيح مسلم[2]عن أبي مالك الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران، ودرعه من جرب**».

وخرجه ابن ماجه [3] ، ولفظه: « **النائحة إذا ماتت، ولم تتب، قطع الله لها ثيابًا من قطران، ودرعًا من لهب النار**».

وخرج ابن ماجه [4] أيضًا، من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ: « **إن النائحة إذا لم تتب، قبل أن تموت، فإنها تبعث يوم القيامة، عليها سرابيل من قطران، ثم يُعْلَى عليها، بدروع من لهب النار**».

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٣ ٢٥٧) .

(*) من المطبوع .

(٢) برقم (٩٣٤) .

(٣) برقم (١٥٨١) .

(٤) برقم (١٥٨٢) قال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده عمر بن راشد ، قال فيه الإمام أحمد : حديثه ضعيف ليس بمستقيم ، وقال ابن معين : ضعيف . وقال البخاري : حديثه عن يحيى بن أبي كثير مضطرب ليس بالقائم ، وقال ابن حبان : يصنع الحديث لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه ، وقال الدارقطني في « العلل»:=

فصل
تفسير قوله تعالى: لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش

قال الله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١]

قال محمد بن كعب والضحاك والسدي وغيرهم: المهاد: الفرش، والغواش، اللحف.

وقال الحسن في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [الإسراء : ٨]

قال: فراشاً ومهاداً .

وقال قتادة: محبسًا حصروا فيه.

وروى مسكين، عن حوشب عن الحسن، أنه كان إذا ذكر أهل النار قال في وصفهم: قد حذيت لهم نعال من نار، وسرابيل من قطران، وطعامهم من نار، وشرابهم من نار، وفرش من نار، ولحف من نار، ومساكن من نار، [في شر دار، وأسود عذاب في الأجساد] (*) أكلاً أكلاً، وصهراً صهراً ، وحطمًا حطمًا .

وروى داود بن المحبر، عن الحسن بن واصل، وعبد الواحد بن زيد، عن الحسن، قال: إن رجلاً من صدر هذه الأمة، كان إذا دخل المقابر نادى: يا أهل القبور ! بعد الرفاهية والنعيم معالجة الأغلال في النار ، وبعد القطن والكتان لباس القطران ومقطعات النيران ، وبعد تلطف الخدم [والحشم،] (*) ومعانقة الأزواج، مقارنة الشيطان في نار جهنم، (ق/ ٣٦ب) مقرنين في الأصفاد .

= متروك .

ولكن يشهد له الحديث السابق .

(*) من المطبوع .

وروى ابن أبي الدنيا، بإسناده، عن وهب بن منبه، قال: أما أهل النار الذين هم أهلها، فهم في النار لا يهدؤون ولا ينامون لا يموتون، ويمشون على النار، ويجلسون [على النار،] (*) ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون من زقوم النار، فرشهم ولحفهم نار، وقمصهم نار وقطران، وتغشى وجوههم النار، وجميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها، يجذبونهم مقبلين ومدبرين، فيسيل صديدهم إلى حفر في النار فذلك شرابهم، قال: ثم بكى وهب حتى سقط مغشياً عليه، وغلب بكر بن خنيس عند روايته لهذا الحديث البكاء، حتى قام فلم يقدر أن يتكلم، وبكى محمد بن جعفر بكاء شديداً .

وبإسناده عن هداب، قال: أقبلت أم يحيى بن زكريا على يحيى في ثوب تعالجه له ليلبسه، فقال لها: أفعل، فقالت: من أي شيء ؟

قال: من شعر، قالت: يا بني إذا يأكل لحمك، قال: يا أمه، إذا ذكرت مقطعات أهل النار لان على جلدي.

وكان عطاء الخراساني ينادي أصحابه في السفر: يا فلان ويا فلان ! قيام هذا الليل، وصيام هذا النهار، أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد، الوَحَا ثم الوَحَا ثم الوَحَا [1]، ثم يقبل على صلاته.

ولما ماتت النور امرأة الفرزدق ودفنت، وقف الفرزدق على قبرها، وأنشد بحضرة الحسن رحمه الله هذه الأبيات:

أخاف وراء القبر - إن لم يعافنـــي	أشد من القبر التهاباً وأضيقـا
إذا جاءني يوم القيامة قائـــــد	عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى	إلى النار، مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسربـــلاً	سرابيل قطران لباساً محرقـــا
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهـــم	يذوبون من حر الصديد تمزقـا

فبكى الحسن رحمة الله عليه .

(*) من المطبوع .

(1) أي : النجاة .

الباب العشرون
في ذكر عظم خلق أهل النار فيها وقبح صورهم وهيئاتهم

خرج البخاري [١] ، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: **« ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع »**.

وخرجه مسلم [٢] ، ولفظه، عن أبي هريرة يرفعه، قال: **« ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع »**.

وخرج مسلم [٣] أيضًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: **« ضرس الكافر - أو ناب الكافر - مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث »**.

وخرج الحاكم [٤] ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: **« ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان [٥] ، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة»** [٦]. خرجه الإمام أحمد، ولم يذكر فيه عضده، وخرجه الحاكم موقوفًا على أبي هريرة، وزاد فيه:

---

(١) برقم (٦٥٥١) .

(٢) برقم (٢٨٥٢) .

(٣) برقم (٢٨٥١) .

(٤) (٤ / ٥٩٥) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على ذكر ضرس الكافر فقط .

(٥) البيضاء : موضع بقرب حمي الربذة . و« ورقان » : جبل أسود بين العرج والروثية ، على يمين المار من المدينة إلى مكة .

(٦) الربذة : قرية من قرى المدينة المنورة على ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

قال أبو هريرة: وكان (ق/ ١٣٧) يقال : بطنه مثل بطن إضم [١] .

وخرج الإمام أحمد [٢] ، عن أبي هريرة أيضاً، عن النبي ﷺ، قال: «**ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار كما بين قديد [٣] ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار** » .

وخرج الترمذي [٤] ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: « **ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة** » .

وقال : قوله: مثل الربذة يعني كما بين المدينة والربذة، والبيضاء جبل.

وخرج أيضًا [٥] ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال : « **إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا ، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة** » .

وخرج الإمام أحمد [٦] ، من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال:« **يعظم أهل النار في النار، حتى إن ما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه، مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعًا ، وإن ضرسه مثل أحد** » .

وخرج الإمام أحمد [٧] والحاكم [٨] ، من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ،

---

(١) بكسر الهمزة وفتح الضاد ، اسم جبل ، وقيل : موضع .

(٢) (٢ / ٣٣٤ ، ٥٣٧)

(٣) قديد : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) برقم (٢٥٧٨) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٥) برقم (٢٥٧٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش.

(٦) (٢ / ٢٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩١) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفي أسانيدهم أبو يحيى القتات ، وهو ضعيف وفيه خلاف ، وبقية رجاله أوثق منه .

(٧) (٣ / ٢٩) .

(٨) (٤ / ٥٩٨) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩١) : وفيه ابن لهيعة ، وقد وثق على ضعفه .

قال: « **إن مقعد الكافر من النار مسيرة ثلاثة أيام، وكل ضرس مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده سوى لحمه وعظامه أربعون ذراعًا** ».

وخرج ابن ماجه [1]، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « **إن الكافر ليعظم، حتى إن ضرسه لأعظم من أحد، وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه** ».

وخرج البزار [2]، من حديث ثوبان، عن النبي ﷺ، قال: « **ضرس الكافر مثل أحد، وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار** ».

وخرج الطبراني [3] وغيره، من حديث المقدام بن معد يكرب، عن النبي ﷺ، قال: « **يعظم الكافر ونار، حتى يصير غلظ جلده أربعين باعًا، وحتى يصير الناب مثل أحد** ».

وخرج الطبراني [4] أيضاً، عن المقدام، عن النبي ﷺ، قال: « **من كان من أهل النار، عظموا وفخموا كالجبال** ».

وقال زيد بن أرقم: إن الرجل من أهل النار، ليعظم للنار، حتى يكون الضرس من أضراسه كأحده خرجه الإمام أحمد موقوفًا [5].

وعن ابن عباس، قال: إن بين شحمة أذن أحدهم - يعني أهل النار - وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا، أودية القيح والدم، قيل له: أنهار ؟ قال: بل أودية. خرجه الإمام أحمد، وقد سبق بتمامه.

---

(١) برقم (٤٣٢٢) . وقال البوصيري في الزوائد : عطية العوفي والراوي عنه ضعيفان، وقد روى مسلم في « صحيحه » والترمذي بعضه من حديث أبي هريرة .

(٢) قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٢) : رواه البزار ، وفيه : عباد بن منصور وهو ضعيف ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٣٤) : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

(٤) في « الكبير » (٢٠ / ٦٦٣) .

(٥) (٤ / ٣٦٧) وأورده الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٢) موقوفًا أيضًا وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير عنبسة بن سعيد وهو ثقة .

وعن عمرو بن ميمون، قال: إنه ليسمع بين جلد الكافر ولحمه، جلبة الدود، كجلبة الوحش.

وخرج الإمام أحمد [1] والترمذي [2] ، من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: « **إن الكافر يجر لسانه** (ق/ ٣٧ب) **يوم القيامة وراءه قدر فرسخين يتوطؤه الناس** » .

وقد ورد نحو ذلك في حق عصاة الموحدين أيضاً، فخرج الإمام أحمد [3] وابن ماجه [4] والحاكم [5] ، من حديث الحارث بن أقيش، عن النبي ﷺ، قال: « **إن من أمتي من يعظم للنار، حتى يكون أحد زواياها** » .

وروى الطبراني [6] « **من حديث أبي غنم الكلاعي، عن أبي غسان الضبي** »، قال: قال لي أبو هريرة ـ بظهر الحيرة تعرف عبد الله بن خداش ـ قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **فخذه في جهنم مثل أحد، وضرسه مثل البيضاء، قلت: لم ذلك يا رسول الله ؟ ! قال: كان عاقًا لوالديه** » .

وروى أغلب بن تميم، وفيه ضعف، عن ثابت، عن أنس مرفوعًا : « **يجاء بالأمير الجائر يوم القيامة، فتخاصمه الرعية، فيفلجوا عليه** [7] ، **فيقولون له: سد عنا**

---

(١) (٢ / ٩٢) .

(٢) برقم (٢٨٥٠) وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .... وأبو المخارق ليس بمعروف .

(٣) (٤ / ٢١٢) .

(٤) برقم (٤٣٢٣) وقال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده عبد الله بن قيس النخعي، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : أحسبه الذي روى عنه أبو إسحاق عن ابن عباس . وقال : لم يروه عنه غير داود بن هند ، وليس إسناده بالصافي .

(٥) (١ / ٧١) .

(٦) في الأوسط (٦٨٥٧) وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن أبي غسان الضبي إلا أبو غنم الكلاعي ، تفرد به الوليد . وقال الهيثمي في المجمع (٨ / ١٤٨) : وأبو غسان وأبو غنم الراوي عنه ، لم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات .

(٧) فيفلجوا عليه : أي فيغلبوه .

ركنًا من أركان جهنم .

وروى الخلال في كتاب السنة، من حديث الحكم بن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: يعظم الرجل في النار، حتى يكون مسيرة سبع ليال، وضرسه مثل أحد، شفاههم على صدورهم مقبوحين، يتهافتون في النار.

وروى مسكين عن حوشب، عن الحسن، أنه ذكر أهل النار، فقال: قد عظموا لجهنم مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن للراكب الجواد، وإن ناب أحدهم مثل النخل الطوال، وإن دبره لمثل الشعب، مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، قد جمع بين نواصيهم وأقدامهم، [والملائكة] (*) يضربون وجوههم وأدبارهم يسوقونهم إلى جهنم .

فيقول العبد للملك: ارحمني .

فيقول: كيف أرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين ؟ !

* * *

(*) من المطبوع .

فصل
في تفسير قوله تعالى: تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

قال الله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾.

روى دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] قال: « **تشويه النار، فتقلص شفته العليا، حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى ! حتى تضرب سرته** » خرجه الإمام أحمد [١] والترمذي [٢] والحاكم[٣]، وقالا: صحيح.

وعن ابن مسعود أنه قال في قوله: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ قال: ككلوح الرأس النضيح [٤].

وعنه: ككلوح الرأس المشيط بالنار، قد بدت أسنانهم، وتقلصت شفاههم[٥].

وعنه قال: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار، وقد تقلصت شفتاه، وبدت أسنانه [٦]؟ !.

وخرج الخلال في كتاب السنة، من حديث الحكم بن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: يعظم الرجل في النار، حتى يكون مسيرة سبع ليال، ضرسه مثل

(١) (٣ / ٨٨).
(٢) برقم (٣١٧٦) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .
(٣) (٢ / ٣٩٥) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
(٤) أخرجه هناد في « الزهد » (٣٠٣) ، والحاكم (٢ / ٤٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
(٥) أخرجه هناد في « الزهد » (٣٠٤) .
(٦) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢٩١) ، والطبري في « تفسيره » (١٨ / ٥٦).

أحد، شفاههم على صدورهم مقبوحين، يتهافتون في النار.

قال أبو بكر بن عياش، عن محمد بن سويد: كان لطاووس طريقان إذا رجع من المسجد، أحدهما فيه رواس، وكان يرجع إذا صلى المغرب، فإذا (ق/ ١٣٨) أخذ الطريق الذي فيه الرواس لم يتعش، فقيل له، فقال: إذا رأيت الرؤوس كالحة لم أستطع آكل، قال أبو بكر: فذكرته لسريع المكي، فقال: قد رأيته يقف عليها.

وقال أبو غندر الدمشقي: كان أويس إذا نظر إلى الرؤوس المشوية، يذكر هذه الآية: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] فيقع مغشيًّا عليه، حتى يظن من نظرإليه أنه مجنون. خرجهما ابن أبي الدنيا وغيره.

وقال الأصمعي: حدثنا الصقر بن حبيب، قال: مر ابن سيرين برواس قد أخرج رأسًا، فغشي عليه.



فصل
في تفسير قوله تعالى: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦].

روى نافع مولى يوسف السلمي، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ فقال عمر: أعد علي، فأعادها عليه، فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها: « تبدل في ساعة واحدة مائة مرة»، فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله ﷺ. خرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه [1].

وخرجه ابن مردويه أيضًا من طريق نافع أبي هرمز، أنبأنا نافع، عن ابن عمر، قال: تلا رجل عند عمر هذه الآية: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] فقال عمر: أعده علي وثم كعب، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا عندي تفسير هذه الآية، قرأتها قبل الإسلام، قال: فقال: هاتها يا كعب، فإن جئت بها كما سمعتها من رسول الله ﷺ صدقناك، وإلا لم ننظر إليها: قال: « إني قرأتها قبل الإسلام» ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ في الساعة الواحدة: عشرين ومائة مرة، فقال عمر: هكذا سمعت من

---

(١) وأخرجه ابن عدي في الكامل (٧ / ٤٩) وقال : ولنافع أبو هرمز غير ما ذكرت وعامة ما يرويه غير محفوظ ، والضعف على روايته بيِّنٌ .
وأخرجه الطبراني في «الأوسط » (٤٥١٧) وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ٦) : وفيه نافع مولى يوسف السلمي ، وهو متروك .

رسول الله ﷺ [1].

نافع أبو هرمز: ضعيف جداً، وهو نافع مولى يوسف السلمي أيضًا، عند طائفة من الحفاظ، منهم ابن عدي. ومنهم من قال: هما اثنان وكلاهما ضعيف.

وروى الربيع بن برة، عن الفضل الرقاشي، أن عمر سأل كعبًا عن هذه الآية، فقال: إن جلده يحرق ويجدد في ساعة، أو في مقدار ساعة، مائة ألف مرة، فقال عمر: صدقت [2]. وهذا منقطع.

وروى ثوير بن أبي فاختة ـ وهو ضعيف ـ عن ابن عمر، أنه قال في هذه الآية: إذا أحرقت جلودهم، بدلوا جلوداً بيضاء أمثال القراطيس. خرجه ابن أبي حاتم.

وخرج أيضًا بإسناده عن يحيى بن يزيد الحضرمي، أنه بلغه في هذه الآية، قال: يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب.

وعن هشام، عن الحسن، في هذه الآية قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم، قيل لهم: عودوا [فيعودون] [*] كما كانوا [3].

وعن الربيع بن أنس، قال: مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعًا، وسنه تسعون ذراعًا، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها.

* * *

(١) وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث » (٥٧٧) وعنده : « ستة آلاف مرة » بدلا من « مائة ألف مرة ».

(٣) أخرجه أحمد في « الزهد » (٢ / ٢٣٥).

(*) من المطبوع.

فصل
في تسويد وجوه أهل النار ومد جسومهم

خرج الترمذي [(١)] من حديث السدي، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ (ق/ ٣٨ ب) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء : ٧١] قال: « **يدعى أحدهم، فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعًا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول لهم: أبشروا ! لكل رجل منكم مثل هذا.**

قال: **وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعًا في صورة آدم ويلبس تاجًا من نار، فيراه أصحابه، فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم ، فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله ! فإن لكل رجل منكم مثل هذا** . وقال: حسن غريب .

وروى عطاء بن يسار، عن كعب، قال: يؤتى بالرئيس في الشر، فيقال له: أجب ربك، فينطلق به إلى ربه، فيحتجب عنه، ويؤمر به إلى النار، فيرى منزله ومنزل أصحابه، فيقال: هذه منزلة فلان، هذه منزلة فلان، فيرى ما أعد الله لهم فيها من الهوان، ويرى منزلته شر من منازلهم .

قال: فيسود وجهه، وتزرق عيناه، ويوضع على رأسه (*) قلنسوة من نار، فيخرج، فلا يراه أهل ملأ إلا تعوذوا بالله منه، فيأتي أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الشر ويعينونه عليه، فما يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في النار، حتى يعلو وجوههم من السواد مثل ما علا وجهه، فيعرفهم الناس بسواد

---

(١) برقم (٣١٣٦) .

(*) في الأصل : « وجهه » والمثبت من المطبوع .

وجوههم، فيقولون: هؤلاء أهل النار. خرجه أبو نعيم [1] وغيره.

وهذا إنما هو قبل دخولهم النار، فإذا دخلوا النار، عظم خلقهم، على ما تقدم في الأحاديث السابقة.

وأما سنهم فعلى سن أهل الجنة لا يزادون عليه.

روى دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **من مات من أهل الجنة، من صغير وكبير، يردون بني ثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار** » خرجه الترمذي [2]. وفي رواية غير الترمذي « **بني ثلاث وثلاثين** » [3].

وخرج الطبراني [4]، من طريق سليم بن عامر، عن المقدام بن معد يكرب، عن النبي ﷺ، قال: « **ما من أحد يموت سقطًا ولا هرمًا، وإنما الناس بين ذلك، إلا بعث ابن ثلاثين سنة، فإن كان من أهل الجنة، كان على مسحة آدم، وصورة يوسف، وقلب أيوب، ومن كان من أهل النار، عظموا وفخموا كالجبال** ».

ورواه غير الطبراني وقال: « **أبناء ثلاث وثلاثين سنة** » [5].



---

(١) في الحلية (٥ / ٣٧٠ ـ ٣٧١).

(٢) تحت رقم (٢٥٦٢) وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث رشدين .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠ / ١١٨).

(٤) في المعجم الكبير (٢٠ / ٦٦٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٣٤) رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

(٥) أخرجه البزار في البحر الزخار (٢٦٤٤) من حديث معاذ بن جبل .

فصل
ذو الوجهين في الدنيا
له وجهان من نار يوم القيامة

وقد ورد أن بعضهم له لسانان من نار، ووجهان من نار .

ففي سنن أبي داود[1] عن عمار، عن النبي ﷺ، قال:

« من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار» .

ويروى نحوه ، من حديث أنس [2] وأبي هريرة [3] أيضًا .

وخرج الطبراني [4] ، من حديث سعد ، عن النبي ﷺ، قال :

« ذو الوجهين في الدنيا، يأتي يوم القيامة، وله وجهان من نار » .

***

---

(١) برقم (٤٨٧٣) .

(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٤٦٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨ / ٢٨٢) .

(٤) في « الأوسط » من حديث سعد بن أبي وقاص برقم (٦٢٧٨) .
وقال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن سعد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به خالد بن يزيد العمري .
وقال الهيثمي في المجمع (٨ / ٩٥) : رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث سعد ابن أبي وقاص ، وفيه خالد بن يزيد العمري ، وهو كذاب .

فصل
ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة

وفي الصحيح [1] **أن إبراهيم عليه السلام،** (ق/ ١٣٩) **إذا شفع في أبيه، قيل له: يا إبراهيم، انظر ما وراءك، فإذا هو بذيخ ملطخ** [2] **، فيؤخذ بقوائمه، ويلقى في النار»** . والذيخ: الضبع الذكر.

وقال أبو العالية، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين : ٥] قال: في النار في صورة خنزير، خرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن مسعود: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحدًا ، غير صورهم وألوانهم، فلا يعرف منهم أحد.

وسنذكر كلامه بتمامه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

***

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٠) .

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨ / ٣٥٩) : والذيخ بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء معجمة ، ذكر الضباع .
وقيل : لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر ، والضبعان لغة في الضبع . وقوله : « متلطخ » قال بعض الشراح : أي في رجيع أو دم أو طين .

فصل
في نتن ريح أهل النار

قال الأوزاعي في موعظته للمنصور: بلغني أن جبريل قال للنبي ﷺ: « **لو أن رجلاً أدخل النار، ثم أخرج منها، لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقته** ».

وقد رواه أيضًا بكر بن خنيس، عن عبد الملك الجسري، عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلاً.

وروى ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو، قال: لو أن رجلاً من أهل النار أخرج إلى الدنيا، لمات أهل الأرض من وحشة منظره ونتن ريحه، قال: ثم بكى عبد الله بكاء شديدًا، خرجه ابن أبي الدنيا [1].

وخرج أيضًا [2]، من طريق النضر بن إسماعيل، قال: مر الربيع بن أبي راشد برجل به زمانة [3]، فجلس يحمد الله ويبكي، فمر به رجل، فقال: ما يبكيك رحمك الله ؟

قال : ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل البلاء بأهل النار، فذلك الذي أبكاني.

***

(١) قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤ / ٢٦٣) : رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا، وفي إسناده ابن لهيعة .

(٢) في « الرقة والبكاء » (٥٩) .

(٣) زمانة : عاهة .

الباب الحادي والعشرون
في ذكر أنواع عذاب أهل النار فيها وتفاوتهم في العذاب بحسب أعمالهم

خرج مسلم [1] ، من حديث سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ، قال: « **منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**» [2] .

وخرج الإمام أحمد [3] ، من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « **إن أهون أهل النار عذابًا ، رجل منتعل بنعلين من نار، يغلي منهما دماغه مع إجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى كعبيه مع إجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع إجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى أرنبته [4] مع إجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى صدره مع إجزاء العذاب، ومنهم من قد اغتمر**»

وفي الصحيحين [5] ، من حديث النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ، قال: «**إن أهون أهل النار عذابًا ، رجل في أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم** ».

ولفظ مسلم: « **إن أهون أهل النار عذابًا ، من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم**

---

(١) برقم (٢٨٤٥) .

(٢) حجزته : أي وسطه . وترقوته : هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق

(٣) (٣/ ٧٨) .

(٤) أرنبته : أي طرف أنفه .

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٦١) ، ومسلم (٢١٣) .

عذابًا».

ولمسلم [1]، من حديث أبي سعيد، عن النبي ﷺ: **«إن أدنى أهل النار عذابًا، متنعل بنعلين من نار، يغلي دماغه من حر نعليه»**.

وفي الصحيحين [2]، عن أبي سعيد، عن (ق/ ٣٩ ب) النبي ﷺ، أنه ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: **«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار، تبلغ كعبيه، يغلي منهما دماغه»**.

وفيهما أيضًا [3]، عن العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: **«نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار»**.

وفي رواية لمسلم [4]، قال: **«وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح»**.

ولمسلم أيضًا [5]، من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: **«إن أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو متنعل بنعلين، يغلي منهما دماغه»**.

وروى الحكم بن ظهير، وهو ضعيف، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ **«إن أشد الناس عذابًا، [رجل يرمى به فيها، فيهوي فيها سبعين خريفًا، وإن أدنى أهل النار عذابًا]** [*]، **رجل في ضحضاح من النار، يغلي منه دماغه، حتى يخرج من منخره»**.

وروى مسكين أبو فاطمة، عن اليمان بن يزيد، عن محمد بن حمير، عن

---

(١) برقم (٢١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٤) برقم (٢٠٩).

(٥) برقم (٢١٣).

(*) من المطبوع.

محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، أنه ذكر أهل الكبائر من الموحدين، فقال: « **منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم** » وذكر الحديث، وهو منكر، قاله: الدارقطني وغيره.

وقال عبيد بن عمير، قال رسول الله ﷺ: « **إن أدنى أهل النار عذابًا، لرجل، عليه نعلان، يغلي منهما دماغه، كأنه مرجل، مسامعه جمرة، وأضراسه جمرة، وأشفاره لهب النار، وتخرج أحشاء جنبيه من قدميه، وسائرهم كالحب القليل، في الماء الكثير، فهو يفور** » خرجه هناد بن السري في « كتاب الزهد » [(١)] بإسناد صحيح إلى عبيد، وهو مرسل، وقد روي عن عبيد موقوفًا غير مرفوع.

وروى أيضًا [(٢)] بإسناده، عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿ **فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ** ﴾ [الصافات : ٥٥] قال عبد الله: اطلع ثم اطلع إلى أصحابه، فقال: لقد رأيت جماجم القوم تغلي.

وبإسناده عن مجاهد، في قوله تعالى : ﴿ **سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** ﴾ [الملك: ٧] قال: تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير.

وعن سفيان الثوري، قال في هذه الآية: تغلي بهم كالحب القليل في الماء الكثير.

وفي مصنف عبد الرزاق [(٣)] : عن معمر، عن إسماعيل بن أبي سعيد، أن عكرمة، مولى ابن عباس، أخبره أن رسول الله ﷺ قال: « **إن أهون أهل النار عذابًا، رجل يطأ جمرة، يغلي منها دماغه.**

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وما كان جرمه يا رسول الله ؟

قال: كانت له ماشية، يغشى بها الزرع ويؤذيه ».

---

(١) برقم (٣٠٩) .

(٢) في « الزهد » (٣١٠) .

(٣) برقم (١٨٤٤٧) .

وفي صحيح مسلم [1] ، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ !.**

فيقول: لا والله يا رب ! ! » .

واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب، هو بحسب تفاوت أعمالهم، التي دخلوا بها النار، كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ : ٢٦] قال ابن عباس: وفق أعمالهم، فليس عقاب (ق/ ١٤٠) من تغلظ كفره، وأفسد في الأرض، ودعا إلى الكفر، كمن ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل : ٨٨]

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦]

وكذلك، تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار، بحسب أعمالهم .

فليس عقوبة أهل الكبائر، كعقوبة أصحاب الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم العذاب، بحسنات أخر له، أو بما شاء الله من الأسباب، ولهذا يموت بعضهم في النار، كما سيأتي ذكره فيما بعد، إن شاء الله تعالى.

وأما الكفار، إذا كان لهم حسنات في الدنيا، من العدل والإحسان إلى الخلق، فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب في النار أو لا ؟.

هذا فيه قولان للسلف وغيرهم:

أحدهما: أنه يخفف عنهم بذلك أيضًا .

روى ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، معنى هذا القول، واختاره ابن جرير الطبري وغيره.

وروى الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل، قال: قالت عائشة: يا رسول الله،

---

(١) برقم (٢٨٠٧) .

أين عبد الله بن جدعان ؟

قال: « **في النار** » .

فجزعت عائشة، واشتد عليها .

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، قال: « **يا عائشة، ما يشتد عليك من هذا ؟** »

قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله !! إنه كان يطعم الطعام ويصل الرحم.

قال: « **إنه يهون عليه بما قلت** » . خرجه الخرائطي في كتاب « مكارم الأخلاق » [1]. وهو مرسل.

وروى عامر بن مدرك الحارثي ، عن عتبة بن اليقظان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما أحسن من محسن، كافر أو مسلم، إلا أثابه الله عز وجل في عاجل الدنيا، أو ادخر له في الآخرة** ».

قلنا: يا رسول الله ما إثابة الكافر في الدنيا ؟

قال : « **إن كان قد وصل رحمًا، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه الله المال والولد والصحة وأشباه ذلك** » قلنا: فما إثابة الكافر في الآخرة [*] ؟

قال: عذابًا دون العذاب، ثم تلا: ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦]. خرجه ابن أبي حاتم [2] والخرائطي [3] والبزار في مسنده [4] والحاكم في

---

(١) برقم (٣٢٧) .

(٢) في « تفسيره » (١٠ / ٣٢٦٧) برقم (١٨٤٣٦) .

(*) في الأصل : « الدنيا » وفي حاشية الأصل : « لعله الآخرة » .

(٣) في « مكارم الأخلاق » (١٢٠) .

(٤) برقم (٩٤٥ ـ كشف) وقال: ولا نعلم رواه إلا ابن مسعود، ولا له إلا هذا الطريق عنه.
وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١١١) : وفيه عتبة بن يقظان وفيه كلام ، وقد وثقه ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات .
وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٣٢) : سنده ضعيف . وقال الذهبي في الميزان (٥/ ٤٠) : والخبر منكر .

المستدرك [1] وقال: صحيح الإسناد، وخرجه البيهقي في كتاب « البعث والنشور»[2] وقال: في إسناده نظر. انتهى، وعتبة بن يقظان تكلم فيه بعضهم.

وقد سبقت الأحاديث، في تخفيف العذاب عن أبي طالب، بإحسانه إلى النبي ﷺ

وخرج الطبراني[3] ، بإسناد ضعيف، عن أم سلمة رضي الله عنها ، أن الحارث بن هشام، أتى النبي ﷺ، يوم حجة الوداع فقال: « إنك تحث على صلة الرحم، وإيواء اليتيم، وإطعام الضعيف والمسكين، وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به يا رسول الله ؟ » .

فقال: « **كل قبر لا يشهد** (ق: ٤٠ ب) **صاحبه أن لا إله إلا الله، فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله بمكانه مني وإحسانه إلي فجعله في ضحضاح من النار**» .

والقول الثاني: أن الكافر لا ينتفع في الآخرة بشيء من الحسنات بحال .

ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان : ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ** ﴾ [إبراهيم : ١٨]ونحو هذا من الآيات .

وفي صحيح مسلم[4]: عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: « **إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما**

---

(١) (٢ / ٢٥٣) .

(٢) برقم (١٧) .

(٣) في المعجم الكبير (٢٣/ ٩٧٢) ، والأوسط (٧٣٨٩) .

قال الهيثمي في المجمع(١ / ١١٨) : وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل ، وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه وقد وثق .

(٤) برقم (٢٨٠٨/ ٥٦) .

عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها ».

وفي رواية له أيضًا [١] : « إن الكافر إذا عمل حسنة، أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن، فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته».

وفيه أيضًا [٢] : عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه ؟ قال: « لم ينفعه، إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

وهؤلاء جعلوا تخفيف العذاب عن أبي طالب، من خصائصه بشفاعة النبي ﷺ، وجعلوا هذه الشفاعة من خصائص النبي ﷺ لا يشركه فيها غيره .

* * *

---

(١) برقم (٢٨٠٨/ ٥٧) .

(٢) برقم (٢١٤) .

فصل
ومن عذاب أهل النار: الصهر

ومن أنواع عذابهم الصهر:

قال الله تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ** ﴾ [الحج : ١٩ ، ٢٠].

قال مجاهد: « يصهر به »يذاب به إذابة.

وقال عطاء الخراساني: يذاب به ما في بطونهم، كما يذاب الشحم.

وخرج الترمذي [١]، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان**». وقال: حسن غريب صحيح.

وقال الله عز وجل: ﴿ **خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ [الدخان : ٤٧ ـ ٤٩]

قال كثير من السلف: نزلت هذه الآية في أبي جهل.

قال الأوزاعي: يؤخذ أبو جهل يوم القيامة، فيخرق في رأسه خرق، ثم يؤتى بسجل من الحميم، فيصب في ذلك الخرق، ثم يقال له: ذق إنك أنت العزيز الكريم.

وقال مجاهد في قوله: ﴿ **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ** ﴾ [الرحمن : ٣٥] قال: النحاس: الصفر يذاب، فيصب على رؤوسهم، يعذبون به.

---

(١) برقم (٢٥٨٢) .

وقال عطاء الخراساني، في قوله تعالى: ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ قال: الصفر، يذاب فيصب على رؤوسهم، فيعذبون به.

وقد سبق في الباب الثامن عشر آثار متعددة تتعلق (ق/ ١٤١) بهذا الفصل أيضًا.



فصل
في تفسير قوله
تعالى: التي تطلع على الأفئدة

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة : ٤ ـ ٧]

قال محمد بن كعب القرظي، في قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ قال: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت(*) فؤاده، أنشئ خلقه.

وعن ثابت البناني، أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: تحرقهم إلى الأفئدة، وهم أحياء، لقد بلغ منهم العذاب! ثم يبكي.

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر : ٢٧ ـ ٢٩]

قال صالح بن حيان، عن ابن بريدة، في قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ قال: تأكل اللحم والعظم والمخ، ولا تذره على ذلك.

وقال السدي: لا تبقي من جلودهم شيئًا ، ولا تذرهم من العذاب.

وقال أبو سنان: لا تذرهم إذا بدلوا خلقًا جديدًا .

وقال أبو رَزِين في قوله: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قال: تلفح وجهه لفحة، تدعه أشد سوادًا من الليل.

وقال قتادة: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ حراقة للجلد، خرجه كله ابن أبي حاتم وغيره.

وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج : ١٥ ـ ١٦]

(*) في الأصل : «بلغ» .

قال: تحرق كل شيء منه، ويبقى فؤاده يصيح.

وعن ابن زيد، قال: تقطع عظامه، ثم يجدد خلقهم، وتبدل جلودهم.

وروى ابن مهاجر، عن مجاهد، في قوله: ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ قال: تنزع الجلد.

وعنه قال: تنزع اللحم ما دون العظم.

* * *

فصل
ومن أنواع عذابهم
سحبهم في النار على وجوههم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر : ٤٧ ، ٤٨]

وقال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧٠ ـ ٧٢].

قال قتادة: يسحبون في النار مرة ومرة في الحميم .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب : ٦٦].

وقال قتادة: قال ابن عباس: « صعوداً » صخرة في جهنم، يسحب عليها الكافر على وجهه (١).

وقال كعب: يقول الله عز وجل للإمام الجائر: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠ ، ٣١]. فيسحب على وجهه في النار، فينتثر لحمه وعظامه ومخه.

وقال ثابت أبو زيد القيسي، عن عاصم الأحول، عن أبي منصور مولى سليم: إن ابن عباس قال: ﴿ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ﴾ [غافر : ٧١ ـ ٧٢] .

قال أبو زيد: أراه قال: ينسلخ كل شيء عليه، من جلد أو لحم أو عرق ، حتى يصير في عقبيه جسد من لحمه مثل طوله، وطوله ستون ذراعًا ، ثم يكسى جلداً آخر ثم يسجر في الجحيم. خرجه كله ابن أبي حاتم.

---

(١) أورده ابن كثير في « تفسيره » (٤/ ٤٤٣) .

فصل

ومنهم من يعذب بالصعود إلى أعلى النار، ثم يهوي فيها كذلك أبدًا، ومنهم من يكلف صعود جبل في النار والتردي منه.

وقد سبق في الباب الرابع عشر، ما ورد في تفسير (ق/ ٤١ ب) قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعودًا﴾ [المدثر : ١٧]

وفي الصحيحين (١) عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ، قال: « من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها (٢) في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بسم، فسمه في يده يوم القيامة، يتحساه (٣) في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، [ومن تردى من جبل، فقتل نفسه فهو يتردى (٤) في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً »] (*).

وروى شريك، عن الأعمش، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء ـ أو قال : يكفر الذنوب ـ إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة، فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟

فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيهوي فيها، حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهيئتها، فيحملها على عنقه، فيصعد بها في نار جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج منها، زلت عن منكبيه فهوت، فهوى في إثرها أبد الآبدين». قال: « والأمانة في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ، ومسلم (١٠٩) .

(*) من المطبوع .

(٢) يطعن بها .

(٣) يشربه في تمهل ، ويتجرعه .

(٤) يتنزل .

الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع».

قال: فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله ؟ قال: صدق [1].

قال شريك: وحدثنا عياش العامري، عن زاذان، [عن عبد الله] (*) ، عن النبي ﷺ بنحو منه، ولم يذكر الأمانة في الصلاة والأمانة في كل شيء، كذا رواه إسحاق الأزرق، عن شريك مرفوعًا ، ورواه منجاب بن الحارث، عن شريك موقوفًا [2].

وكذا رواه أبو الأحوص عن الأعمش، فوقفه على ابن مسعود، وزاد فيه في خصال الأمانة: الكيل والميزان والغسل من الجنابة.

وروى عاصم، عن أبي صالح، قال: إذا ألقي الرجل في النار، لم يكن له

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٠١) ، وعزاه الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩٢ - ٢٩٣) للطبراني وقال : ورجاله ثقات .

وسئل الدارقطني في العلل (٥ / ٧٧ - ٧٨) برقم (٧٢٤) عن هذا الحديث فقال : يرويه عبد الله بن السائب ، عن زاذان أبي عمر، ويرويه عياش بن عمرو العامري عنه أيضًا.

ورفعه شريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، وعن عياش بن عمرو العامري ، عن زاذان .

قال ذلك إسحاق الأزرق عن شريك .

وخالفه منجاب فرواه عن شريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان، عن عبد الله موقوفًا .

وكذلك رواه الثوري ، عن عبد الله بن السائب موقوفًا أيضًا .

ويقال : إن محمد بن يحيى بن فياض رفعه عن يحيى القطان ، عن الثوري ، حدث به ابن جوصا ، عن محمد بن يحيى بن فياض .

وكذلك رواه أبو سنان سعيد بن سنان ، عن عبد الله بن السائب موقوفًا أيضًا .

والموقوف هو الصواب .

(*) من المطبوع .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤ / ٢٠١) .

منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم، فترفعه إلى أعلى جهنم، وما على عظامه مزعة لحم، فتضربه الملائكة بالمقامع، فيهوي بها في قعرها، فلا يزال كذلك. أو كما قال. خرجه البيهقي.

وفي هذا المعنى يقول ابن المبارك رحمه الله في صفة النار:

تهوي بسـاكنها طوراً وترفعه إذا رجوا مخرجًا من عمقها قمعوا

***

فصل
ومنهم من يدور في النار ويجر معه أمعاءه

وقد رأى النبي ﷺ عمرو بن لحي، يجر قصبه [١] في النار [٢].

وفي الصحيحين [٣] عن أسامة بن زيد، عن النبي ﷺ، قال: « **يؤتى بالرجل، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه [٤] في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون:**

أي فلان، ما شأنك ؟

ألست كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر ؟ !

قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه »

وقال أبو المثنى الأموي (*) : إن في النار أقوامًا ، يربطون بنواعير من نار، تدور بهم النواعير، وما لهم فيها راحة ولا فترة.

❋ ❋ ❋

---

(١) قصبه : أمعاءه .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٢١) ، ومسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة .
وأخرجه مسلم (٩٠٤) من حديث جابر .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) ، ومسلم (٢٩٨٩) .

(٤) الاندلاق : خروج الشئ من مكانه ، والأقتاب : الأمعاء .

(*) وفي حاشية الأصل : « الأملوكي » .

فصل

ومن أهل النار من يلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة

ومنهم من يلقى في مكان ضيق، لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه.

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا (ق / ١٤٢) مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان : ١٣]

قال كعب: « إن في جهنم تنانير، ضيقها كضيق زج أحدكم، ثم يطبق على قوم بأعمالهم » (١). وقد سبق ذكره.

قال آدم بن أبي إياس: أنبأنا المسعودي، عن يونس بن خباب، عن ابن مسعود، قال: إذا بقي في النار من يخلد فيها، جعلوا في توابيت من نار، فيها مسامير من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من نار، ثم قذفوا في نار الجحيم، فيرون أنه لا يعذب في النار غيرهم، ثم تلا ابن مسعود: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] (٢).

وخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر، عن ابن مسعود (٣)، وعنده: فلا يرى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ٣٧١) .

(٢) وأخرجه الطبري (١٧ / ٩٥) من طريق المسعودي بنحوه .

(٣) كما في تفسير ابن كثير (٣ / ١٩٨) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي ابن محمد الطنافسي ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عبد الرحمن ـ يعني : المسعودي ـ عن أبيه قال . قال ابن مسعود : « إذا بقي من يخلد في النار ، جعلوا في توابيت من نار ، فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ، ثم تلا عبد الله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] . قال ابن كثير : ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد ، عن المسعودي ، عن يونس بن خباب ، عن ابن مسعود. . . فذكره .

أن أحداً يعذب في النار غيره.

وروى المنهال بن عمرو ، عن نعيم ـ وقيل: إنه ابن الدجاجة (*) ـ عن سويد ابن غفلة، قال: إذا أراد الله أن ينسى أهل النار، جعل للرجل صندوقاً على قدره من النار، ولا ينبض عرق إلا فيه مسمار من نار، ثم تضرم فيه النار، ثم يقفل بقفل من نار، ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار، ثم تضرم بينهما نار ثم يقفل ثم يطرح ـ أو يلقى ـ في النار، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦] .

وقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٠].

قال: فما يرى أن أحداً في النار غيره، خرجه البيهقي (١).

وخرجه أبو نعيم (٢)، إلا أن عنده عن المنهال عن خيثمة عن سويد فذكره .



(*) في الأصل : « الدجاحة » ، وما نقلته من الحاشية .

(١) في « البعث والنشور » (٥٩٢) من طريق المنهال بن عمرو قال : حدثت نعيمًا بحديث شاذان ، عن البراء في القبر ، فقال : الا أحدثك بما هو أعظم من ذلك ، ثنا سويد بن غفلة . . . فذكره . ثم قال : قال أبو خالد : نعيم بن أبي هند . فقال : ما حدثني أو ما حدثته ، فظننا أنه نعيم بن دجاجة .

(٢) في « الحلية » (٤ / ١٧٦) .

فصل

وربما يبتلى أهل النار بأنواع من الأمراض الحادثة عليهم:

وقد سبق عن شفي بن ماتع قال : إن في جهنم لسبعين داء، كل داء بمثل جزء من أجزاء جهنم.

وقال الأعمش عن مجاهد: يلقى الجرب على أهل النار، فيحتكون حتى تبدو العظام .

فيقولون: بما أصابنا هذا ؟

فيقال: بأذاكم المؤمنين [(١)] .

ورواه شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة [(٢)]، فذكره بمعناه.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣ / ١٦١) ، وهناد في « الزهد » (٢٧٤) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد ـ زوائد نعيم » (٣٣٠) من طريق مجاهد ، عن يزيد ابن شجرة قال : وكان معاوية بعثه على الجيوش فلقي عدواً . . . ثم ساق حديثًا فيه :

« فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جلده حتى يبدو عظمه ، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعًا .

قال : يقال : يا فلان ! هل تجد هذا يؤذيك ؟

فيقول : وأي أذى أشد من هذا ؟

فيقول : هذا ما كنت تؤذي المؤمنين . . . » .

فصل

ومن أهل النار من يتأذى بعذابه أهل النار، إما من نتن ريحه، أو غيره:

قال صالح بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ: **« إن ريح فروج أهل الزنا يؤذي أهل النار»**.

وقال أبو بكر بن عياش: أنبأنا رجل عن مكحول رفعه، قال: **« تروح أهل النار برائحة، فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحًا ، منذ دخلنا النار، أنتن من هذه الرائحة، فيقول: هذه ريح فروج الزناة»**.

وروى إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شفي بن ماتع، عن النبي ﷺ، قال: **« أربعة يؤذون أهل النار، على ما بهم من الأذى، يسعون ما بين الجحيم والحميم، يدعون بالويل والثبور»، ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ؟ !**

قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه(*) قيحًا ودمًا، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

فيقول: إن الأبعد (ق/ ٤٢ ب) مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه لا يغسله .

ثم يقال للذي يسيل فوه قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة [خبيثة فيستلذها] (**) كما يستلذ

(*) في الأصل : « فاه » ، والمثبت من المطبوع .

(**) من المطبوع .

الرفث.

ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

قال: **إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس.** خرجه الحافظ أبو نعيم [(١)] ، وقال: شفي بن ماتع مختلف فيه. وقيل: إن له صحبة.

وخرجه أيضًا [(٢)] بإسناد آخر إلى إسماعيل بن عياش، وفي لفظه قال: **« في عنقه أموال الناس، مات ولم يدع لها وفاء ولا قضاء ! وقال ـ: يعمد إلى كل كلمة خبيثة قذعة فيستلذها ـ وقال: ـ كان يأكل لحوم الناس [(٣)] ويمشي بالنميمة»**.

وروى الإمام أحمد بإسناده إلى منصور بن زاذان، قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال له: **ويلك ! ما كنت تعمل ؟**

أما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك ونتن ريحك ؟

فيقول: كنت عالمًا فلم أنتفع بعلمي .

***

---

(١) في « الحلية » (٥ / ١٦٧ ـ ١٦٨) . قال شيخنا الحويني « حفظه الله » في تخريجه للزهد لأسد بن موسى (٤٠) : وشفي بن ماتع مختلف في صحبته كما قال الطبراني وابن الأثير ، ويظهر أن أبا نعيم اعتمد صحبته ، ولكن جزم البخاري وأبو حاتم وابن حبان بأنه تابعي ، فالحديث ضعيف لإرساله .
وأيوب بن بشير العجلي ترجمه ابن أبي حاتم (١ / ١ / ٢٤٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ، فهو مجهول الحال . وصرح الذهبي في « الميزان » (١ / ٢٨٤) بأنه مجهول ، وكذا في « الضعفاء » ، وهذا هو الصواب وإن وثقه ابن حبان (٦ / ٥٨) كعادته .

(٢) في الحلية (٥ / ١٦٨) .

(٣) كناية عن الغيبة ، قال الله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

فصل

في تفسير قوله تعالى:

ويأتيه الموت من كل مكان

قال الله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

قال إبراهيم في قوله: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ حتى من تحت كل شعرة في جسده.

وقال الضحاك: حتى من إبهام رجله.

والمعنى: أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه، حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح.

قال ابن جريج : تعلق نفسه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فيستريح، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه.

وتأول جماعة من المفسرين على ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى : ١٣].

قال الأوزاعي، عن بلال بن سعد: تنادي النار يوم القيامة: يا نار أحرقي، يا نار اشتفي يا نار انضجي، كلي ولا تقتلي.

* * *

فصل
وعذاب الكفار في النار، لا يفتر عنهم، ولا ينقطع، ولا يخفف، بل هو متواصل أبدًا

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [1][الزخرف : ٧٤ ـ ٧٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] .

وقال تعالى: ﴿ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٨٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر : ٤٩ ، ٥٠]

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول ـ على (ق/ ٤٣ ا) منبر دمشق ـ: لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفاً من النعيم لم يكن يعرفه، ولا يأتي على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لنوع من العذاب لم يكن يعرفه.

وقال الله عز وجل: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٣٠]

قال جسر بن فرقد عن الحسن: سألت أبا برزة، عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار، قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾

---

(١) مبلسون : أي ساكنون أو محزونون من شدة اليأس .

[النبأ : ٣٠] . [فقال: « أهلك القوم بمعاصيهم لله تعالى». خرجه ابن أبي حاتم[1]، وجسر ضعيف.

وخرجه البيهقي [2] ، ولم يرفعه، ولفظه: سألت أبا برزة عن أشد آية على أهل النار، قال: قوله عز وجل: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (*)[النبأ: ٣٠].

وقال مجاهد: بلغني أن استراحة أهل النار أن يضع أحدهم يده على خاصرته، ولأهل النار أنواع من العذاب لم يطلع الله خلقه عليها في الدنيا.

قال مبارك عن الحسن: ذكر الله السلاسل والأغلال والنار، وما يكون في الدنيا، ثم قرأ: ﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص : ٥٨].

قال : ﴿ آخَرُ ﴾ لا يرى في الدنيا. خرجه ابن أبي حاتم.

وقال أبو يعلى الموصلي [3] : حدثنا سريج، حدثنا إبراهيم بن سليمان، عن الأعمش، عن الحسن، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ [النحل : ٨٨] قال: هي خمسة أنهار تحت العرش، يعذبون ببعضها في الليل، وببعضها في النار.

***

---

(١) راجع تفسير ابن أبي حاتم المطبوع (١٠ / ٣٣٩٥) برقم (١٩١٠٣) . وقد أورده موقوفًا على أبي برزة .

(٢) في « البعث والنشور » (٦٣٥) .

(*) من المطبوع .

(٣) في « مسنده » (٢٦٦٠) . قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٠) : رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح .

فصل

وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل، وبعدهم عنه، وإعراضه عنهم، وسخطه عليهم.

كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٤ ـ ١٧].

فذكر الله تعالى لهم ثلاثة أنواع من العذاب: حجابهم عنه، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا، ووصفهم بالران على قلوبهم، وهو صدى الذنوب الذي سود قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبته، فكما حجبت قلوبهم في الدنيا عن الله حجبوا في الآخرة عن رؤيته، وهذا بخلاف حال أهل الجنة، قال الله تعالى ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ [وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ [يونس : ٢٦] .

والذين أحسنوا هم أهل الإحسان، والإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، كما فسره النبي ﷺ، لما سأله عنه جبريل عليه السلام [١] ، فجعل جزاء الإحسان الحسنى] [*] ، وهي الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجه الله عز وجل، كما فسره بذلك رسول الله ﷺ، في حديث صهيب [٢] وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩ ، ١٠) من حديث أبي هريرة ، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب .

(*) من المطبوع .

(٢) أخرجه مسلم (١٨١) .

قال جعفر بن سليمان: سمعت أبا عمران الجوني قال: إن الله لم ينظر إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن قضى أن لا ينظر إليهم.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا أحمد بن موسى، عن أبي مريم، قال: يقول أهل النار: إلهنا، ارض عنا وعذبنا بأي نوع شئت من عذابك، فإن غضبك أشد علينا من العذاب الذي نحن فيه ! !

قال أحمد: فحدثت به سليمان بن أبي سليمان، فقال: ليس هذا كلام أهل النار، هذا كلام المطيعين لله، قال: فحدثت به أبا سليمان، فقال: صدق سليمان بن أبي سليمان ـ (ق/ ٤٣ ب) وسليمان هو ولد أبي سليمان الداراني وكان عارفًا كبير القدر رحمه الله ـ وما قاله حق، فإن أهل النار جهال لا يتفطنون لهذا، وإن كان في نفسه حقًّا ، وإنما يعرف هذا من عرف الله وأطاعه، ولعل هذا يصدر من بعض من يدخل النار من عصاة الموحدين، كما أن بعضهم يستغيث بالله لا يستغيث بغيره فيخرج منها، وبعضهم يخرج منها برجائه لله وحده، وبعض من يؤمر به إلى النار يتشفع إلى الله بمعرفته فينجيه منها.

قال أبو العباس بن مسروق: سمعت سويد بن سعيد، يقول: سمعت الفضيل ابن عياض، يقول: يوقف رجل بين يدي الله عز وجل، لا يكون معه حسنة، فيقول الله عز وجل: اذهب، هل تعرف أحدًا من الصالحين أغفر لك بمعرفته ؟ فيذهب، فيدور مقدار ثلاثين سنة، فلا يرى أحدًا يعرفه، فيرجع إلى الله عز وجل، فيقول: يا رب، لا أرى أحدًا ! !

فيقول الله عز وجل : « اذهبوا به إلى النار » .

فتتعلق به الزبانية يجرونه، فيقول: يا رب، إن كنت تغفر لي بمعرفة المخلوقين فإني بوحدانيتك أنت أحق أن تغفر لي .

فيقول الله للزبانية: ردوا عارفي، إنه كان يعرفني، واخلعوا عليه خلع كرامتي، ودعوه يتبحبح في رياض الجنة، فإنه عارف بي، وأنا له معروف.

فصل
فيما يتحف به أهل النار
عند دخولهم إليها ـ أجارنا الله منها

قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٦] .

والنزل: هو ما يعد للضيف عند قدومه، فدلت هذه الآيات، على أن أهل النار، يتحفون عند دخولها، بالأكل من شجرة الزقوم، والشرب من الحميم، وهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشًا، كما قال تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦]

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار، يبعثون عطاشًا، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشًا، ثم قرأ: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ .

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: متقطعة أعناقهم عطشًا.

وقال مطر الوراق: عطاشًا ظماء.

وفي الصحيحين (١) ، عن النبي ﷺ، في حديث الشفاعة الطويل: إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون ؟

فيقولون: « عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون ؟

فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار»

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم، خمسين ألف (ق/

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

١٤٤) سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشًا، وأحرقت أجوافهم جوعًا، ثم انصرف بهم إلى النار، فيسقون من عين آنية، قد آن حرها، واشتد نضجها.

وروى ابن المبارك [١] بإسناده عن كعب، قال: إن الله ينظر إلى عبده، يوم القيامة، وهو غضبان فيقول: خذوه، فيأخذه مائة ألف ملك أو يزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبًا لغضب الله، فيسحبونه على وجهه إلى النار، قال: فالنار أشد عليه غضبًا من غضبهم سبعين ضعفًا ، قال: فيستغيث بشربة، فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه، ثم يركس [٢] أو يدكس في النار، فويل له من النار.

قال ابن المبارك : حدثت عن بعض أهل المدينة، أنه يتفتت في أيديهم إذا أخذوه، فيقول: ألا ترحموني ؟

فيقولون: كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين ؟ !.

وروى الأعمش ، عن مالك بن الحارث، قال: إذا طرح الرجل في النار، هوى فيها، فإذا انتهى إلى بعض أبوابها، قيل: مكانك حتى تتحف .

قال: فيسقى كأسًا من سم من الأساود والعقارب .

قال : فيتميز الجلد على حدة، والشعر على حدة، والعصب على حدة، والعروق على حدة، خرجه ابن أبي حاتم.

وروى محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن أبي سنان ضرار بن مرة، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **إن جهنم لما سيق إليها أهلها، تلقتهم فلفحتهم لفحة، فلم تدع لحمًا على عظم إلا ألقته على العرقوب**» [٣]. خرجه الطبراني [٤] ورفعه منكر، فقد رواه ابن عيينة، عن

---

(١) في « الزهد » (٢٨٦) قال : أنا عنبسة بن سعيد ، عن يزيد بن عبد الله بن الحارث ، عن كعب . . . فذكره .

(٢) يركس : أي يرد ويرجع .

(٣) العرقوب : هو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع ، وهو من الإنسان فوق العقب .

(٤) في « المعجم الأوسط » (٢٧٨ ، ٩٣٦٥) وقال : لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن أبي الهذيل إلا أبو سنان ، تفرد به محمد بن سليمان الأصبهاني . وقال الهيثمي في =

أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل أو غيره، من قوله لم يرفعه .

ورواه محمد بن فضيل، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي هريرة، من قوله، في قوله تعالى: ﴿ لواحة للبشر ﴾ قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحمًا على عظم إلا وضعته على العراقيب.

***

= المجمع (١٠ / ٣٨٩) : وفيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني وهو ضعيف .
وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤ / ٣٦٣) وقال : لم يروه مرفوعًا متصلاً عن أبي سنان ، عن عبد الله ، إلا محمد بن سليمان بن الأصبهاني ، ورواه ابن عيينة وابن فضيل وجرير عن أبي سنان ، فاختلفوا ، فأوقفه ابن فضيل على أبي هريرة .
وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ٩٣) وقال : لم يجود إلا عن محمد بن سليمان عنه ـ أي عن أبي سنان ـ ورواه ابن عيينة أو جرير فوقفاه على ابن أبي الهذيل.
وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨) موقوفًا على أبي هريرة وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي مرفوعًا ، ورواه غيرهما موقوفًا عليه ، وهو أصح .

الباب الثاني والعشرون
في ذكر بكاء أهل النار وزفيرهم وشهيقهم وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب لهم

قال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود : ١٠٦].

قال الربيع بن أنس: الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر .

وقال معمر عن قتادة : صوت الكافر في النار كمثل صوت الحمار، أوله زفير، وآخره شهيق، وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ [1] فِيهَا ﴾ [فاطر : ٣٧].

وفي حديث حارثة : وكأني أنظر إلى أهل النار (ق/٤٤ب) يتعاونون فيها، وقد سبق.

وروى معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ، قال: « **رأيت رؤيا** » فذكر حديثًا طويلاً، وفيه قال: **ثم انطلقنا، فإذا نحن نرى دخانًا ، ونسمع عواء** » .

قلت: ما هذا ؟

قال: « **هذه جهنم** » . خرجه الطبراني [2] وغيره [3] .

---

(١) وهم يصطرخون : أي يستغيثون ويصيحون بشدة .

(٢) في « المعجم الكبير » (٨ / ٧٦٦٦) ، وفي مسند الشاميين (٥٧٧) وقال الهيثمي في المجمع (١ / ٧٦) : ورجاله رجال الصحيح .

(٣) وأخرجه ابن خزيمة (١٩٨٦) ، وابن حبان (١٨٠٠) والحاكم (١ / ٥٩٥) ، (٢/ ٢٢٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقد احتج البخاري بجميع رواته غير سليم بن عامر ، وقد احتج به مسلم ، وأخرجه البيهقي أيضًا في « السنن الكبير » (٤ / ٢١٦) .

وروى الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: « **يلقى البكاء على أهل النار، فيبكون، حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم، حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود، ولو أرسلت فيه السفن لجرت** » . خرجه ابن ماجه [(١)] .

وروي عن الأعمش، عن عمرو بن مرة ويزيد الرقاشي، عن أنس، موقوفًا، من قوله.

ورواه سعيد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، قال: بلغنا هذا الكلام، ولم يسنده، ولم يرفعه.

وروى سلام بن مسكين، عن قتادة، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، قال: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون بالدم بعد الدموع، ولمثل ما هم فيه فليبك [(٢)] .

وقال صالح المري: بلغني أنهم يصرخون في النار، حتى تنقطع أصواتهم، فلا يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف [(٣)] .

وقال ابن إسحاق، عن محمد بن كعب: زفروا في جهنم فزفرت النار، وشهقوا، فشهقت النار بما استحلوا من محارم الله، قال: والزفير من النفس، والشهيق من البكاء.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ** ﴾ [هود : ١٠٦] قال: صوت شديد، وصوت ضعيف [(٤)] .

وروى مالك، عن زيد بن أسلم، في قوله عز وجل: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ**﴾ [إبراهيم : ٢١] قال زيد: صبروا مائة عام، ثم بكوا مائة

---

(١) برقم (٤٣٢٤) وقال البوصيري في « الزوائد»: في إسناده يزيد الرقاشي، وهو ضعيف.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٣١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ٢٦١) وقال أبو نعيم : رواه يزيد الرقاشي عن صبيح عن أبي موسى مثله .
(٣) الدَّنف : المرض اللازم المخامر ، ، وقيل : هو المرض ما كان . ورجل مدنف : براه المرضُ حتى أشفى على الموت .
(٤) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢ / ١١٦) .

عام، ثم قالوا: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم : ٢١]

وروى الوليد بن مسلم، عن أبي سلمة الدوسي - واسمه ثابت بن سرح - عن سالم بن عبد الله، عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو: « **اللهم ارزقني عينين هطالتين، يشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك، قبل أن يكون الدمع دمًا، والأضراس جمرًا** »[1].

سالم بن عبد الله، هو المحاربي، وحديثه مرسل .

وظن بعضهم، أنه سالم بن عبد الله بن عمر، وزاد بعضهم في الإسناد: عن أبيه، ولا يصح ذلك كله.

وروى الوليد بن مسلم أيضًا، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن إسماعيل بن عبيد الله، قال: إن داود عليه السلام، قال: « **ربي ارزقني عينين هطالتين يبكيان بذروف الدموع، ويشفياني من خشيتك، قبل أن يعود الدمع دمًا، والأضراس جمرًا** . (ق/ ١٤٥)

قال: وكان داود عليه السلام، يعاتب في كثرة البكاء، فيقول: **دعوني أبكي، قبل يوم البكاء، قبل تحريق العظام واشتعال اللحى،** وقبل أن يؤمر بي ﴿ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] [التحريم : ٦]

وروى يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس الخولاني، أن داود عليه السلام، قال: ابكي نفسي قبل يوم البكاء، ابكي نفسي قبل أن لا ينفع البكاء، ثم دعا بجمر، فوضع يده عليه، حتى أذاه حره رفعها، وقال: أوه لعذاب الله، أوه، أوه

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٤٨٠) ، وأحمد في « الزهد » (١ / ٤٢) ، وابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢٢٠) ، وفي « الرقة والبكاء » (٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢ / ١٩٦) وقال أبو نعيم : رواه دحيم عن الوليد ، ولم يجاوز به سالمًا .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢٢١) ، وفي الرقة والبكاء » (٣٧١) دون شطره الأول .

قبل أن لا ينفع أوه.

وروى ثابت البناني، عن صفوان بن محرز، قال: كان لداود عليه السلام، يوم يتأوه فيه يقول: أوه أوه من عذاب الله عز وجل، قبل أن لا ينفع أوه، قال: فذكرها صفوان ذات يوم في مجلس، فبكى حتى غلبه البكاء، فقام [1].

وقال عبد الله بن رباح الأنصاري سمعت كعبًا يقول: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود : ٧٥]، قال: كان إذا ذكر النار قال: أوه من النار أوه من النار [2].

وعن أبي الجوزاء وعبيد بن عمير نحو ذلك.

وروى ابن أبي الدنيا، بإسناد له، عن رياح القيسي، أنه مر بصبي يبكي، فوقف عليه يسأله: ما يبكيك يا بني ؟ !

وجعل الصبي لا يحسن يجيبه، ولا يرد عليه شيئًا، فبكى رياح، ثم قال: ليس لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء، وجعل يبكي.

وبإسناد له آخر، أن رياحًا القيسي، زار قومًا ، فبكى صبي لهم من الليل، فبكى رياح لبكائه حتى أصبح، فسئل بعد ذلك عن بكائه، فقال: ذكرت ببكاء الصبي بكاء أهل النار في النار ليس لهم من نصير، ثم بكى.

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢٢٢) ، وفي « الرقة والبكاء » (٣٦٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢٢٥) .

فصل
في طلب أهل النار الخروج منها

قال الله عز وجل: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا [1] فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٤٩ ، ٥٠]

وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧]

وفي حديث الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، في ذكر أهل النار، قال: « فيقولون: ادعوا خزنة جهنم» ، فيقولون: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٥٠] . قال: « فيقولون: ادعوا مالكًا، فيقولون» : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ (ق / ٤٥ ب) عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. قال الأعمش، نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام، قال: فيقولون: ادعوا ربكم، فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ

---

(١) ﴿ اخسؤوا ﴾ أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء .

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧]

قال فيجيبهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]

قال: فعند ذلك، يئسوا من كل خير، وعند ذلك، يأخذون في الحسرة والزفير والويل» خرجه الترمذي [1] موقوفًا على أبي الدرداء.

وروى أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لأهل النار خمس دعوات، يكلمون في أربع منها، ويسكت عنهم في الخامسة، فلا يكلمون، يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١١]

فيرد عليهم: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر : ١٢]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢]

فيرد عليهم: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة : ١٣] إلى آخر الآيتي.

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ [إبراهيم : ٤٤]

فيرد عليهم﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم : ٤٤]

---

(١) برقم (٢٥٨٦) مرفوعًا وقال الترمذي : قال عبد الله بن عبد الرحمن ـ يعني الدارمي ـ: والناس لا يعرفون هذا الحديث ، قال : إنما روي هذا الحديث عن الأعمش، عن شمر ابن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قوله ، وليس بمرفوع .
وأخرجه موقوفًا على أبي الدرداء ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٨٤) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي الدرداء قوله .

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر : ٣٧]

فيرد عليهم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٧]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧]

فيرد عليهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨ ـ ١١٠]

قال: فلا يتكلمون بعد ذلك، خرجه آدم بن أبي إياس وابن أبي حاتم.

وخرج ابن أبي حاتم، من رواية قتادة، عن أبي أيوب العتكي، عن عبد الله بن عمرو، قال: نادى أهل النار ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] قال: فخلى عنهم أربعين عامًا، ثم أجابهم: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾.

فقالوا: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ .

قال: فخلى عنهم مثل الدنيا، ثم أجابهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]

قال: فأطبقت عليهم، فيئس القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق [١].

وعن عطاء بن السائب، عن الحسن، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال: فيتركهم ألف سنة، ثم يقول: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾. وخرجه البيهقي [٢]، وعنده عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وقال سنيد في تفسيره: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: نادى أهل النار

---

(١) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣ / ١٥٢ ـ ١٥٣) برقم (١٥٩٦٩ ، وهناد في « الزهد » (٢١٤) .

(٢) في « البعث والنشور » (٦٤٥) .

خزنة جهنم أن﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٩] فلم يجيبوهم ما شاء الله، ثم أجابوهم بعد حين (ق/ ١٤٦) وقالوا لهم: ﴿ ادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [غافر : ٥٠] ثم نادوا: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] فسكت عنهم مالك، خازن جهنم، أربعين سنة، ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] ثم نادى الأشقياء ربهم: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون : ١٠٦] الآيتين، فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]

وروى صفوان بن عمرو ، قال: سمعت أيفع بن عبد الكلاعي، يقول: قال رسول الله ﷺ: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار»، قال الله: يا أهل الجنة، ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ، ١١٣] قال: نعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي، امكثوا فيها خالدين مخلدين، ثم يقول لأهل النار: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فيقول: بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم، سخطي، ومعصيتي، وناري، امكثوا فيها خالدين مخلدين، فيقولون:﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] فيقول: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]فيكون ذلك آخر عهدهم بكلام ربهم عز وجل. خرجه أبو نعيم [(١)]، و كذا رواه أيفع مرسلاً.

وقال أبو الزعراء، عن ابن مسعود: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً، غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين، فيشفع، فيقول: يا رب، فيقال: من عرف أحداً فليخرجه، قال: فيجيء الرجل من المؤمنين، فينظر فلا يعرف أحداً، فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان، فيقول: ما أعرفك ! قال: فعند ذلك يقولون في النار: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] فيقول عند ذلك: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم، فلم يخرج منهم أحد.

---

(١) في « الحلية » (٥ / ١٣٢) وقال : وأسنده أيفع عن معاوية بن أبي سفيان وغيره .

وفي رواية، قال ابن مسعود، ليس بعد هذه الآية خروج ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

وذكر عبد الرزاق في تفسيره، عن عبد الله بن عيسى، عن زياد الخراساني، أسنده إلى بعض أهل العلم، قال: إذا قيل لهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ سكتوا، فلا يسمع لهم فيها حس إلا كطنين الطست.

❊ ❊ ❊

فصل

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت، فحينئذ يقع منهم الإياس، وتعظم عليهم الحسرة والحزن.

وفي الصحيحين [(١)] ، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار** » ، فيقال: **يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟**

فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت، ويقال: **يا أهل النار، هل تعرفون هذا ؟**

فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت، قال: **فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩].

وخرجه الترمذي [(٢)] بمعناه وزاد « **فلولا أن الله قضى لأهل الجنة** (ق / ٤٦ ب) **بالحياة والبقاء، لماتوا فرحًا، [ولولا أن الله قضى لأهل النار بالحياة والبقاء، لماتوا ترحًا»]** [(*)].

وخرج الإمام أحمد [(٣)] والترمذي [(٤)] وابن ماجه [(٥)] معناه، من حديث أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩) .
(٢) برقم (٣١٥٦) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
(*) من المطبوع .
(٣) (٢ / ٢٦١) .
(٤) برقم (٢٥٥٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٥) برقم (٤٣٢٧) .

هريرة، عن النبي ﷺ، وفيه : « **إن أهل الجنة يطلعون، خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، وإن أهل النار يطلعون، فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه** »

وفي رواية الترمذي: « **مستبشرين يرجون الشفاعة** » .

وخرجاه في الصحيحين [1] من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ بمعناه، وفي حديثه « **فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم** »

وخرجه الترمذي [2] ، من حديث أبي سعيد، عن النبي ﷺ مختصرًا، وفيه: « **لو أن أحداً مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار حزنًا** »

وخرجه ابن أبي حاتم [3] ، بإسناده، عن ابن مسعود، من قوله نحو هذا المعنى غير مرفوع، وزاد: « أنه ينادى أهل الجنة وأهل النار: هو الخلود أبد الآبدين ». قال: فيفرح أهل الجنة فرحة، لو كان أحد ميتًا من فرحه لماتوا، ويشهق أهل النار شهقة، لو كان أحد ميتًا من شهقة لماتوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ﴾ [مريم : ٣٩]

وروى ابن أبي الدنيا، بإسناده، عن هشام بن حسان، قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكثيب من رمل فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرت أهل النار، فلو كانوا مخلدين في النار بعدد هذا الرمل، كان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم، ولكنه الخلود أبدًا .

وقد روي عن ابن مسعود هذا المعنى أيضًا مرفوعًا وموقوفًا، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

***

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٨) ، ومسلم (٢٨٥٠) .

(٢) برقم (٢٥٥٨) وقال حديث حسن صحيح .

(٣) راجع تفسير ابن أبي حاتم المطبوع (٧ / ٢٤٠٩ ـ ٢٤١٠) رقم (١٣١٣٦).

فصل

وأما عصاة الموحدين، فربما ينفعهم الدعاء في النار.

خرج الإمام أحمد [1] ، من حديث أبي ظلال، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: « **إن عبداً في جهنم، لينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام: اذهب فائتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل، فيجد أهل النار منكبين يبكون، فيرجع إلى الله عز وجل فيخبره، فيقول : ائتني به، فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به، فيقفه على ربه، فيقول : يا عبدي، كيف وجدت مكانك؟ فيقول : يا رب، شر مكان، وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني، فيقول: دعوا عبدي**». أبو ظلال اسمه هلال، ضعفوه.

---

(١) (٣ / ٢٣٠) . قال ابن حجر في القول المسدد ص ٣٤ : أورده ابن الجوزي في «الموضوعات » من طريق المسند أيضًا وقال : هذا حديث ليس بصحيح ، قال ابن معين: أبو ظلال ليس بشيء ، وقال ابن حبان : كان مغفلاً يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال .

قلت : قد أخرج له الترمذي وحسن له بعض حديثه ، وعلق له البخاري حديثًا .

وأخرج هذا الحديث ابن خزيمة في كتاب التوحيد من صحيحه ، إلا أنه ساقه بطريقة له تدل على أنه ليس على شرطه في الصحة .

وفي الجملة ليس هو موضوعًا . وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » له من وجه آخر عن سلام بن مسكين ، وأبو ظلال قد قال فيه البخاري : إنه مقارب .

وقال أبو بكر الآجري في أواخر طريق حديث الإفك له : حدثنا عبد الله بن عبد الحميد ، ثنا زياد بن أيوب ، ثنا مروان بن معاوية، ثنا مالك بن أبي الحسن عن الحسن قال: «يخرج من النار بعد ألف عام ، فقال الحسن : ليتني كنت ذلك الرجل» انتهى.

فهذا شاهد لبعض حديث أنس .

وفي « الغريبين » لأبي عبيد الهروي عن ابن الأعرابي قال : الحنان من صفات الله الرحيم ، والله أعلم . ا . هـ .

وخرج الترمذي [(١)] ، من طريق رشدين بن سعد، حدثني ابن أنعم ـ هو الإفريقي، عن أبي عثمان، أنه حدثه عن (ق/ ١٤٧) أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « إن رجلين ممن دخل النار، اشتد صياحهما، فقال الرب عز وجل: أخرجوهما، فلما خرجا، قال لهما : لأي شيء اشتد صياحكما، قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، قال: فينطلقان، فيلقي أحدهما نفسه، فيجعلها عليه برداً وسلامًا، ويقوم الآخر، فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب عز وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول: إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني .

فيقول له الرب عز وجل: لك رجاؤك، فيدخلا الجنة جميعًا ، برحمة الله عز وجل» قال الترمذي: إسناد هذا الحديث ضعيف.

وفي صحيح مسلم [(٢)] ، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: « يخرج من النار أربعة، فيعرضون على الله عز وجل، فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب، إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها، قال: فينجيه الله منها»

وخرجه ابن حبان في صحيحه [(٣)] ، وعنده: « فيلتفت فيقول: يا رب، ما كان هذا رجائي فيك .

فيقول: ما كان رجاؤك؟!

---

(١) برقم (٢٥٩٩) وقال الترمذي : إسناد هذا الحديث ضعيف ، لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أهل الحديث ، عن ابن أنعم وهو الإفريقي، والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث .

وأخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢ / ٩٣٩) وقال : إسناد هذا الحديث لا يثبت ، أما رشدين بن سعد فقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك الحديث . وأما ابن أنعم فاسمه عبد الرحمن بن زياد ، قال أحمد : نحن لا نروي عنه شيئًا ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الثقات .

(٢) برقم (١٩٢) .

(٣) برقم (٦٣٢ ـ إحسان) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعًا .

قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيرحمه الله فيدخله الجنة ».

وخرج الإمام أحمد [(١)] ، من رواية علي بن زيد بن جدعان، عن ابن المسيب، عن أبي سعيد وأبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « إن آخر رجلين يخرجان من النار، فيقول الله عز وجل لأحدهما: يا ابن آدم، ما أعددت لهذا اليوم؟ هل عملت خيراً قط أو رجوتني ؟

فيقول: لا أي رب، فيؤمر به إلى النار، فهو أشد أهل النار حسرة .

ويقول للآخر: ما أعدت لهذا اليوم ؟ هل عملت خيراً قط أو رجوتني ؟

فيقول: لا أي رب، إلا أني كنت أرجوك، قال: فيرفع له شجرة» وذكر الحديث، في دخوله الجنة وما يعطى فيها.

وخرج هناد بن السري [(٢)] ، من طريق أبي هارون العبدي، وفيه ضعف شديد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: « أن رجالاً يدخلهم الله النار، فيحرقهم بها، حتى يكونوا فحمًا أسود، وهم أعلى أهل النار، فيجأرون إلى الله عز وجل يدعونه، فيقولون: ربنا أخرجنا منها، فاجعلنا في أصل هذا الجدار ، فإذا جعلهم في أصل الجدار رأوا أنه لا يغني عنهم شيئًا ، قالوا: ربنا اجعلنا من وراء هذا السور ولا نسألك شيئًا بعده، قال : فيرفع لهم شجرة حتى تذهب عنهم سخنة النار أو سحنة النار » [(*)]. وذكر الحديث.

* * *

---

(١) (٣ / ٧٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٤٠٠) بعد أن عزاه لأحمد والبزار : ورجاله رجال الصحيح ، غير علي بن زيد ، وقد وثق على ضعف فيه .

(٢) في « الزهد » (٢١٠) .

(*) في زهد هناد : « سخنة النار ، أو سخنة أهل النار » .

الباب الثالث والعشرون
في ذكر نداء أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار وكلام بعضهم بعضًا

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤ ـ ٥٠]

قال سفيان (١) ، عن عثمان الثقفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في هذه الآية قال: ينادي الرجل أخاه: إني قد احترقت، فأفض علي من الماء، فيقال: أجبه، فيقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . [الأعراف : ٥٠]

وقال سنيد، في تفسيره: حدثنا حجاج عن أبي بكر بن عبد الله، قال: [ينادون] (*) أهل النار: أهل الجنة، أن يا أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجيبوهم، وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار، عليكم لعنة الله، يا أهل النار، عليكم غضب الله، يا أهل النار، لا لبيكم ولا سعديكم، ماذا تقولون ؟ فيقولون: ألم نكن في الدنيا آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم ؟ فيقولون بلى، فيقولون: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٠]

قال الله عز وجل: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ الآيات [الصافات : ٥٠ ـ ٥٢].

---

(١) في « تفسيره » ص ١١٣ برقم (٢٨٨) .

(*) كذا بالأصل والصواب : ينادي .

قال خليد العصري في قوله تعالى: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥] قال: في وسطها، ورأى جماجم تغلي، فقال فلان: والله، لولا أن الله عز وجل عرفه إياه لما عرفه، لقد تغير حبره وسبره [١] ، فعند ذلك يقول: ﴿ إن كدتَ لَتُرْدِينِ ﴾ [الصافات: ٥٦]

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ الآيات [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣]

روى أبو الزعراء، عن ابن مسعود، لا يترك في النار غير هؤلاء الأربعة، قال: وليس فيهم من خير.

وفي حديث مسكين أبي فاطمة، عن اليمان بن يزيد، عن محمد بن حمير، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، في خروج أهل التوحيد من النار، قال: « ثم يقول الله لأهل الجنة: اطلعوا إلى من بقي في النار، فيطلعون إليهم فيقولون: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر : ٤٢، ٤٣]. أي إنا لم نك منهم، لو كنا لخرجنا معهم » . خرجه الإسماعيلي وغيره، وهو منكر كما سبق ذكره.

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص، حدثنا الثوري، عن أبي خالد، عن الشعبي، قال: يشرف قوم في الجنة على قوم في النار، فيقولون ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما كنتم تعلمونا ؟ فيقولون: إنا كنا نعلمكم ولا نعمل به.

وقال سعيد بن بشير: عن قتادة: إن في الجنة كوى [٢] إلى النار، فيطلع أهل الجنة من تلك الكوى إلى النار، فيقولون: ما بال الأشقياء، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم ؟ فقالوا: إنا كنا نأمركم [ولا نأتمر،] [*]وننهاكم ولا ننتهي.

---

(١) الحبر : أثر الجَمَال والهيئة الحسنة ، والسبر : حسن الهيئة والجمال .

(٢) الكوة : الخرق في الحائط ، والثقب في البيت .

(*) من المطبوع .

وقال معمر، عن قتادة، قال كعب: إن بين أهل النار وأهل الجنة كوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى عدوه من أهل النار إلا فعل.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا عبد الله بن عتاب، عن الفزاري، قال: لكل مؤمن في الجنة (ق/ ١٤٨) أربعة أبواب، باب يدخل عليه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل في ما بينه وبين أهل النار، يفتحه إذا شاء أن ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام، يدخل فيه على ربه إذا شاء.

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده، عن الضحاك، في قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ﴾ [المطففين : ٣٤ ، ٣٥]. من الدر والياقوت﴿ يَنظُرُونَ﴾. يعني على السرر ينظرون، كان ابن عباس يقول: السرر بين الجنة والنار، فيفتح أهل الجنة الأبواب، فينظرون على السرر إلى أهل النار كيف يعذبون، ويضحكون منهم، ويكون ذلك مما يقر الله به أعينهم، أن ينظروا إلى عدوهم كيف ينتقم الله منه.

وخرج البيهقي [١] وغيره [٢] من حديث علي بن أبي سارة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ: **إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجل من أهل النار: يا فلان هل تعرفني ؟**

فيقول: لا والله، لا أعرفك من أنت؟

فيقول : أنا الذي مررت بي في دار الدنيا، فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك، قال: قد عرفت،، قال: فاشفع لي بها عند ربك، قال: فيسأل الله عز وجل ويقول: « شفعني فيه. فيؤمر به فليخرج من النار».

---

(١) عزاه المنذري في الترغيب (٢ / ٣٩ ـ علمية) للبيهقي في « الشعب » .

(٢) وأخرجه أبو يعلى في « مسنده » (٣٤٩٠) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ٢٠٢) وقال ابن عدي . وهذه الأحاديث التي ذكرتها لعلي بن أبي سارة عن ثابت كلها غير محفوظة ، وله غير ذلك عن ثابت مناكير أيضًا .

الباب الرابع والعشرون
في ذكر خزنة جهنم وزبانيتها

قال اللهعز وجل : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيات [المدثر : ٣٠ ـ ٣١].

قال آدم بن أبي إياس: حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا الأزرق بن قيس، عن رجل من بني تيم، قال: كنا عند أبي العوام، فقرأ هذه الآية﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ فقال: ما يقولون أتسعة عشر ملكًا ؟ قلنا: بل تسعة عشر ألفًا، فقال: ومن أين علمت ذلك، قال: قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال أبو العوام، صدقت، وبيد كل [واحد] (*) منهم مرزبة (١) من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين ألفًا ، بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا.

فعلى قول أبي العوام ومن وافقه، الفتنة للكفار،[إنما] (*) جاءت من ذكر العدد الموهم للقلة حيث لم يذكر المميز له.

ويشبه هذا ما روى سعيد بن بشير، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] أي من كثرتهم.

وكذلك روى إبراهيم بن الحكم بن أبان، وفيه ضعف، عن أبيه، عن عكرمة قال: إن أول من وصل إلى النار من أهل النار، وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم مسودة وجوههم كالحة أنيابهم، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة، لو طيّر الطائر من منكب أحدهم

(*) من المطبوع .

(١) المرزبة : المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة .

(ق / ٤٨ ب) لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً، ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة حتى يأتون الباب، ثم يجدون على كل باب منها من الخزنة مثل ما وجدوا على الباب الأول، حتى ينتهوا إلى آخرها. خرجه ابن أبي حاتم.

وهذا يدل على أن كل باب من أبواب جهنم تسعة عشر خازنًا هم رؤس الخزنة، وتحت يد كل واحد [منهم] (*) أربعمائة ألف.

والمشهور بين السلف والخلف، أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقتلهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١]

قال السدي: إن رجلاً من قريش، يقال له أبو الأشدين، قال: يا معشر قريش، لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الأيسر التسعة [الباقية] (*) ، ثم تمرون إلى الجنة ـ يقوله مستهزئًا ـ فقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر : ٣١]

وقال قتادة: ذكر لنا أن أبا جهل، حين نزلت هذه الآية، قال: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً من خزنة النار وأنتم الدهم(١)، وصاحبكم هذا يزعم أنهم تسعة عشر ؟ !.

وقال قتادة: في التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر.

وروى حريث عن الشعبي، عن البراء، في قول الله عز وجل: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: إن رهطًا من يهود، سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، عن خزنة جهنم، فقال: « الله ورسوله أعلم، فجاء رجل، فأخبر النبي ﷺ، فأنزل الله

(*) من المطبوع .

(١) الدهم : العدد الكثير .

[عليه](*) ساعتئذ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ فأخبر أصحابه، وقال: ادعهم، فجاؤوا فسألوه عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفيه مرتين، وأمسك الإبهام في الثانية». خرجه ابن أبي حاتم (١). وحريث هو ابن أبي مطر، وفيه ضعف.

وخرجه الترمذي (٢)، من طريق مجالد، عن الشعبي، عن جابر، قال: «قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي - ﷺ: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، غُلِبَ أصحابك اليوم، قال: وما غُلِبُوا ؟ قال: سألتهم يهود، هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قال: فما قالوا ؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا ﷺ، فقال: أيغلب قوم (ق/ ١٤٩) سئلوا عما لا يعلمون، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ؟ لكنهم قد سألوا نبيهم، فقالوا: أرنا الله جهرة، علي بأعداء الله [إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك] (٣) فلما جاؤوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خزنة جهنم ؟ قال: هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة، قالوا: نعم» . وهذا أصح من حديث حريث المتقدم، قاله البيهقي وغيره.

وخرج الإمام أحمد (٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا كالمودع، فقال: « أنا محمد النبي الأمي ثلاث مرات ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش» وذكر بقية الحديث.

(*) من المطبوع .

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٤٤) قال : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبي زائدة حريث عن عامر عن البراء . . . فذكره . قال ابن كثير : هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في « مسنده » ، ثم ذكر إسناده ومتنه .

(٢) برقم (٣٣٢٧) وقال : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد.

(٣) أي: الدقيق الناعم ، والتراب الناعم .

(٤) (٢ / ١٧٢ ، ٢١٢) وقال الهيثمي في المجمع (١ / ١٦٩) : وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

فصل
وقد وصف الله الملائكة الذين على النار، بالغلظة والشدة

قال الله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لأ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

وروى أبو نعيم (١) بإسناده، عن كعب، قال: إن الخازن من خزان جهنم، مسيرة ما بين منكبيه سنة، وإن مع كل واحد منهم لعموداً ، له شعبتان من حديد، يدفع بها الدفعة فيكب به في النار سبعمائة ألف.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده، عن أبي عمران الجوني، قال: بلغنا أن الملك من خزنة جهنم، ما بين منكبيه مسيرة خريف، فيضرب الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحينًا من لدن قرنه إلى قدمه.

وفي رواية أخرى له، قال: بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر، ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف، وليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب.

وروى الجوزجاني بإسناده، عن صالح أبي الخليل، قال: ليلة أسري بالنبي ﷺ، بعث الله إليه نفراً من الرسل، فتلقوه بالفرح والبشر، وفي ناحية المسجد مصل يصل لا يلتفت إليه، [فقام إليه] (*) ، فقال النبي ﷺ: **« ما منكم من أحد إلا قد رأيت منه البشر والفرح، غير صاحب هذه الزاوية»** .

فقيل له : « أما إنه قد فرح بك كما فرحنا، ولكنه خازن من خزان جهنم»

---

(١) في « الحلية » (٥ / ٣٦٩) .

(*) من المطبوع .

وروى بكر بن خُنَيس، عن عبد الله الجسري عن الحسن، أن جبريل قال للنبي ﷺ: « **لو أنا خازنًا من خزان جهنم، أشرف على أهل الأرض، لمات أهل الأرض، مما يرون من تشويه خلقه**» مرسل ضعيف.

* * *

فصل
في تفسير قوله تعالى: ونادوا يا مالك

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف : ٧٧]

ومالك هو خازن جهنم، [وهو كبير الخزنة] (*) ورئيسهم، وقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء، وبدأه مالك بالسلام.

خرجه مسلم من حديث أنس[1].

ورآه النبي ﷺ في منامه، وهو كريه المرآة ـ أي كرية المنظر ـ كأكره ما أنت راء من الرجال.

وقد سبق هذا من حديث سمرة بن جندب[2].

❋ ❋ ❋

(*) من المطبوع .

(١) برقم (١٦٣) ، وكذا البخاري (٣٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٥) وفيه : « فانطلقتُ فاتينا على رجلٍ كريه المرآةِ ، كأكرَهَ ما أنت راءٍ ، فإذا هو عند نارٍ يحشها ويسعى حولها .
قال : قلت : ما هذا ؟
قالا لي : انطلق انطلق » وفي آخر الحديث قالا : « فأما الرجل الكريه المرآةِ الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم » .

فصل

تفسير قوله تعالى فليدع ناديه. سندع الزبانية

قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧ ، ١٨]

قال أبو هريرة: الزبانية: الملائكة.

وقال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشداد.

وقال مقاتل: هم خزنة جهنم.

وقال (ق/ ٤٩ ب) قتادة: الزبانية في كلام العرب: الشرط.

قال عبد الله بن الحارث: الزبانية رؤسهم في الأرض وأرجلهم في السماء، خرجه ابن أبي حاتم.

وخرج أيضًا بإسناده عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة ٣٠] ابتدره سبعون ألف ملك، [وإن الملك] (*) منهم ليقول هكذا - يعني يفتح يديه - فيلقي سبعين ألفًا في النار.

❋ ❋ ❋

(*) من المطبوع .

الباب الخامس والعشرون
في ذكر مجيء النار يوم القيامة وخروج عنق منها يتكلم

قال الله عز وجل: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا [1] (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر : ٢١ ـ ٢٤].

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ [2] الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ [النازعات : ٣٤ ـ ٣٦].

[وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾] [*] [النازعات: ٣٦] قال : كشف عنها غطاؤها . وقال تعالى : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥ ـ ٧].

وروى العلاء بن خالد الكاهلي، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: « **يؤتى يومئذ بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** » . خرجه مسلم [3] ، من طريق حفص بن غياث، عن العلاء به، وخرجه الترمذي [4] من طريق سفيان، عن العلاء، موقوفًا على ابن مسعود، ورجح وقفه العقيلي [5] والدارقطني [6] .

---

(١) ﴿ دكت ﴾ : أي دقت وكسرت بالزلازل . ﴿ دكًّا دكًّا ﴾ : أي دكًّا متتابعًا حتى صارت هباءً .

(٢) ﴿ والطامة الكبرى ﴾ : أي الداهية العظمى أي يوم القيامة .

(*) من المطبوع .

(٣) برقم (٢٨٤٢) .

(٤) برقم (٢٥٧٣) .

(٥) في « الضعفاء الكبير » (٣ / ٣٤٤) أورد الحديث موقوفًا وقال : هذا أولى .

(٦) في التتبع ص ٣٢٩ قال : رفعه وهم ، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن =

وخرج ابن أبي حاتم، من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر: ٢٣]. تغير لون النبي ﷺ ، وعرف من وجهه، حتى اشتد ذلك على أصحابه، فسألوه فقال: « **جبريل جاء فأقرأني هذه الآية، قال: كيف يجاء بها ؟**

قال: يجيء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعين ألف زمام تسرد سردة ، لو تركت لأحرقت أهل الجمع ومن عليه، ثم تعرض [جهنم] (*) **فتقول: مالي ولك يا محمد لقد حرم الله لحمك علي، فلا يبقى أحد إلا قال: نفسي نفسي، ومحمد ﷺ، يقول: أمتي أمتي** »

الوصافي شيخ صالح لا يحفظ، فكثرت المناكير في حديثه.

وخرج أبو يعلى الموصلي [1] ، من حديث أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « **إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة، أقبلت النار يركب بعضها بعضاً، وخزنتها يكفونها، وهي تقول: وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي، أو لأغشين الناس عنقًا واحداً، فيقولون: من أزواجك ؟**

فتقول: كل متكبر جبار »

وخرج الإمام أحمد [2] والترمذي [3] ، من حديث الأعمش، عن أبي صالح،

= خالد موقوفًا .

وقال الدارقطني في العلل (٥ / ٨٦) برقم (٧٣٢) : يرويه العلاء بن خالد عن أبي وائل ، واختلف عنه فرفعه عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن العلاء ، ووقفه غيره، والموقوف أصح عندي ، وإن كان مسلم قد أخرج حديث عمر بن حفص في الصحيح.

انظر كتابي الجامع الصحيح في أهوال النار وسبل النجاة منها ص٣٣ ـ طبعة دار الضياء بطنطا .

(*) من المطبوع .

(١) في « مسنده » (١١٤٥) وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٢) : ورجاله وثقوا ، إلا أن ابن إسحاق مدلس .

(٢) (٢ / ٣٣٦) .

(٣) برقم (٢٥٧٤) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، وقد رواه بعضهم=

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **يخرج عنق من النار يوم القيامة، له** (ق/ ١٥٠) **عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين** » وصححه الترمذي. وقد قيل: إنه ليس بمحفوظ بهذا الإسناد، وإنما يرويه الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد

فقد روى الأعمش وغير واحد عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **يخرج عنق من النار يتكلم، يقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن دعا مع الله إلهًا آخر، ومن قتل نفسًا بغير نفس، فتنطوي عليهم، فتقذفهم في غمرات جهنم** » خرجه الإمام أحمد [1].

وخرجه البزار [2]، ولفظه: « **يخرج عنق من النار، يتكلم بلسان طلق ذلق** [3]، **لها عينان تبصر بهما، ولها لسان تتكلم به، فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار [عنيد، وبكل]** [*] **من قتل نفسًا، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام** » وقد روي عن عطية، عن أبي سعيد موقوفًا.

وروى ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم، عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: يخرج عنق من النار، فتنطوي عليهم وتتغيظ، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بمن دعا مع الله إلهاً آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد، فتنطوي عليهم، فتطرحهم في غمرات جهنم". خرجه الإمام أحمد [4].

= عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ.
وروى أشعث بن سوار عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

(١) (٣ / ٤٠).

(٢) أورده الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٩٢) وقال : رواه البزار واللفظ له ، وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح .

(٣) أي : فصيح بليغ .

(*) من المطبوع .

(٤) (٦ / ١١٠).

وروي عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد، عن النبي ﷺ، قال: «**يخرج عنق من النار، فيظل الخلائق كلهم، فيقول: أمرت بكل جبار عنيد، ومن زعم أنه عزيز كريم، ومن دعا مع الله إلهًا آخر** » .

ورواه أبو المنهال، سيار بن سلامة، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس موقوفًا، قال: إذا كان [يوم] (*) القيامة، خرج عنق من النار، فأشرفت على الخلائق، لها عينان تبصران ولسان فصيح، تقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، فتلقطهم من الصفوف، فتحسبهم في نار جهنم، ثم تخرج ثانياً فتقول: إني وكلت بمن آذى الله ورسوله، فتلقطهم من الصفوف، فتحبسهم في نار جهنم، ثم تخرج ثالثة، قال أبو المنهال: أحسب أنها قالت: إني وكلت اليوم بأصحاب التصاوير، فتلقطهم من الصفوف، فتحسبهم في نار جهنم (١) .

وفي حديث الصور الطويل، الذي خرجه إسحاق بن راهويه، وأبو يعلى الموصلي وغيرهما (٢)، بإسناده فيه ضعيف، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: يأمر الله تعالى جهنم، فيخرج منها عنق ساطع مظلم، فيقول: ﴿ **وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ** ﴾ [يس: ٥٩ ـ ٦٢] .

(*) من المطبوع .

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣) ، وابن جرير في « تفسيره » (٣٠ / ١٨٥ ـ ١٨٦) ضمن حديث طويل .

(٢) وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٣ / ٢٢) من طريق إسماعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة . . . فذكره .

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٨٦) مطولاً جدًا من طريق إسماعيل بن رافع عن محمد ابن يزيد عن محمد بن كعب . . . فذكره .

وفي إسناده محمد بن يزيد بن أبي زياد وهو مجهول .

وخرج ابن أبي الدنيا [1] ، من طريق الشعبي، عن أبي هريرة قال: يؤتى بجهنم، تقاد بسبعين ألف زمام، آخذ بكل زمام سبعون ألف ملك، وهي تمايل عليهم، حتى توقف عن يمين العرش، (ق/ ٥٠ب) ويلقي الله عليها الذل يومئذ، فيوحي الله إليها: ما هذا الذل ؟] (*)

فتقول: يا رب، أخاف أن يكون لك في نقمة، فيوحي الله إليها: إنما خلقتك نقمة، وليس لي فيك نقمة، ويوحي الله إليها، فتزفر زفرة، لا تبقى دمعة في عين إلا جرت، ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا صعق، إلا نبيكم نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: **يا رب أمتي أمتي**» .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده، عن أبي عبد الله الجدلي، عن عبادة ابن الصامت وكعب، قالا: يخرج عنق من النار فتقول : أمرت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار عنيد، وبكل معتد، ألا إني أعرف بالرجل من الوالد بولده، والمولود بوالده .



(١) « في صفة النار » (١٨٢) .

(*) من المطبوع ، وهو الموافق لسياق ابن أبي الدنيا المطبوع .

الباب السادس والعشرون
في ضرب الصراط على متن جهنم
وهو جسر جهنم ومرور الموحدين عليه

روى زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، فذكر حديثًا طويلاً، قال: « **ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، فيقولون: اللهم سلم سلم**». قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: « **دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة، يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير، وكأجاود الخيل والركاب، فناج مُسَلَّمٌ، ومخدوش مرسل، ومكدوس في النار**» خرجاه في الصحيحين [(١)].

وفي رواية للبخاري [(٢)] « **حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا**» .

وفي رواية لمسلم [(٣)] قال أبو سعيد الخدري بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف .

وروى آدم بن أبي إياس، في تفسيره: « أنبأنا [أبو عمر] [(*)] الصنعاني، عن زيد ابن أسلم، فذكر الحديث، ولفظه: « **يمر المؤمنون على الصراط بنورهم، فمنهم من يمر كطرف العين** [(٤)]» وذكر الحديث.

وخرجاه في الصحيحين [(٥)] أيضًا ، من حديث الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكر الحديث، وفيه قال: **ويضرب الجسر بين**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) .

(٢، ٣) نفس الحديث السلبق .

(*) في الأصل : أبو عمران ، والصواب ما أثبتناه ، وهي كنية حفص بن ميسرة .

(٤) وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ١١٣) من طريق يزيد بن أبي هلال عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٧٣) ، ومسلم (١٨٢) .

ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان ؟

قالوا: « نعم يا رسول الله .

قال : فإنه مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم، [فمنهم الموبق بعمله]، ومنهم المجازى حتى ينجي » . وذكر الحديث. وفي آخره قال: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا.

وخرج مسلم [1] ، من حديث أبي مالك الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة ، وأبي مالك، عن ربعي، عن حذيفة، كلاهما عن النبي ﷺ ، فذكر حديث الشفاعة، وفيه قال: فيأتون محمداً ﷺ فيقوم، ويؤذن له، وترسل معه الأمانة والرحم، (ق١٥١) فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، **فيمر أولكم كالبرق** قال: قلت بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق ؟ قال: **ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ! ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم ﷺ، قائم على الصراط يقول: « رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكردس في النار. والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفًا»** .

وفي حديث الصور الطويل، الذي سبقت الإشارة إليه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، كَقَدْرِ الشَّعْرَةِ أو كحد السيف، له كلاليب وخطاطيف، وحسك كحسك السعدان، دَونه جسَر دحض مزلقة**» . وهو يشعر بالتفريق بين الجسر والصراط ، والأحاديث الصحيحة السابقة تدل على أنهما واحد.

وروى أبو خالد الدالاني، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، فذكر حديثًا طويلاً، وفيه قال: **والصراط**

---

(١) برقم (١٩٥) .

كحد السيف، دحض مزلة قال: فيقولون: «انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأشد الرجال ويرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد وتتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، فتصيب جوانبه النار». خرجه الحاكم [1]، وصححه هو وغيره من الحفاظ.

وفي سنن أبي داود [2]، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها، أنها ذكرت النار فبكت، فقال لها رسول الله ﷺ: مالك يا عائشة؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتب حين يقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة، يحبس الله بها من شاء من خلقه، حتى يعلم أينجو أم لا؟.

وروى ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ نحوه. إلا أنه ذكر الميزان وتطاير الكتب وخروج عنق من النار، وقال: «لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاود الخيل والركاب، والملائكة يقولون: (ق ١٥١) رب سلم سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه». خرجه الإمام أحمد [3].

وروى أبو سلام الدمشقي: حدثني عبد الرحمن، حدثني رجل من كندة، قال: أتيت عائشة، فقلت: حدثك رسول الله ﷺ، أنه يأتي عليه ساعة لا يملك

---

(١) في «المستدرك» (٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧). وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣): رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة.

(٢) برقم (٤٧٥٥).

(٣) (٦/ ١١٠).

لأحد فيها شفاعة؟ قالت: [لقد] (*) سألته عن هذا ، قال : **نعم ، حين يوضع الصراط، لا أملك لأحد فيه شفاعة ، حتى أعلم أين يسلك بي ؟ ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، حتى أنظر ماذا يفعل بي أوقال : يوحى إلي ؟ وعند الجسر،حين يستحد ويستحر .**

قلت: وما يستحد و يستحر ؟

قال: يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف، ويستحر حتى يكون مثل الجمرة، فأما المؤمن، فيجيزه ولا يضره، وأما المنافق، فيتعلق، حتى إذا بلغ وسطه، خر من قدميه،[فهوى بيده إلى قدميه . قالت: فهل رأيت من يسعى حافيًا، فتأخذه شوكة حتى كادت تنفذ قدميه؟!] (*) **فإنها كذلك، يهوي بيده ورأسه إلى قدميه، فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدميه، فتقذفه في جهنم، فيهوي فيها مقدار خمسين عامًا** . قلت: وما ثقل الرجل ؟ قال: **ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾** [الرحمن : ٤١] . خرجه بقي بن مخلد في « مسنده » وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١) وفي إسناده جهالة، وفي بعض ألفاظه نكارة.

والأحاديث الصحيحة تدل على أن الصراط، إنما يوضع بعد الإذن في الشفاعة كما سبق.

وخرج الإمام أحمد(٢) ،من حديث أبي بكرة، عن النبي ﷺ، قال: « **يحمل**

(*) من المطبوع .

(١) وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٧٦) قال : وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام ـ يعني: جده ـ أخبرني عبد الرحمن، حدثني رجل من كنده . . فذكره. قال ابن كثير : غريب جدًا ، وفيه ألفاظ منكر رفعها ، وفي الإسناد من لم يسم ، ومثله لا يحتج به والله أعلم .

(٢) (٥/ ٤٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٥٩) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في « الصغير » و « الكبير » بنحوه . ورواه البزار أيضًا ، ورجاله رجال الصحيح .

الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقاذع بهم جنبتا الصراط، تقاذع الفراش في النار، فينجي الله برحمته من يشاء » .

وخرج الحاكم [1]، من حديث سلمان الفارسي، عن النبي ﷺ، قال: **يوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة: من ينجو على هذا ؟**

فيقول : « من شئت من خلقي فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ».
وقال: صحيح. قلت: المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي، من قوله.

وخرج الحاكم [2] أيضًا، من حديث أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ، قال: **« فتسلكون جسراً من النار، يطأ أحدكم الجمرة، فيقول: حس حس ، فيقول ربك: ادنه »** .

وخرج البيهقي، من حديث زياد النميري، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: **«الصراط كحد الشفرة أو كحد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي، وإني لأقول: « يا رب سلم سلم، فالزالون والزالات يومئذ كثير »** .

وخرج أيضًا [3] ، من حديث سعيد بن زربي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: **« على جهنم جسر مجسور، أدق من الشعر وأحد من السيف، أعلاه نحو الجنة دحض مزلة، بجنبتيه كلاليب وحسك النار، يحبس الله بها من يشاء من عباده، الزالون والزالات** (ق/ ١٥٢) **يومئذ كثير، والملائكة بجانبيه قيام ينادون: اللهم سلم سلم، فمن جاء بحق يوم القيامة جاز، ويعطون النور يومئذ على قدر إيمانهم وأعمالهم، فمنهم من يمضي عليه كلمح البرق، ومنهم من يمضي**

---

(١) في « المستدرك » (٤/ ٥٨٦) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .
(٢) في « المستدرك » (٤/ ٦٠٦) مطولا جداً وقال : حديث جامع في الباب صحيح الإسناد كلهم مدنيون ، ولم يخرجاه .
(٣) في « شعب الإيمان » (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ دار الكتب العلمية) وقال البيهقي : وهذا إسناد ضعيف ، غير أن معنى بعض ما روي فيه موجود في الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذكر الصراط .

عليه كمر الريح، ومنهم من يمضي عليه كمر الفرس السابقة، ومنهم من يشتد عليه شداً ، ومنهم من يهرول، ومنهم من يعطى نوره إلى موضع قدميه، ومنهم من يحبو حبواً، وتأخذ النار منهم بذنوب أصابوها، فعند ذلك يقول المؤمنون: «بسم الله حس حس ويلتوي، وهي تحرق من شاء الله منهم على قدر ذنوبهم » . ثم قال البيهقي في زياد النميري ويزيد الرقاشي وسعيد بن زربي: ليسوا بأقوياء.

وخرج أيضًا [(١)] من حديث« **عبيد بن عمير**»، عن النبي ﷺ، قال: «**الصراط على جهنم مثل حرف السيف، بجنبتيه الكلاليب والحسك، فيركبه الناس، فيختطفون، والذي نفسي بيده، إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر** ». وهذا مرسل.

وخرجه من وجه آخر موقوفًا على عبيد بن عمير مختصراً .

وخرج أيضًا [(٢)] بإسناده، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: « **الصراط على جهنم مثل حد السيف** » .

وخرج الترمذي [(٣)]، بإسناد فيه ضعف، عن المغيرة بن شعبة، عن النبيﷺ، قال: « **شعار المؤمنين على الصراط رب سلم سلم** » .

ويروى نحوه من حديث أنس مرفوعًا بإسناد لا يصح.

وروى منصور بن عمار، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ، قال: « **شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت**»[(٤)] . وهذا فيه نكارة، والله أعلم.

---

(١) عزاه المنذري في « الترغيب » (٤/ ٢٣٢ ـ دار الكتب العلمية) للبيهقي قال : مرسلاً وموقوفًا على عبيد بن عمير .

(٢) عزاه المنذري في « الترغيب » (٢/ ٢٣٢) لابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم ، ولم يعزه للبيهقي .

(٣) برقم (٢٤٣٢) وقال الترمذي ! هذا حديث غريب من حديث المغيرة بن شعبة لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وفي الباب عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه ابن عدي (٦/ ٣٩٥) في ترجمة منصور بن عمار السري وترجم له بأنه منكر الحديث .

وفي صحيح مسلم [1] «عن مسروق، عن عائشة» رضي الله عنها ، أنها سألت النبي ﷺ: « أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ قال: **على الصراط**» .

وفيه أيضًا [2] عن ثوبان، أن حبرًا من اليهود ، سأل النبي ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

قال: « **هم في الظلمة دون الجسر.**

قال: فمن أول الناس إجازة ؟ فقال: **فقراء المهاجرين**». وذكر الحديث. ويمكن الجمع بين الحديثين، بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر، فقد يقع تبدل الأرض والسموات وطي السماء، من حين وقوع الناس في الظمة، ويمتد ذلك إلى حال المرور على الصراط، والله أعلم.

واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا شريك به شيئًا، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط إنما يقمعون في النار قبل وضع الصراط، ويدل على ذلك (ق/ ٥٢ ب) ما في الصحيحين» [3] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها**، فذكر الحديث إلى أن قال: **ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه**».

وفيهما أيضًا [4] ، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « **إذا كان يوم القيامة، أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله**

---

(١) برقم (٢٧٩١) .

(٢) برقم (٣١٥) وهو قطعة من حديث طويل .

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) وتقدم تخريجه .

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٣) .

من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبّرِ أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله .

قال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟

قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون ؟

فيحشرون إلى النار، كأنها سراب، يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟

قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون ؟

فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا. قال: فيشار إليهم ألا تردون ؟

فيحشرون إلى جهنم، كأنها سراب، يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين».

فذكر الحديث إلى أن قال: « فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى إلا من كان يسجد اتقاء ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقًا واحداً ، كلما أراد أن يسجد، خر على قفاه، ثم يرفعون رءوسهم، وقد تحول من صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: « أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم وذكر الحديث.

وعند البخاري[1] في رواية« ثم يؤتى بجهنم، تعرض كأنها السراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟» وذكر الباقي بمعناه.

فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله، كالمسيح وعزير من أهل الكتاب، فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً، وقد دل القرآن

---

(١) برقم (٧٤٣٩) .

على هذا المعنى، في قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود : ٩٨] .

وأما من عبد المسيح والعزير (ق/ ١٥٣) من أهل الكتاب، فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون النار بعد ذلك.

وقد ورد في حديث آخر: « **أن من كان يعبد المسيح، يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه، وكذلك من كان يعبد العزير** » .

وفي حديث الصور أنه . « **يمثل لهم ملك على صورة المسيح، وملك على صورة العزير، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان لا يعبد غير الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقًا أو منافقًا من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون على المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين** » .

وقد اختلف السلف، هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين ثم يطفأ، أو لا يقسم له نور بالكلية، على قولين:

فقال أحدهما: إنه لا يقسم له نور بالكلية.

قال صفوان بن عمرو: حدثني سليم بن عامر، سمع أبا أمامة يقول: يغشى الناس ظلمة شديدة - يعني يوم القيامة - ثم يقسم النور، فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق، فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، و ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد : ١٣] . قال: وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين، قال عز وجل: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ فيرجعون إلى المواضع التي قسم فيها النور، فلا يجدون شيئًا، فينصرفون إليهم ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[الحديد: ١٣ ـ ١٥] قال سليم: فما يزال المنافق مغتراً ، حتى يقسم النور، ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق. خرجه ابن أبي حاتم [١].

وخرج أيضًا من رواية مقاتل بن حيان والضحاك، عن ابن عباس[٢] ، ما يدل على مثل هذا القول أيضاً، ولكنه منقطع.

والقول الثاني: أنه يقسم للمنافين النور مع المؤمنين كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا، ثم يطفأ نور المنافقين إذ بلغ السور. قاله مجاهد.

وروى عتبة بن يقظان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فأما المنافقين فيطفأ نوره، فالمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهم: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم : ٨].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه. وكذا روى جويبر عن الضحاك.

وسنذكره في الباب الآتي إن شاء الله، من حديث جابر، عن النبي ﷺ، ما يدل على صحة هذا القول.

وقال آدم بن أبي إياس: « أنبأنا المبارك بن فضالة، عن الحسن»، قال: قال رسول الله ﷺ: « **يدفع يوم القيامة إلى كل مؤمن نور، وإلى كل منافق نور،** (ق/ ١٥٢) **فيمشون معه، فبينا نحن على الصراط إذ غشينا ظلمة، فيطفأ نور المنافق، ويضيء نور المؤمن، فعند ذلك ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾** [التحريم : ٨] **حين طفئ نور المنافقين**»[٢].

وقد سبق صفة مشي المنافق على الصراط في حديث عائشة، وإن كان في إسناده ضعف.

وروى بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام، قال: « يوضع الجسر على

---

(١) في « تفسيره » كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٩) .
(٢) كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠) قال : وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس .
(٣) مرسل منقطع ، ومراسيل الحسن البصري كالريح ، وهي ضعيفة جداً .

جهنم، ثم ينادي مناد: أين أحمد وأمته ؟

فيقوم، فتتبعه أمته برها وفاجرها، قال: فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين وينجو النبي والصالحون معه، ثم ينادي مناد: أين عيسى وأمته ؟

فيقوم، ويتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي والصالحون معه، و يتبعهم الأنبياء والأمم، حتى يكون آخرهم نوح، رحم الله نوح». خرجه ابن خزيمة وغيره(١).

وقد تبين بما ذكرنا في هذا الباب، من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما أن اقتسام المؤمنين الأنوار، على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والإبطاء. وهذا أيضًا مذكور في حديث حذيفة وأبي هريرة وغيرهما.

وروى أبو الزعراء، عن ابن مسعود، قال: يأمر الله بالصراط، فيضرب على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرًا زمرًا، أوائلهم كلمح البرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، ثم كمر البهائم، حتى يمر الرجل سعيًا، وحتى يمر الرجل مشيًا، وحتى يجيء آخرهم يتلبط على بطنه، فيقول: يا رب لم أبطأت بي ؟ فيقول: « **إني لم أبطيء بك، إنما أبطأ بك عملك** » (٢).

وذلك لأن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا [الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه، وأمرهم بسؤال الهداية إليه، فمن استقام سيره على هذا المستقيم في الدنيا] (*) ظاهرًا وباطنًا، استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم، و[من] (*) لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة

(١) وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٣٦٦) .

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم « قدر الصلاة » (٢٨٢) ، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٤١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ،ولم يخرجاه.

(*) من المطبوع .

الشهوات، كان اختطاف الكلاليب له على متن جهنم بحسب اختطاف الشبهات أو الشهوات له عن هذا الصراط المستقيم، كما في حديث أبي هريرة: « **إنها تخطف الناس بأعمالهم** » [1].

وروى الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر : ١٤] قال: من وراء الصراط ثلاثة جسور، جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الرب تبارك وتعالى.

وقال أيفع بن عَبْدٍ الكلاعي: لجهنم سبع قناطر، والصراط عليها، وذكر أنه يحبس الخلق عند القنطرة الأولى، فيسألون عن الصلاة، فيهلك من يهلك وينجو من ينجو ويحبسون عند القنطرة الثانية، فيسألون الأمانة، (ق/ ١٥٤) هل أدوها أم أضاعوها فيهلك من يهلك، وينجو من ينجو ، ثم يحبسون عند الثالثة، فيسألون عن الرحم.

وقد ذكرنا فيما تقدم غير حديث في حبس الولاة على جسر جهنم، وتزلزل الجسر بهم.

وخرج أبو داود [2] من حديث معاذ بن أنس الجهني، عن النبي ﷺ، قال: «**من رمى مسلمًا بشيء يريد به تشيينه، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**» .

وقد روي بلفظ آخر وهو« **من قال في مؤمن مالا يعلم، حبسه الله على جسر جهنم، حتى يخرج مما قال** » [3].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن أبي سليمان الداراني، قال: وصفت لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم، فأقامت يومًا وليلة في صيحة واحدة ما

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢) وتقدم تخريجه .

(٢) برقم (٤٨٨٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩) من حديث معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه مرفوعًا . قال أبو نعيم : وهو حديث غريب ، تفرد به إسماعيل عن سهل .

تسكت، ثم انقطع عنها بعد، فكلما ذكرت لها صاحت.

قيل له: من أي شيء كان صياحها ؟

قال: مثلت في نفسها على القنطرة وهي تكفأ بها.

وكان أبو سليمان يقول: إذا سمعت الرجل يقول لآخر: بيني وبينك الصراط فإنه لا يعرف الصراط فإنه لا يعرف الصراط ولا يدري ما هو ، لو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد.

وكان أبو مسلم الخولاني يقول لامرأته : يا أم مسلم، شدي رحلك، فليس على جسر جهنم معبر.

وروى ابن أبي الدنيا، من طريق معاوية بن صالح، عن أبي اليمان، أن رجلاً كان شابًا أسود الرأس واللحية، فنام ليلة، فرأى في منامه، كأن الناس حشروا، وإذا بنهر من لهب نار، وإذا جسر يجوز الناس عليه، يدعون بأسمائهم، فإذا دعي الرجل أجاب، فناج وهالك، قال: فدعي باسمي، فدخلت في الجسر، فإذا حده كحد السيف، يمور بي يميناً وشمالاً، قال: فأصبح الرجل أبيض اللحية والرأس مما رأى.

وسمع أسود بن سالم رجلاً ينشد هذين البيتين:

أمامي موقوف قدام ربـــي فيسألني وينكشف الغطـاء

وحسبي أن أمر على صـراط كحد السيف أسفله لظـاء

فغشي عليه.

وروي عن بشر بن الحارث، قال: قال لي فضيل بن عياض: يا بشر، مسيرة الصراط مسيرة خمسة عشر ألف فرسخ، فانظر كيف نكون على الصراط.

وقال محمد بن السماك سمعت رجلاً من زهاد أهل البصرة يقول: الصراط ثلاثة آلاف سنة، [ألف سنة] (*) يصعدون [فيه] (*)، وألف سنة يستوي بهم،

(*) من المطبوع .

وألف سنة يهبطون منه.

وروى فيض بن إسحاق، عن الفضيل، قال: الصراط [أربعون] (٣) ألف فرسخ.

وروى ابن أبي الدنيا، في « كتاب الأولياء »، من حديث جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يسأل علي بن زيد ـ وهو يبكي ـ فقال: يا أبا الحسن، كم بلغك أن ولي الله يحبس على الصراط ؟

قال: كقدر رجل في صلاة مكتوبة، أتم ركوعها وسجودها.

قال فهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله ؟

قال: نعم.

ومن حديث رشدين (ق/ ٤٥ ب) بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد ابن أبي هلال، قال: [بلغنا] (*) أن الصراط يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع.

وقال سهل التستري، من دق عليه الصراط في الدنيا عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق عليه في الآخرة.

ومعنى هذا، أن من ضيق على نفسه في الدنيا، باتباع الأمر واجتناب النهي، وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم [في الدنيا] (*)، كان جزاؤه أن يتسع له الصراط في الآخرة، ومن وسع على نفسه في الدنيا، باتباع الشهوات المحرمة، والشبهات المضلة، حتى خرج عن الصراط المستقيم، ضاق عليه الصراط في الآخرة بحسب ذلك، والله أعلم.

رأى بعض السلف رجلاً يضحك، فقال له: ما أضحكك ؟

ليس تقر عينك أبداً أو تخلف جهنم وراءك.

(*) من المطبوع.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا يونس الحذاء، عن أبي حمزة البيساني، عن معاذ بن جبل يرفعه، قال: « **إن المؤمن لا تسكن روعته، ولا يأمن أضرابه، حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره**. خرجه ابن أبي حاتم، وقال: أبو حمزة مجهول، ويونس الحذاء، قال: وأبو حمزة عن معاذ مرسل، والله أعلم.

***

الباب السابع والعشرون ـ في ذكر ورود النار نجانا الله منها بفضله ورحمته

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١ ـ ٧٢].

روى إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: بكى عبد الله بن رواحة، فبكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك ؟

قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت هذه الآية ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وقد علمت أني داخلها، فلا أدري، أناج منها أم لا ؟ [١].

وروى ابن المبارك [٢]، عن عباد المنقري، عن بكر المزني، قال: لما نزلت هذه الآية﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم ٧١]ذهب ابن روحة إلى بيته فبكى، فجاءت المرأة فبكت، وجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته قال: يا أهلاه، ما يبكيكم ؟

قالوا: لا ندري، ولكنا رأيناك بكيت فبكينا، قال: آية نزلت على رسول الله ﷺ، ينبئني فيها ربي أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها [فذلك الذي أبكاني][٣].

وقال موسى بن عقبة، في « مغازيه »: زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى مؤتة، فبكى أهله حين رأوه يبكي، فقال: والله ما بكيت [جزعًا] من الموت ولا صبابة لكم، ولكني بكيت [جزعًا] [*] من قول الله عز وجل:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (١٧٧٩) .

(٢) في « الزهد » (٣٠٩) .

(٣) زيادة من الزهد لا بن المبارك .

(*) من المطبوع .

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فأيقنت أني واردها، ولا أدري أنجو منها أم لا [1]﴾.

وقال حفص بن حميد، عن شمر بن عطية: كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إذا قرأ هذه الآية يبكي، ويقول: رب، ممن تنجي ؟ أو ممن تذر فيها جثيًا ؟!.

وروى أبو إسحاق عن أبي ميسرة (ق/ ١٠٠) أنه كان إذا أوى إلى فراشه، قال: ياليت أمي لم تلدني، فقالت له امرأته: يا أبا ميسرة، إن الله قد أحسن إليك هداك للإسلام، فقال: أجل، إن الله يبين لنا أنا واردو النار، ولم يبين لنا أنا صادرون منها.

وروينا من طريق سفيان بن حسين، عن الحسن، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ، إذا التقوا يقول الرجل منهم لصاحبه: هل أتاك أنك وارد النار، فيقول: نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج منها؟ فيقول: لا، فيقول: ففيم الضحك إذًا ؟

وقال ابن عيينة عن رجل، عن الحسن: قال رجل لأخيه، يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال: نعم، قال: هل أتاك أنك خارج منها ؟ قال، لا، قال: ففيم الضحك إذًا ؟ قال: فما رؤي ضاحكًا حتى مات.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] قال: قال رجل لأخيه: قد جاءك عن الله أنك وارد في جهنم ؟ قال: نعم، قال: فأيقنت بالورود؟ قال: نعم، قال: فأيقنت وصدقت بذلك ؟ قال: نعم، وكيف لا أصدق وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] قال: فأيقنت أنك صادر عنها ؟ قال: والله ما أدري أأصدر عنها أم لا؟ قال: ففيم التثاقل ففيم الضحك ؟ ففيم اللعب ؟

قال أحمد: وحدثنا خلف بن الوليد، أنبأنا المبارك، قال: سمعت الحسن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١١٨) بنحوه.

يقول: لا والله، إن أصبح فيها مؤمن إلا حزينًا ، وكيف لا يحزن المؤمن، وقد جاءه عن الله، أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها ؟

قال أحمد: وأنبأنا حسين بن محمد، حدثنا ابن عياش، عن عبد الله بن دينار، أن لقمان، قال لابنه: يا بني، كيف يأمن النار من هو واردها ؟

وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في تفسير الورود، فقالت طائفة: الورود هو المرور على الصراط، وهذا قول ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والكلبي وغيرهم..

وروى إسرائيل عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني، عن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ فحدثني عن ابن مسعود أنه حدثهم، قال: قال رسول الله ﷺ: « **يرد الناس النار، ثم يصدرون [منها]** [*] **بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه** » خرجه الترمذي [1] وقال :حديث حسن.

وخرج الإمام أحمد [2] أوله، وخرجه الحاكم [3] وقال: صحيح، ورواه شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله موقوفًا، ولم يرفعه شعبة، مع أنه أقر بأن السدي حدثه به مرفوعًا . قال الدارقطني: يحتمل أن يكون مرفوعًا .

قلت: ورواه (ق/ ٥٥ب) أسباط، عن مرة الهمداني، عن عبد الله موقوفًا أيضًا، فقال: يرد الناس الصراط جميعًا، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق فذكر الحديث بطوله، وفي آخره: حتى إن آخرهم مرًا، رجل نوره على إبهامي قدميه، يتكفأ به الصراط

(*) من سنن الترمذي .

(١) برقم (٣١٥٩) وقال أيضًا : ورواه شعبة عن السدي ، فلم يرفعه .

(٢) (١/ ٤٣٣) موقوفًا عن عبد الله بن مسعود ، قال عبد الله بن أحمد : قلت له : إسرائيل حدثه عن النبي ﷺ ؟ قال : نعم هو عن النبي ﷺ أو كلامًا هذا معناه . وأخرجه أيضًا (١/ ٤٣٥) موقوفًا .

(٣) في « المستدرك » (٢/ ٣٧٥) .

والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس وذكر بقية الحديث، خرجه ابن أبي حاتم [(١)].

ورواه الحكم بن ظهير عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، فرفع آخر الحديث، ولفظ حديثه قال عبد الله: الورود ليس بالدخول فيها، ولكنه حضورها والوقوف عليها، مثل الدابة ترد الماء ولا تدخله، ثم قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: « **يضع الله الصراط على جهنم، فيجوز العباد عليه وذكر الحديث بطوله، وفي آخره: ولو قيل لأهل النار: إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا سنة لرجوا، وقالوا: لا بد أنا مخرجون، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة في الدنيا سنة حزنوا، وقالوا: لا بد أنا مخرجون، ولكن الله جعل لهم الأبد، ولم يجعل لهم الأمد** ». والحكم بن ظهير ضعيف.

ولعل هذا الكلام في آخر الحديث موقوف على ابن مسعود، فإنه روي عنه موقوفًا، من وجه آخر بإسناد جيد.

قال أبو الحسن بن البراء العبدي في كتاب « الروضة » له: حدثنا أحمد بن خالد هو الخلال، حدثنا عثمان بن عمر، أنبأنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله، قال: لو أن أهل جهنم وعدوا يومًا من أبد أو عدد أيام الدنيا لفرحوا بذلك اليوم، لأن كل ما هو آت قريب.

وقد روي أول الحديث من طريق أبي إسحاق موقوفًا أيضًا لكن بمخالفة في الإسناد.

فروى عمرو بن طلحة القناد عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾: قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: رب سلم سلم.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٣) فقد أورده عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود، وعزاه لابن أبي حاتم .

خرجه الحاكم [1] وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وكذا خرجه آدم بن أبي إياس في « تفسيره » عن إسرائيل.

وخرج مسلم في صحيحه [2] من حديث روح بن عبادة، أنبأنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال: نحن (يوم القيامة عن كذا وكذا، انظر أي ذلك فوق الناس) (*)، قال فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: **من تنتظرون ؟** فنقول: ننتظر ربنا، فيقول: **أنا ربكم**، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر، وذكر بقية الحديث. كذا خرجه مسلم عن عبيد الله بن سعيد ـ وهو الأشج ـ وإسحاق بن منصور، وكلاهما عن روح به.

وخرجه الإمام أحمد [3]، عن روح به، وزاد فيه بعد قوله: فيتجلى لهم

---

(١) في « المستدرك » (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ، وأورد ابن كثير في « تفسير » (٣/ ١٣٣) رواية الطبري من طريق النضر حدثنا إسرائيل به . وقال ابن كثير : ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس ،وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وجابر موقوفًا ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) برقم (١٩١) .

(*) قال النووي عن هذه العبارة : هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من صحيح مسلم، واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاط في اللفظ . قال الحافظ عبد الحق في كتابه « الجمع بين الصحيحين » .هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين أو كيف كان .وقال القاضي عياض : هذه صورة الحديث في جميع النسخ ، وفيه تغيير كثير وتصحيف ، قال : وصوابه : « نجيء يوم القيامة على كوم . . . »

وانظر كلام ابن رجب في الصفحة القادمة .

(٣) (٣/ ٢٨٣) .

يضحك قال: سمعت النبي ﷺ، قال « **فينطلق بهم فيتبعونه** »، وساق الحديث، فجعله من هذا الموضع مرفوعًا ، وما قبله موقوفًا .

وقد روى محمد بن شرحبيل الصنعاني عن ابن جريج هذا الحديث، فرفع أوله أيضًا وهو ذكر التجلي والضحك.

ورواه عبد الرزاق ، عن رباح بن زيد، عن ابن جريج، عن زياد بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ في ذكر التجلي. وروي عنه الحديث كله أيضًا بهذا الإسناد.

وهذا يدل على أن أول الحديث لم يكن عند ابن جريج عن أبي الزبير مرفوعًا، وإنما كان عنده كله مرفوعًا، [عن زياد بن سعد، عن أبي الزبير.

وكذلك رواه أبو قرة، عن مالك،عن زياد بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، قال: « **إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم** » فذكره كله مرفوعاً (*)] (١) .

وكذا رواه ابن لهيعة، عن أبي الزبير، قال سمعت جابراً يسأل عن الورود، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **نحن يوم القيامة على كوم** » (٢) وذكر الحديث كله مرفوعًا، وفي حديثه زيادة بعد قوله: « **ويعطى كل إنسان منهم منافق**

(*) ما بين المعقوفتين من المطبوع .

(١) أخرج أبو نعيم في « ذكر أخبار أصبهان » (١/ ٩١) من طريق ابن جريج ، أنا زياد ابن سعد به . ولفظه : « إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ودُعي كل أناس بإمامهم ، جئنا آخر الناس ، فيقول قائل الناس : من هذه الأمة ؟ . . . الحديث » .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٩٠٧٥) من طرق عن ابن لهيعة به . . فذكره . وقال ابن كثير في « تفسيره » (١/ ١٩٢) : وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن المغيرة بن عتيبة بن نهاس ، حدثني مكتب لنا ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : «أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل » .

أو مؤمن نوراً أو يغشاه ظلمة » .

وقوله في هذه الرواية: « **نحن يوم القيامة على كوم** » هذه الرواية الصحيحة.

وأما ما ورد في رواية روح ، عن ابن جريج، عن كذا وكذا، فإن أصله تصحيف من الراوي للفظة « كوم » فكتب عليه كذا وكذا، لإشكال فهمه عليه، ثم كتب انظر، أي ذلك يأمر الناظر فيه بالتروي والفكر في صحة لفظه، فأدخل ذلك كله في الرواية قديمًا، ولم يقع ذلك من نسخ « صحيح مسلم » كما يظنه بعضهم فإن الحديث في مسند الإمام أحمد [1] وكتاب « السنة » لابنه عبد الله [2] كذلك.

وخرجه الطبراني في كتاب « السنة »، من طريق أبي عاصم، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابراً يسأل عن الورود، فقال: نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وذكر الحديث إلى قوله: فيتجلى لهم يضحك قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: (ق/ ٥٦ ب) « **حتى يبدو كذا وكذا، فينطلق بهم ويتبعونه** » وذكر الحديث بتمامه. وفي سياقه أيضًا « **وتغشى المنافقين ظلمة** »، فظهر بهذه الرواية أن الشك والتصحيف إنما جاء من جهة روح ابن عبادة ولعله وقع في كتابه كذلك، فحدث به كما في كتابه، والله أعلم.

لكن قد رواه محمد بن يحيى المازني عن ابن جريج، كما رواه عنه روح. خرجه من طريقه الخلال .

ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول ما خرجه مسلم [3]، من حديث أبي الزبير ، عن جابر، قال: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها** » قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا

(١) (٣ / ٣٤٥) .
(٢) برقم (٤٥٧) .
(٣) برقم (٢٤٩٦) .

وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] .

ورواه الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر بنحوه[1] . وفي بعض روايات الأعمش: فقال رسول الله ﷺ: « يردونها، ثم يصدرون عنها بالأعمال ».

وقالت طائفة: الورود هو الدخول، وهذا هو المعروف عن ابن عباس [2]: روي عنه من غير وجه، وكان يستدل لذلك بقوله تعالى في فرعون: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ [هود : ٩٨].

وبقوله: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء : ٩٩].

وقد سبق عن عبد الله بن رواحة نحو هذا، إلا أن الروايات عنه منقطعة.

وروى مسلم الأعور عن مجاهد« وإن منكم إلا واردها» قال: داخلها.

وسئل كعب عن الورود المذكور في الآية، فقال: تمسك النار عن الناس، كأنها متن إهالة، حتى تسوى عليها أقدام الخلق كلهم برهم وفاجرهم، ثم يقول لها الرب عز وجل: خذي أصحابك ودعي أصحابي، فتخسف بكل ولي لها، وينجي الله المؤمنين ندية ثيابهم. قال كعب: ألم تر إلى القدر الكثيرة الودك إذا بردت استوت بيضاء كالشحم ؟

فإذا أوقدن النار تحتها انخسف الودك في القدر من هاهنا وهاهنا [3].

---

(١) أخرجه أحمد (٦ / ٣٦٢) من هذا الطريق قالت أم مبشر ـ امرأة زيد بن حارثة ـ كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة فقال : « لا يدخل النار أحد شهد بدر أو الحديبية » . قالت حفصة : أليس الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] قالت: قال رسول الله ﷺ : « فمه ، ثم ننجي الذين اتقوا » .

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠) من طريق مجاهد عنه .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفة» (٧/ ٥٥) برقم (٣٤١٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٣٧٢) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وفي رواية عنه قال: فهي أعرف بهم من الوالد بولده.

وقال ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار ؟

قالوا: بلى، ولكن مررتم عليها وهي خامدة.

وفي رواية عنه قال: إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضًا: ألم يعدنا ربنا أن نمر على جسر جهنم ؟.

قال: فيقول: بلى ولكن مررتم عليها وهي خامدة.

وقال مسكين: سمعت أشعث الحداني يقول: بلغني أن أهل الإيمان إذا مروا بصراط جهنم، قال: تقول لهم جهنم: جوزوا عني، قد بردتم وهجي، (ق/ ١٥٧) ذروني وأهلي. ولكن هذا والذي قبله قد يدلان على أن الورود هو المرور على الصراط كالقول الأول.

وروى كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية، قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن. وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا، وينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال [بعضنا][(١)] يردونها جميعًا. وقال سليم بن مرة: يدخلونها، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا** خرجه الإمام أحمد [(٢)]، وأبو سمية لا ندري من هو.

وفي الصحيحين [(٣)]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال:

---

(١) من المسند .

(٢) (٣/ ٣٢٨) قال : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا غالب بن سليمان أبو صالح ، عن كثير بن زياد البرساني به . . . الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٥١) و رمسلم (٢٦٣٢) .

«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار، إلا تحلة القسم».

وقد فسر عبد الرزاق وغيره تحلة القسم بالورورد لقوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ . وظاهر هذا يقتضي أن الورود هو مس النار.

وفي رواية: « فيلج النار إلا تحلة القسم » [1] فجعله مستثنى من ولوجها .

وروى عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: « من مات له ثلاثة أولاد، لم يبلغوا الحنث، لم يرد النار إلا عابر سبيل»[2].

وخرج الإمام أحمد [3]، من حديث ابن لهيعة ورشدين بن سعد، كلاهما عن زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه ، عن النبي ﷺ، قال: «من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعًا ، لا يأخذه سلطان، لم يرد النار إلا تحلة القسم»، فإن الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ إسناده ضعيف.

وخرج الطبراني [4]، من حديث الواقدي، حدثنا شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن أبيه أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ، قال: « إنما حر جهنم على أمتي كحر الحمام ». الواقدي متروك.

وروى منصور بن عمار، عن بشير بن طلحة، عن خالد بن دريك، عن يعلى بن منية، عن النبي ﷺ: « تقول جهنم للمؤمن: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» [5] غريب وفيه نكارة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٢) .

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٦ ـ ٧) وقال : ورجاله موثقون خلا شيخ الطبراني أحمد بن مسعود المقدسي ، ولم أجد من ترجمه .

(٣) (٣/ ٤٣٧) قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) : رواه أحمد وابو يعلي والطبراني ، وفي أحد إسنادي أحمد ابن لهيعة ، وهو أحسن حالاً من رشدين .

(٤) في الأوسط » برقم (٦٦٠٣) . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٠) : وفيه محمد بن عمر الواقدي ، وهو ضعيف جداً .

(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٦٦٨) ،والبيهقي في « الشعب » (٣٧٥) =

وقد فسر بعضهم الورود بالحمى في الدنيا، روى مجاهد وعثمان بن الأسود، وفيه حديث مرفوع: الحمى حظ المؤمن من النار. وإسناده ضعيف.

وقالت طائفة: الورود: ليس عامًا ، وإنما هو خاص بالمحضرين حول جهنم، المذكورين في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٦٨ : ٧١]: كأنه يقال لهؤلاء الموصوفين: وإن منكم إلا واردها.

روي هذا التأويل عن زيد بن أسلم، وهو بعيد جداً .

وعن عكرمة، أنه كان يقرأ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ ويقول: الضمير يعود إلى الظلمة، كذلك كنا نقرؤها.

وروي هذا القول، (ق/ ٥٧ ب)عن ابن عباس من وجه منقطع. والصحيح عنه ما سبق.

= وقال : تفرد به سليم بن منصور ، وهو منكر .

وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٢٩) من طريق محمد بن جعفر ـ صاحب منصور بن عمار ـ ثنا بشير بن طلحة به . وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ثنا على بن سعيد الرازي ، ثنا سليم بن منصور بن عمار ، ثنا أبي مثله .

وأخرجه الخطيب في « تاريخه » (٥/ ١٩٣) وقال : هكذا قال ـ أي أبو السري ـ عن منصور بن عمار عن خالد بن دريك . وروى هذا الحديث سليم بن منصور بن عمار ، عن أبيه ، واختلف عليه ، فقال إسحاق بن الحسن الحربي ، عن سليم عن أبيه ، عن بشير بن طلحة ، عن خالد بن دريك ، عن يعلى ، ورواه أحمد بن الحسين بن إسحاق الصوفي ، عن سليم ، عن أبيه ، عن هقل بن زياد ، عن الأوزاعي ، عن خالد بن الدريك ، عن بشير بن طلحة ، عن يعلي بن منية ، والله أعلم .

وأخرجه الخطيب أيضًا (٩/ ٢٣٢) وذكر خلافًا أيضًا .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٠) : رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف .

وقال العجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) . رواه الطبراني في « الكبير» عن يعلي بن منية رفعه ، وفي سنده منصور بن عمار الواعظ ليس بالقوي ، ورواه ابن عدي عن يعلى ، وقال : منكر .

فصل
إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار

وقد أخبر النبي ﷺ: أن العبد إذا وقف بين يدي ربه للحساب، فإنه تستقبله النار تلقاء وجهه، وأخبر أن الصدقة تقي صاحبها من النار .

ففي الصحيحين [1] عن عدي بن حاتم، عن النبي ﷺ، قال: « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» .

وفي « صحيح مسلم » [2] عنه، عن النبي ﷺ، قال: « من استطاع منكم، أن يستتر من النار، ولو بشق تمرة، فليفعل» .

وفي « صحيح البخاري » [3] عنه، عن النبي ﷺ، قال : « ليقفن أحدكم، بين يدي الله عز وجل، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً ؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقولن: « بلى، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا النار، ثم ينظر على شماله، فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار، ولو بشق تمرة، فإن لم يجد، فبكلمة طيبة» .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة، عن النبي ﷺ، أنه خرج يومًا، فقال: «رأيت الليلة عجبًا ، فذكر حديثًا طويلاً وفيه : ورأيت رجلاً من أمتي، يتقي وهج النار وشررها بيديه من وجهه، فجاءته صدقته، فصارت ستراً على رأسه، وظلاً على وجهه» [4].

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) برقم (١٠١٦) .

(٣) برقم (١٤١٣) .

(٤) تقدم تخريجه .

الباب الثامن والعشرون
في ذكر حال الموحدين في النار وخروجهم منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين

قد تقدم في الأحاديث الصحيحة، أن الموحدين يمرون على الصراط فينجو منهم من ينج،و ويقع منهم من يقع في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، فقدوا من وقع من إخوانهم الموحدين في النار، فيسألون الله عز وجل إخراجهم منها.

روى زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، في حديث طويل سبق منه ذكر المرور على الصراط، ثم قال: « حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فو الذي نفسي بيده، ما من أحد منكم، بأشد مناشدة لله، في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيراً، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقية وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد (ق/ ١٥٨) ممن أمرتنا به، فيقول لهم: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحداً، فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيراً ، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً.

وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث، فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٣٩].

فيقول الله عز وجل: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم

يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج بها قومًا لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حممًا ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل»، وذكر بقية الحديث. خرجاه في الصحيحين[1]، ولفظه لمسلم.

والمراد بقوله: « لم يعملوا خيراً قط» من أعمال الجوارح، وإن كان أصل التوحيد معهم، ولهذا جاء في حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه بعد موته بالنار، إنه لم يعمل خيراً قط غير التوحيد. خرجه الإمام أحمد، من حديث أبي هريرة مرفوعًا [2]، ومن حديث ابن مسعود موقوفًا [3].

ويشهد لهذا ما في حديث أنس، عن النبي ﷺ، في حديث الشفاعة، قال: فأقول: « يا رب، ائذن لي فيمن يقول لا إله إلا الله»، فيقول: « وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله». خرجاه في الصحيحين [4].

وعند مسلم: [5] « فيقول: ليس ذلك لك، أو ليس ذلك إليك».

وهذا يدل على أن الذين يخرجهم الله برحمته، من غير شفاعة مخلوق، هم أهل كلمة التوحيد، الذين لم يعملوا معها خيراً قط بجوارحهم، والله أعلم.

وروى أبو الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم، ومجروح به ناج، ومحتبس منكوس فيها، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وتفقد المؤمنون رجالاً في الدنيا، كانوا يصلون بصلاتهم، ويزكون بزكاتهم، ويصومون بصيامهم، ويحجون بحجهم، ويغزون بغزوهم، فيقولون: أي ربنا، عباد

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٣) .

(٢) في « المسند » (٢/ ٢٦٩) ، وأخرجه البخاري (٣٤٨) ، ومسلم (٢٧٥٦) .

(٣) في « المسند » (١/ ٣٩٨) .

(٤) أخرجه (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣ / ٣٢٦) .

(٥) برقم (١٩٣ / ٣٢٦) .

من عبادك، كانوا معنا في الدنيا، يصلون بصلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا لا نراهم»؟

قال الله عز وجل: اذهبوا إلى النار، [فمن وجدتموه فيها، فأخرجوه، قال: فيجدونهم، وقد أخذتهم النار] (*) على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته إلى قدميه، منهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من [أخذته] (**) إلى أزرته، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجوه، قال: فيستخرجونهم، ثم يطرحون في ماء الحياة. قيل: يا نبي الله، وما ماء الحياة ؟ قال: غسل أهل الجنة قال: فينبتون فيها، كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم تشفع الأنبياء، في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً ، فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله برحمته، على من فيها، فما يترك فيها عبداً، في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، إلا أخرجه منها ». خرجه الحاكم [1]، وقال: صحيح الإسناد .

وخرجاه في الصحيحين [2]، من حديث مالك، عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: « يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله عز وجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة ـ أو حبة من خردل ـ من إيمان، فيخرجون منها، قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحياء شك مالك فينبتون، كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية» . ولفظه للبخاري .

وعند مسلم: « فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا » .

وفي الصحيحين [3] أيضاً، عن الزهري، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة،

(*) من المستدرك .

(**) من المطبوع .

(١) في « المستدرك » (٤ / ٥٨٥ ـ ٥٨٦) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢) ، ومسلم (١٨٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) .

عن النبي ﷺ، قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، فذكر الحديث بطوله، وفيه ذكر جواز الناس على الصراط، ثم قال: حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل الكبائر من النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا، ممن دخل النار، [يعرفونهم] (*) بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحبة في حميل السيل**» وذكر بقية الحديث.

وخرج مسلم (١)، من حديث يزيد الفقير، عن جابر، قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إن قومًا يخرجون من النار، يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم، حتى يدخلوا الجنة**».

وخرج أيضًا (٢)، من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «**أما أهل النار، الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أوقال بخطاياهم ـ فأماتهم الله إماتة، حتى إذا كانوا فحمًا، أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبابير ضبابير، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة: أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل**». وظاهر الحديث، يدل على أن هؤلاء يموتون حقيقة، وتفارق أرواحهم أجسادهم.

ويدل على ذلك، ما خرجه البزار (٣)، من حديث عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن مسلمة، أنبأنا موسى بن جبير، عن أبي أمامة بن سهل، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إن أدنى أهل الجنة حظًا ـ أو نصيبًا ـ قوم يخرجهم الله من النار، فيرتاح لهم الرب تعالى، إنهم كانوا لا يشركون بالله شيئًا، فينبذون بالعراء، فينبتون كما ينبت البقل، حتى إذا دخلت الأرواح أجسادهم، قالوا: ربنا، كما**

(*) من الصحيحين.

(١) برقم (١٩١ / ٣١٩).

(٢) برقم (١٨٥).

(٣) برقم (٣٥٥٤ ـ كشف)، وقال الهيثمي (١٠/ ٤٠١): رجاله ثقات.

أخرجتنا من النار، ورجعت الأرواح إلى أجسادنا، فاصرف وجوهنا عن النار، فتصرف وجوههم عن النار».

وروى مسكين أبو فاطمة، حدثني اليمان بن يزيد، عن محمد بن حمير، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ: «إن أصحاب الكبائر، من موحدي الأمم كلها، إذا ماتوا على كبائرهم، غير نادمين ولا تائبين، من دخل النار منهم، في الباب الأول من جهنم، لا تزرق أعينهم، ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين، ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران في النار، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، و صورهم على النار من أجل السجود، منهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً، ثم يخرج: ومنهم من يمكث فيها سنة، ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثًا، بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجوا منها، قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله، فنحن وأنتم اليوم في النار سواء، فيغضب الله لهم غضبًا لم يغضبه لشيء مما مضى، فيخرجهم إلى عين في الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر :٢]: خرجه ابن أبي حاتم وغيره. وخرجه الإسماعيلي مطولاً .

وقال الدارقطني في كتاب «المختلق» هو حديث منكر، واليمان مجهول، ومسكين ضعيف، ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هذا الحديث. انتهى.

وقد سبق حديث أنس، في الذي ينادي في النار ألف سنة: يا حنان يا منان ثم يخرج منها.

وروينا من طريق محمد بن معاوية ،حدثنا حازم ، عن الحسن ،قال : أهل التوحيد في النار لا يقيدون،فتقول الخزنة بعضهم لبعض:ما بال هؤلاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون ؟ ! فناداهم مناد : إن هؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد.

وقال مروان بن معاوية، عن مالك بن أبي الحسن، عن الحسن، (ق/ ٥٩ ب) قال: يخرج رجل من النار بعد ألف عام، قال الحسن: ليتني ذلك الرجل.

فصل
حسن الظن بالله تعالى

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك ؟ قال: لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أني كنت أحبه.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله» [1] بإسناده، عن علي بن بكار، أنه سئل عن حسن الظن بالله، قال: أن لا يجمعنك والفجار دار واحدة.

وعن سليمان بن الحكم بن عوانة، أن رجلاً دعا بعرفات، فقال: لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا.

قال: ثم بكى، وقال: ما إخالك تفعل بعفوك، ثم بكى، وقال: ولئن فعلت: فبذنوبنا.

لا تجمعن بيننا وبين أقوام ظلماء، عاديناهم فيك [2].

وعن حكيم بن جابر، قال: قال إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك.

قال ابن أبي الدنيا [3]: وحدثني أبو حفص الصيرفي، أن عمر بن [ذر][*]، رضي الله عنه، كان إذا تلا: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾

---

(١) برقم (١٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (١٢) .

(*) في الأصل والمطبوع « الخطاب » وهو خطأ ، والتصويب من كتاب « حسن الظن بالله»، وأبو حفص هنا هو الصيرفي شيخ ابن أبي الدنيا ، وهي كنية عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه أيضًا ، فظن بعض النساخ أنه أمير المؤمنين عمر ، والله أعلم .

(٣) في كتاب « حسن الظن بالله » (١٥) .

[النحل : ٣٨] قال: « ونحن نقسم بالله جهد أيماننا، ليبعثن الله من يموت، أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة »؟ !

ثم بكى أبو حفص بكاء شديداً .

وروى أبو نعيم بإسناده، عن عون بن عبد الله، قال: « ما كان الله لينقذنا من شر، ثم يعيدنا فيه: » ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وما كان الله ليجمع أهل قسمين في النار: ﴿وأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل : ٣٨] ، ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت.

وقال محمد بن إسحاق السراج: أنبأنا حماد بن المؤمل الكلبي، حدثني بعض أصحابنا، عن ابن السماك، قال: لما طلبني هارون الرشيد قال: تكلم وادع، فدعوت بدعاء فأعجبه، وقلت في دعائي: اللهم إنك قلت: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل ٣٨] اللهم إنا نقسم بالله جهد أيماننا لتبعثن من يموت، أفتراك يا رب، تجمع بين أهل القسمين في مكان واحد ؟

وهارون يبكي.



الباب التاسع
والعشرون في ذكر أكثر أهل النار

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة، هم الذين يخلدون فيها، ولهم أعدت، كما قال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٤].

وقد ذكرنا فيما تقدم، حديث أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **أما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها، ولا يحيون** » .

وهؤلاء أهلها الخالدون فيها، هم أكثر ممن يدخلها من عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها بعد أن يهذبوا وينقوا .

ويدل على ذلك ما روى أبو سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ، قال: « **يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فَيُنَادَى بصوت، إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار ، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال**: « من كل ألف ، أراه قال : (ق/١٦٠) **تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل، ويشيب الوليد**: ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج :٢] .

فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: **من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس، كالشعرة السوداء [في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء،]** (*) **في جنب الثور الأسود إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**. فكبرنا، ثم قال: **ثلث أهل الجنة**، فكبرنا، فقال: « **شطر أهل الجنة، فكبرنا**»، خرجاه في الصحيحين[1]، ولفظه للبخاري.

روى هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ **هذا المعنى**

(*) من صحيح البخاري .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ، ومسلم (٢٢٢) .

وفي حديثه: « **إنما أنتم جزء من ألف جزء** » خرجه الإمام أحمد [١] والحاكم [٢] وصححه.

وخرج الإمام أحمد [٣] والترمذي [٤] من حديث الحسن، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ هذا المعنى أيضًا، وفي حديثه قال النبي ﷺ: « **قاربوا وسددوا، فإنها لم تكن نبوة قط، إلا كان بين يديها جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم و الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في [جلد] [٥] البعير** ».

وفي رواية قال: « **اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده، إنكم لمع خليقتين، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس** » [٦].

وخرج ابن أبي حاتم، من حديث أنس، عن النبي ﷺ نحوه وفي حديثه: « **ومن هلك من كفرة الجن والإنس** » [٧].

فهذه الأحاديث وما في معناها، تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضاً على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل كلهم

---

(١) لم أجده في « المسند » ، ولم يذكره ابن جحر في إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي في رواية هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس .

(٢) في « المستدرك » (٤/ ٥٦٨) .

(٣) (٤/ ٤٣٢) .

(٤) برقم (٣١٦٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، قد روي من غير وجه عن عمران ابن حصين عن النبي ﷺ .

(٥) في الحاشية : جنب : « نسخة » .

(٦) أخرجها أحمد (٤/ ٤٣٥) ، والترمذي (٣١٦٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح.

(٧) وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ١١٢) وابن حبان (١٧٥٢ ـ موارد) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٦١٠) وقال الحاكم : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وصححه الضياء في « المختارة » (٢٤٨٣) .

في النار، إلا من لم تبلغه الدعوة، أو لم يتمكن من فهمها، على ما جاء فيهم من الاختلاف، والمتسبون إلى اتباع الرسل، كثير منهم من تمسك بدين منسوخ، وكتاب مبدل، وهم أيضاً من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود : ١٧].

وأما المتسبون إلى الكتاب المحكم، والشريعة المؤيدة، والدين الحق، فكثير منهم من أهل النار أيضًا، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وأما المتسبون إليه ظاهراً وباطنًا، فكثير منهم فتن بالشبهات، وهم أهل البدع والضلال.

وقد وردت الأحاديث بأن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة، وكثير منهم أيضاً فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار ـ وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها ـ فلم ينج من الوعيد بالنار، و يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة، إلا فرقة واحدة، وهي من كان (ق/ ٦٠ ب) على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ظاهراً وباطنًا، وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جداً ، لا سيما في الأزمان المتأخرة والقرآن يدل على أن أكثر الناس هم أهل النار، وهم الذين اتبعوا الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[سبأ : ٢٠] .

وقال تعالى: ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص : ٨٥].

فأما عصاة الموحدين، فأكثر من يدخل النار منهم النساء، كما في الصحيحين[١] ، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال في خطبة الكسوف: **«رأيت النار، ورأيت أكثر أهلها النساء، بكفرهن، قيل: أيكفرون بالله ؟ ! قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا ، قالت:« ما رأيت منك خيراً قط»**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩) ، ومسلم (٩٠٧) .

وفي صحيح مسلم [1] « عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: **اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

وخرج البخاري [2]، من حديث عمران بن حصين، عن النبي ﷺ مثله.

وخرجا في الصحيحين [3]، من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، أنه قال: « **يا معشر النساء، تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار** »، فقلن: « **ولم ذاك يا رسول الله** »؟ قال: « **تكثرن [اللعن]** [*] **وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن** ».

وخرج مسلم، من حديث جابر [4] وابن عمر [5] وأبي هريرة [6]، عن النبي ﷺ نحوه.

وخرجا في الصحيحين [7]، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء** ».

وخرج الإمام أحمد [8]، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ، قال: « **اطلعت في الجنة، فرأيت [أكثر]** [**] **أهلها الفقراء، واطلعت في**

---

(١) برقم (٢٧٣٧) .

(٢) برقم (٣٢٤١) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٨٨٩) بنحوه .

(*) في الأصل : « الشكاية » وما نقلته من صحيح البخاري ، وقد وردت في أحد طرق حديث جابر عند مسلم برقم (٨٨٥/ ٤) بلفظ : « الشكاة » .

(٤) برقم (٨٨٥) .

(٥) برقم (٧٩) .

(٦) برقم (٨٠) عن أبي سعيد وأبي هريرة .

(٧) أخرجه البخاري (٥١٩٦) ، ومسلم (٢٧٣٦) .

(٨) (٢/ ١٧٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦١) : رواه أحمد ، وإسناده جيد.

(**) من المسند .

النار فرأيت [أكثر] (*) أهلها الأغنياء والنساء».

وفي صحيح مسلم[1]، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، قال: «إن أقل ساكني الجنة النساء».

وقد أشكل على بعض الناس الجمع بين هذا الحديث، وبين حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، أنه قال في أهل الجنة: «لكل واحد منهم زوجتان».

وفي صحيح مسلم[2]، عن أيوب، عن ابن سيرين، قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا، الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟ فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم، ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة، على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب».

فرام بعضهم الجمع بين الحديثين، بأن قلة النساء في (ق/ ١٦١) الجنة، إنما هو قبل خروج عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها كان النساء حينئذ أكثر، والصحيح أن أبا هريرة أراد أن جنس النساء في الجنة أكثر من جنس الرجال، لأن كل رجل منهم له زوجتان، ولم يرد أن النساء من ولد آدم أكثر من الرجال.

ويدل على هذا، أنه ورد في بعض روايات حديث أبي هريرة هذا الصحيحة: «لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين» كذلك رواه يونس، عن محمد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ خرجه من طريقه الإمام أحمد[3].

وكذا رواه هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، خرج حديثه البيهقي[4].

(*) من المسند.

(١) برقم (٢٧٣٨).

(٢) برقم (٢٨٣٤) بمثله، وأخرجه البخاري (٣٢٤٦) من طريق ابي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، دون قول ابن سيرين وأبي هريرة الذي في حديث مسلم.

(٣) (٢/ ٥٠٧) من طريق هشام عن محمد به

(٤) في « البعث والنشور » (٣٧٠).

وخرج هذه اللفظة البخاري [1] في صحيحه، من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

ويشهد لذلك، أن في بعض ألفاظ روايات حديث أبي هريرة هذا، المخرجة في الصحيح أيضًا [2]: « **وأزواجهم الحور العين**» بدل قوله: « **لكل واحد منهم زوجتان**»، فهاتان الزوجتان من الحور العين، لا بد لكل رجل دخل الجنة منهم، وأما الزيادة على ذلك، فتكون بحسب الدرجات والأعمال، ولم يثبت في حصر الزيادة على الزوجتين شيء.

ويدل أيضًا على ما ذكرناه، ما خرجه مسلم في صحيحه [3]، من حديث أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: « **أدنى أهل الجنة منزلة، رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة**، فذكر الحديث، وفي آخره قال: **ثم يدخل بيته، فيدخل عليه زوجتان من الحور العين..**» وذكر الحديث.

وكذلك ورد في الشهيد، إذا استشهد أنه« **يبتدره زوجتان من الحور العين**»، فدل هذا على أن لكل رجل من أهل الجنة زوجتين من الحور العين [4]، ولو كان أدنى أهل الجنة منزلة، والله أعلم.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده، عن أبي صالح، قال: بلغنا أن أكثر ذنوب أهل النار في النساء، كأنه يشير في الزنا ومتعلقاته.

وروى ابن أبي الدنيا ، بإسناد منقطع، عن ابن مسعود، قال: « ذنبان لا يغفران، فذكر أحدهما، رجل زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فإن هذه التي يهلك فيها من يهلك من هذه الأمة » . يشير إلى الشبهات المضلة، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

---

(١) برقم (٣٢٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٧) ،ومسلم (٢٨٣٤) .

(٣) برقم (١٨٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧ ، ٤٢٧) ، وابن ماجه (٢٧٩٨) وقال في الزوائد : هذا إسناد ضعيف ، لضعف هلال بن أبي ذئب .

الباب الثلاثون
في ذكر صفات
أهل النار وأصنافهم وأقسامهم

قد سبق قول ابن مسعود، أنه لا يترك في النار سوى أربعة، وليس فيهم خير، وأخذه من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ [المدثر : ٤٣ : ٤٥] .

وفي الصحيحين [(١)]، عن « حارثة بن وهب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار ؟: كل عتل جواظ مستكبر**».

والعتل قال مجاهد وعكرمة: هو القوي.

(ق/٦١ب) وقال أبو رزين: هو الصحيح.

وقال عطاء بن يسار: عن وهب الذماري، قال: تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه معظمًا من الدنيا، ثم يكون ظلومًا غشومًا للناس، وذلك العتل الزنيم.

قال إبراهيم النخعي: العتل: الفاجر، والزنيم: اللئيم في أخلاق الناس.

وروى شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، أن رسول الله ﷺ، قال: « **لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم**. فقال رجل من المسلمين: ما الجواظ الجعظري والعتل الزنيم» ؟

فقال رسول الله ﷺ: **الجواظ: الذي جمع ومنع، وأما الجعظري: فالفظ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٨) ، ومسلم (٢٨٥٣) .

الغليظ، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]، وأما العتل الزنيم: فشديد الخلق، رحيب الجوف، مصحح، أكول شروب، واجد للطعام والشراب، ظلوم للناس»[١].

وروى معاوية بن صالح، عن كثير بن الحارث، عن القاسم مولى معاوية، قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم، قال: « هو الفاحش اللئيم».

قال معاوية: وحدثني عياض بن عبد الله الفهري، عن موسى بن عقبة، عن النبي ﷺ بذلك. خرجه كله ابن أبي حاتم.

وأما المستكبر، فهو الذي يتعاطى التكبر على الناس والتعاظم عليهم، وقد قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠].

وقد ذكرنا فيما سبق حديث « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، يساقون إلى سجن في النار، يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يغشاهم الذل من كل مكان»[٢].

فإن عقوبة التكبر الهوان والذل، كما قال الله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأحقاف : ٢٠].

وفي الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ، فيما يحكيه عن ربه عز وجل، قال: « الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهن ألقيته في جهنم»[٣].

وفي الصحيحين [٤]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٣) : رواه أحمد ، وإسناده حسن و إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ .

(٢) سبق تخريجه

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) بنحوه .

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم (٢٨٤٦) .

ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي،، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، وأما النار فلا تمتلئ حتى يضع عليها رجله، فتقول قط قط، فهنالك (ق/١٦٢) تمتلئ، وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة، فإن الله ينشيء لها خلقًا » .

وفي رواية خرجها ابن أبي حاتم: فقالت النار: « مالي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون والأشراف وأصحاب الأموال ؟».

وخرج الإمام أحمد [(١)]، من حديث أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال:« افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب، يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب، يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين» وذكر الحديث بمعنى ما تقدم.

وسبب هذا، أن الله عز وجل، حف الجنة بالمكاره، وحف النار بالشهوات، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ : ٤١].

وفي صحيح البخاري [(٢)]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: « حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات».

وخرجه مسلم [(٣)]، ولفظه: « حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

وخرجه أيضًا من حديث أنس [(٤)]، عن النبي ﷺ.

---

(١) (٣/ ١٣ ، ٧٨) قال الهيثمي في « المجمع » (٧/ ١١٢) : في الصحيح بعضه محالا على أبي هريرة ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات ، لأن حماد بن سلمة روى عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط .

(٢) برقم (٦٤٨٧) .

(٣) برقم (٢٨٢٣) .

(٤) برقم (٢٨٢٢) .

وخرجه الإمام أحمد [1]وأبو داود [2] والترمذي [3] من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة**»، **فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها، فنظر إليها وإلى ما أعد لأهلها، قال فرجع إليه، فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، فانظر إلى ما أعددت لأهلها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه، فقال: وعزتك، لقد خفت ألا يدخلها أحد، قال: فاذهب إلى النار فانظر إلى ما أعددت لأهلها، قال : فجاءها فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا ، فرجع إليه فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها فرجع إليها فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها**».

فتبين بهذا، أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعم بشهوات الدنيا والتكبر والتعاظم على الخلق، وهي صفات أهل النار التي ذكرت في حديث حارثة بن وهب، هي جماع الطغيان والبغي، كما قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق : ٦، ٧].

والطغيان وإيثار الحياة الدنيا وشهواتها من موجبات النار، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات : ٣٧ : ٣٩].

وأما الضعيف في البدن، والاستضعاف في الدنيا من قلة المال والسلطان، مع الإيمان فهو جماع كل خير، ولهذا يقال: من العصمة أن لا تجد، فهذه صفات أهل الجنة، التي ذكرت في حديث حارثة.

وقد روي نحو حديث حارثة، من وجوه متعددة، وفي بعضها زيادات.

(ق/٦٢ب)خرج الإمام أحمد [4] من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال:

---

(١) (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ٣٥٤) .

(٢) برقم (٤٧٤٤) .

(٣) برقم (٢٥٦٠) .

(٤) (٢/ ٥٠٨) .

ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال: **الضعفاء المغلوبون، ألا أنبئكم بأهل النار ؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **كل شديد جعظري، هم الذين لا يألمون رؤوسهم»**

ومن حديث سراقة بن مالك بن جعشم، أن النبي ﷺ، قال له :« **يا سراقة، ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أما أهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون»** [(١)].

ومن حديث عبد الله بن عمر، و عن النبي ﷺ، قال:« **أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»** [(٢)].

ومن حديث أنس، عن النبي ﷺ، قال: « **ألا أخبركم بأهل الجنة وأهل النار؟ أما أهل الجنة، فكل ضعيف متضعف أشعث، ذو طمرين لو أقسم على الله لأبره، وأما أهل النار، فكل جعظري جواظ جماع مناع ذي تبع** [(٣)] » .

وقد سبق تفسير الجعظري بالفظ الغليظ الجافي .

وخرج الطبراني [(٤)] من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: **ألا أخبركم بصفة أهل النار وأهل الجنة»** ؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: « **كل ضعيف متضاعف، ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بصفة أهل النار»؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: « **كل جظ جعظ مستكبر** . قال: فسألته ما الجظ ؟ قال: **الضخم** ، أما الجعظر قال: **العظيم في نفسه»** .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٥) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٣) : ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن فيه روا لم يسم .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٣) : ورجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٥) : وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٤) : وفيه ابن لهيعة ، وحديثه يعتضد

(٤) في « المعجم الأوسط » (٤٢٦٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٥) : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه عبد الله بن محمد بن أبي مريم ، وهو ضعيف .

وروى عثمان بن أبي العاتكة، عن أبي جعفر الحنفي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « **ألا أنبئكم بأهل النار** » ؟ قالوا: بلى، قال: **كل سمين ليس طيب الريح**».

وروى سليم بن عامر، عن فرات البهراني، عن أبي عامر الأشعري، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أهل النار؟ فقال: « **لقد سألت عن عظيم، كل شديد قعبري** » فقال: وما القعبري يا رسول الله ؟ قال: « **الشديد على العشيرة، الشديد على الأهل، الشديد على الصاحب**، قال: فمن أهل الجنة يا رسول الله ؟ فقال: « **سبحان الله ! لقد سألت عن عظيم، كل ضعيف مزهد** »[1].

وفي المعنى أحاديث أخر.

وفي صحيح مسلم [2] عن عياض بن حمار، أن النبي ﷺ، قال في خطبته: « **وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له**[3] **الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً**، (ق/ ١٦٣) **والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك** » وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش.

وفي هذا الحديث جعل النبي ﷺ أهل الجنة ثلاثة أصناف:

أحدها: ذو السلطان المقسط المتصدق، وهو من كان له سلطان على الناس فسار في سلطانه بالعدل، ثم ارتقى إلى درجة الفضل.

والثاني: الرحيم الرقيق القلب الذي لا يخص برحمته قرابته، بل يرحم

---

(١) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٧/ ١٢٨) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٨٠٢) .

(٢) برقم (٢٨٦٥) .

(٣) أي : لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي . وقيل : هو الذي لامال له . وقيل : الذي ليس عنده ما يعتمده . « نووي » .

المسلمين [عموماً] (*)، فهذان القسمان أهل الفضل والإحسان.

والثالث: العفيف المتعفف ذو العيال.

وهو من يحتاج إلى ما عند الناس وهو يتعفف عنهم، وهذا أحد نوعي الجود، أعني العفة عما في أيدي الناس، لا سيما مع الحاجة .

وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة ببذل الندى وكف الأذى، ولو كان الأذى بحق فقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤].

فهذا حال معاملتهم للخلق ثم وصف قيامهم بحق الحق فقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ . إلى آخر الآيتين [آل عمران : ١٣٥ ـ ١٣٦]

فوصفهم الله عند الذنوب بالاستغفار، وعدم الإصرار وهو حقيقة التوبة النصوح. وقريب من هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد : ١١ : ١٨].

والعقبة قد فسرها ابن عباس بالنار، وفسرها ابن عمر بعقبة في النار كما تقدم، فأخبر سبحانه أن اقتحامها، وهو قطعها و مجاوزتها، يحصل بالإحسان إلى الخلق، إما بعتق الرقبة، وإما بالإطعام في المجاعة، والمُطْعَمُ إما يتيم من ذوي القربى أو مسكين قد لصق بالتراب فلم يبق له شيء، ولا بد مع الإحسان أن يكون من أهل الإيمان، والآمر لغيره بالعدل والإحسان، وهو التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة، وأخبر سبحانه أن هذه الأوصاف أوصاف أهل الميمنة.

وأما أهل النار، فقد قسمهم النبي ﷺ خمسة أصناف:

(*) من المطبوع .

الصنف الأول: الضعيف الذي لا زبر له:

ويعني بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به في الآخرة من التقوى والعمل الصالح. وخرج العقيلي [1] من حديث (ق/ ٦٣ ب) أبي هريرة مرفوعًا « **إن الله يبغض المؤمن الذي لا زبر له** » . قال بعض رواة الحديث: يعني الشدة في الحق .

ولما حدث مطرف بن عبد الله بحديث عياض بن حمار هذا وبلغ إلى قوله: « **الضعيف الذي لا زبر له**" فقيل له: أو يكون هذا ؟ قال: نعم، والله لقد أدركتهم في الجاهلية، وإن الرجل ليرعى على الحي [ماله] [*]إلا وليدتهم يطؤها.

وقال ابن شوذب: يقال: إن عامة أهل النار كل ضعيف لا زبر له، الذين هم فيكم اليوم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً، خرجه عبد الله بن الإمام أحمد في الزهد.

وهذا القسم شر أقسام الناس، ونفوسهم ساقطة، لأنه ليس لهم همم في طلب الدنيا ولا الآخرة، وإنما همة أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له، وهو تبع للناس خادم لهم أو طواف عليهم سائل لهم.

الصنف الثاني: الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه:

يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها، ويدخل في ذلك التطفيف في المكيال والميزان لحقر التافه، وكذلك الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع وأموال اليتامى وغير ذلك وهي من خصال النفاق، وربما يدخل في الخيانة من خان الله ورسوله في ارتكاب المحارم سرًّا مع إظهار اجتنابها.

قال كثير من السلف: كنا نحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من

---

(١) في « الضعفاء الكبير » (٤/ ٢٤٦) وقال العقيلي عن مسمع بن محمد الأشعري : لايتابع عليه بهذا الإسناد ، ولا أحفظ هذا اللفظ إلا في حديث عياض بن حمار المجاشعي قال النبي ﷺ : « أهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له » . ونقل ابن حجر في اللسان (٧/ ٩٦ ـ طبعة الفاروق الحديثة) عن العقيلي أنه قال عن مسمع : لا يتابع فيه ، ولا يعرف بالنقل .

(*) في الأصل : مابه ، وما نقلته من المطبوع .

شيء [خفي له] (*).

الصنف الثالث: المخادع الذي دأبه صباحًا ومساءً مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم:

والخداع من أوصاف المنافقين، كما وصفهم الله تعالى بذلك، ومعناه إظهار الخير وإضمار الشر، لقصد التواصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من [جملة] (*) المكر والحيل المحرمة، وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار**» (1).

الصنف الرابع: الكذب والبخل:

ولم يحفظ الراوي ما قاله ﷺ في هذا حفظًا جيدًا ،والكذب والبخل خصلتان، .

وفي مسند الإمام أحمد (2) في هذا الحديث الكذب أو البخل بالشك، وقد قيل: إنه عدهما واحدًا ، كذا قاله مطر الورق وهو أحد رواة هذا الحديث.

والكذب والبخل، كلاهما ينشأ عن الشح، كما جاء في الحديث، والشح هو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة، وينشأ عنه البخل، وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في وجوهه التي أمر بها، فالمخادع الذي سبق ذكره هو الشحيح، وهذا الصنف هو البخيل، فالشحيح آخذ المال بغير حقه، والبخل منعه من حقه، كذلك روي تفسير الشح والبخل عن ابن مسعود وطاووس وغيرهما من السلف.

(*) من المطبوع .

(1) أخرجه ابن حبان (٥٦٧ ، ٥٥٥٩ ـ إحسان) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/ ١٠٢٣٤) ، وفي « الصغير » (٢/ ٣٧) برقم (٧٣٨) وقال الطبراني : لم يروه عن عاصم إلا الهيثم بن الجهم ، ولا عنه إلا ابنه عثمان .
وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٨٩) وقال : غريب من حديث عاصم ، تفرد به عثمان ولم نكتبه إلا من حديث الفضل بن الحباب .

(2) (٤/ ١٦٢) .

وفي الأثر إن الشيطان قال: مهما غلبني ابن آدم فلم يغلبني بثلاث: يأخذ المال من غير حله، أو ينفقه في غير وجهه، أو يمنعه (ق/ ١٦٤) من حقه.

وينشأ عن الشح أيضًا، الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة.

وفي الصحيح [١] عن النبي ﷺ، قال: « **إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار** ».

وفي المسند [٢] عن عبد الله بن عمر، و قال: سئل النبي ﷺ ما عمل أهل النار؟

قال: « **الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر وإذا كفر دخل النار** ».

الصنف الخامس: الشنظير:

وقد فسر بسيء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش، وفي الصحيحين [٣] عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، قال: « **إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه** ».

وفي الترمذي [٤]، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ « **إن الله يبغض الفاحش البذيء** ».

والبذيء هو الذي يجري على لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام.

وفي المسند [٥] عن النبي ﷺ، قال: « **بحسب امرئ من الشر أن يكون فاحشًا بذيئًا بخيلاً جبانًا** ».

فالفاحش هو الذي يفحش في منطقه ويستقبل الرجال بقبيح الكلام من السب ونحوه، ويأتي في كلامه بالسخف وما يفحش ذكره.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) مطولا ، ومسلم (٢٦٠٧) .

(٢) (٢ / ١٧٦) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٤) ،ومسلم (٥٩١)

(٤) برقم (١٩٧٧) بلفظ : « ليس المؤمن بالطعان ،ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء » وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد روي عن عبد الله من غير هذا الوجه .

(٥) (٤/ ١٤٥ ، ١٥٨).

فصل
في ذكر أول من
يدخل النار من عصاة الموحدين

خرج الإمام أحمد [١] من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد، وعبد مملوك لا يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير متسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله، وفقير فخور**».

وخرج الترمذي [٢] أوله وقال: حديث حسن.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النار، وضد الأصناف الثلاثة من أهل الجنة المذكورين في حديث عياض بن حمار، فإن السلطان المسلط ضد العادل المحسن، والغني الذي يمنع حق الله ضد الرحيم الرقيق القلب بذي القربى وكل مسلم، والفقير الفخور ضد المتعفف الصابر على شدة الفقر وضره.

وأوصاف هؤلاء الثلاثة هي: الظلم، والبخل، والكبر، والثلاثة ترجع إلى الظلم، لأن المسلط يظلم الناس بيده، والبخيل يظلم الفقراء بمنع حقوقهم الواجبة في ماله، والفقير الفخور يظلم الناس بفخره عليهم، بقوله، وأذاه لهم بلسانه.

وفي صحيح مسلم [٣]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في حديث طويل ذكر فيه المقاتل والقارىء والمتصدق الذين يراءون بأعمالهم،

---

(١) (٢/ ٤٢٥ ، ٤٧٩) .

(٢) برقم (١٦٤٢) .

(٣) برقم (١٩٠٥) .

وقال: «**أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة يا أبا هريرة**».

فقد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله، بأن هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار، وأولئك الثلاثة أول من يدخل النار وتسعير النار أخص (ق/ ٦٤ ب) من دخولها، فإن تسعيرها يقتضي تلهيبها وإيقادها، وهذا قدر زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة، لأن الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

وقد ورد أن فسقة القراء يبدأ بهم قبل المشركين، فروى عبد الملك بن إبراهيم الجدي، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز العمري، عن أبي طوالة، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «**الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان**»، فيقولون: «**يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من علم كمن لا يعلم**» خرجه الطبراني [1] وأبو نعيم [2] وقال: غريب من حديث أبي طوالة، تفرد به عنه العمري، انتهى.

والعمري هذا هو أبو عبد الرحمن الزاهد رحمه الله.

وقد ذكرنا، في الباب الخامس والعشرين، أحاديث متعددة في خروج عنق من النار يوم القيامة، تتكلم، وأنها تلتقط من صفوف الخلق: المشركين والمتكبرين وأصحاب التصاوير، وفي رواية «**ومن قتل نفسًا بغير نفس، فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام**».

وروى ابن عباس وغيره من السلف، أن ذلك يكون قبل نشر الدواوين ونصب الموازين.

---

(١) قال ابن حبان في المجروحين (١/ ٢١٠): وهذا خبر باطل، ما قاله رسول الله ﷺ، ولا أنس رواه، وأبو طوالة اسمه عبد الله بن الرحمن بن عمرو بن حزم الأنصاري، من ثقات أهل المدينة، ليس هذا من حديثه، فكان إلى أنه معمول أميل.

(٢) في «الحلية» (٨/ ٢٨٦). وقال العجوني في «كشف الخفاء» (١/ ٥٣٣) رواه الطبراني وأبو نعيم في «الحلية» عن أنس رضي الله عنه، والحديث منكر أو موضوع. وحكم على الحديث بالنكارة الذهبي في الميزان (٦/ ٥٦١ ـ علمية).

وجاء في حديث مرفوع، أن ذلك يكون قبل حساب الناس، والله سبحانه وتعالى أعلم.

تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه ، فالحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد وقع الفراغ من نسخه صبح الخميس رابع يوم من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام ، على يد الفقير إلى ربه ، المقر بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه وإحسانه صالح بن عبد العزيز بن مرشد ، غفر الله له ذنوبه ، وثبته على دينه، وأحسن له الخاتمة ، وغفر لوالديه وذريته وإخوانه وقرابته وجميع المسلمين والمؤمنات ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليمًا كثيراً ، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً .





المحجة في سير الدلجة



[ق/ ١ب] بسم الله الرحمن الرحيم

خرَّج البخاري ـ رحمه الله ـ في « صحيحه »[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لن يُنجِّيَ أحداً منكم عملُه** » .

قالوا : ولا أنتَ يا رسول الله ؟

قال : « **ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته ، سَدِّدوا وقاربوا واغدوا ورُوحوا وشيءٌ من الدُّلجة ، والقصدَ القصدَ تبلغوا** » .

وخرَّجه أيضًا[(٢)] في (موضع آخر)[(*)] في كتابه ، ولفظه : « **إنَّ هذا الدِّين يُسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلاَّ غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** » .

وخرج أيضًا[(٣)] من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « **سدِّدوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه (لا يُدخل الجنةَ أحداً عملُه)**[(**)] » . قالوا : ولا أنتَ يا رسول الله ؟

قال : « **ولا أنا إلاَّ يتغمدني الله (بمغفرة ورحمة)**[(***)] » .

وخرج أيضًا[(٤)] من حديثها عن النبي ﷺ قال : « **سدِّدوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدخل أحدَكم عملُه الجنة ، وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإنْ قلَّ** » .

اشتملت هذه الأحاديثُ الشريفةُ على أصلٍ عظيمٍ ، وقاعدةٍ مهمةٍ . ويتفرع عليها مسائلُ شتَّى من مسائِل السير والسلوك إلى الله تعالى في طريقه الموصل إليه.

---

(١) برقم (٦٤٦٣) .
(٢) برقم (٣٩) .
(*) مواضع آخر : « نسخة » .
(٣) برقم (٦٤٦٧) .
(**) (لن يَدخلَ الجنةَ أحد بعمله) : « نسخة » .
(***) بمغفرته ورحمته : « نسخة » .
(٤) برقم (٦٤٦٤) .

الأصل العظيم

أمَّا الأصلُ (فهو أنَّ عمل الإنسان لا يُنْجِيه) (*) من النَّار ولا يُدْخِله الجنَّة ، وإنَّ ذلك كلَّه إنما يحصل بمغفرة الله ورحمته .

وقد دلَّ القرآن العزيز على هذا المعنى في مواضعَ كثيرة كقوله تعالى : ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران : ١٩٥] . وقوله : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية [التوبة: ٢٢]، وقوله : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ⑪ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الصف : ١١ ـ ١٢] .

فَقَرَن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبينَ المغفرة والرحمة فدلَّ على أنه لا يُنال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته .

قال بعض السلف : الآخرة إمَّا عفو الله أو النار ، والدنيا إما عصمة الله أو الهلكة .

وكان محمد بن واسع يودع أصحابه عند موته ويقول : عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله .



(*) فإن الإنسان لا ينجيه عمله : « نسخة » .

بيان معنى الباء في الآية والحديث

فأما قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] ، وقوله : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤]، فقد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين :

أحدهما : أنَّ دخول الجنة (برحمته) (*) ، ولكن انقسام المنازل بحسب الأعمال .

قال ابن عيينة : كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقتسام المنازل بالأعمال .

والثاني : أنَّ الباء المثبتة ، في قوله تعالى : ﴿ **بما كنتم تعملون** ﴾ وقوله ﴿ **بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ ، باء السببية ، وقد جعل الله العمل سببًا لدخول الجنة .

والباء المنفية في قوله ﷺ : [ق/ ١٢] « **لن يَدخلَ أحدٌ الجنةَ بعمله** » ، باء المقابلة والمعاوضة ، والتقديرُ لن يستحقَّ أحدُ دخول الجنة بعمل يعمله . فأزال بذلك توهم من يتوهم أنَّ الجنة ثمن الأعمال ، وأنَّ صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة إلى صاحبها تسليم سلعته ، فنفى بذلك هذا التوهم ، وبيَّن أن العمل وإنْ كان سببًا لدخول الجنة ، فإنما هو من فضل الله ورحمته .

فصار الدخول مضافًا إلى فضل الله ورحمته ومغفرته ؛ لأنه هو المتفضل بالسبب والمسبَّب المرتَّب عليه ، ولم يبق الدخول مرتبًا على العمل نفسه .

وفي « الصحيح » [1] عن النبي ﷺ : « **إن الله تعالى يقول للجنة : أنتِ**

(*) برحمة الله : « نسخة » .

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم (٢٨٤٦) .

رحمتي أرحمُ بك مَنْ أشاء مِنْ عبادي » .

ما للعباد عليه حقٌّ واجـــــب   كلا ولا (سعي)(*) لديه ضائـع

إن عُذِّبو فبـــــعدلهِ أو نُعِّمُوا   فبفضله وهو الكريمُ الواســـع

* * *

(*) فضل : « نسخة » .

الحمد لله ثمن كل نعمة

فإن قيل : فقد روى حبيب بن الشهيد عن الحسن أنه قال : « الحمد لله ثمن كل نعمة ، ولا إله إلاَّ الله ثمن الجنة » .

وروي هذا المعنى مرفوعًا من حديث أنس [1] وأبي ذر وغيرهما ، وإن كان في (أسانيدها) (*) ضعف .

ويشهد لذلك قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١] . فجعل الجنة ثمنًا للنفوس والأموال .

فالجواب أنَّ الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته وكرمه ، ومنِّه وطَوْله ، خاطب عباده بما ندبهم إليه من طاعته على حسب ما يتعارفونه بينهم في تصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم .

وجعل نفسه مشتريًا منهم ومستقرضًا وجعلهم بائعين له ومقرضين ليكون ذلك أدعى إلى (استجابتهم) (**) لدعوته ومبادرتهم إلى طاعته، وإلاَّ ففي الحقيقة الكلُّ له (ومِلْكه) (***) ومن فضله وإحسانه ورحمته. فالنفوسُ والأموالُ كلُّها ملكٌ له ، كما أمرنا عند المصائب أن نقول : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

ومع هذا فقد مدح من بذل له نفسه وماله وجعله بائعًا له ومقرضًا ، كالذي

---

(١) أورده الديلمي في مسند الفردوس (٢٥٤٨ ، ولم أقف عليه عن أبي ذر .

(*) إسنادهما : « نسخة » .

(**) استجلابهم : « نسخة » .

(***) ملك : « نسخة » .

له ملكٌ يبيعه ويقرضه لغيره مِمَّن لا يملكه عليه كذلك الأعمالُ كلُّها من فضله ورحمته ، وقد مدح عليها ونسبها إلى عاملها وجعلها شكراً منهم لنعمه ومكافأةً لها .

***

بيان معنى النعم وأنّ الحمد منها

وقد روى ابن ماجه [1] من حديث أنس مرفوعًا : « **ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فقال : الحمد لله إلاَّ كان ما أُعْطِي أفضلَ مما أخذ** » .

وكذا قال عمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما من السلف .

وأُشكل ذلك على كثير من العلماء قديمًا وحديثًا، وعلى ما قررناه معناه ظاهرٌ، فإنَّ المراد بالنعم : النعم الدنيوية ، والحمد : من النعم الدينية .

والنعم الدينية [ق/ ٢ب] أفضل من النعم الدنيوية ، ولكن لمّا كان الحمد منسوبًا إلى العبد لفعله له ، وقيامه به ، جعله الله معطيًا لأعظم النعمتين ، مكافئًا بها للنعمة الأخرى .

ولهذا جاء في الأثر « الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافئ مزيده»[2] .

فبهذا الإعتبار يكون الحمد ثمنًا للجنة .

***

---

(١) برقم (٣٨٠٥) وقال في الزوائد : إسناده حسن ، شبيب بن بشر مختلف فيه .

(٢) أورده المنذري في الترغيب (٢٤٢٨ ـ دار الكتب العلمية) بلفظ : روي ، وعزاه للبخاري في « الضعفاء » .

الجنة والعمل من فضل الله تعالى

وعند تحقيق النظر فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ؛ ولهذا يقول أهل الجنة عند دخولها : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وبأسبابها من الهداية ، وحمدوا الله على ذلك كله جُوزُوا بِأَنْ نُودُوا : ﴿ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] فأضيف العمل إليهم وشُكروا عليه.

ونظير هذا ما قاله بعض السلف : إنَّ العبد إذا أذنب ثم قال : يارب أنت قضيت عليَّ ، قال له ربه : أنتَ أذنبت وأنت عصيت ، فإن قال العبد : يارب أنا أخطأت وأنا أسأت ، وأنا أذنبت .

قال الله : أنا قضيت عليك وقدرت ، وأنا أغفر لك .

***

الشقاء والسعادة بعدله ورحمته جلَّ وعلا

ومما يتحقق به معنى قول النبي ﷺ : « لَنْ يدخلَ أحدٌ الجنةَ بعمله » ، أو «لَنْ ينجّيَ أحداً عملُهُ » ، أن مضاعفة الحسنات إنما هي من فضل الله عز وجل وإحسانه ، حيث جازى بالحسنة عشراً ثم ضاعفها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . فهذا كله فضل منه ـ عز وجل ـ ، ولو جازى بالحسنة مثلها كالسيئات لم تقوَ الحسناتُ على إحباط السيئات ، فكان يهلك صاحبُ العمل لا محالة .

كما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في صفة الحسنات : إن كان وليًّا لله فَفَضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يُدخله بها الجنة ، وإن كان شقيًّا قال المَلَك : **يا رب فَنِيت حسناته وبقي له طالبون كثير ؟**

قال: **خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكًّا إلى النار** [1] .

فتبيَّن بهذا أن من أراد اللهُ سعادَتَهُ أضعفَ اللهُ له حسناته حتى يستوفي (منها)(*) الغرماء ، ويبقي له منها مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة ، وذلك من فضل الله ورحمته .

ومن أراد الله شقاوته وله غرماء لم تضاعف حسناته كما تضاعف لمن أراد الله سعادته ، [ق/ ١٣] بل يضاعفها عشراً فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها ، وتبقى لهم عليه مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها النار ، فهذا عدله (وذاك) فضله (**) .

ومن هنا قال يحيى بن معاذ : إذا بسط فضله لم يبق لأحد سيئة ، وإذا جاء

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤١٦) ، والطبري في تفسيره (٥ / ٨٩ ـ ٩٠) ، (١٩ / ٥٤ ـ ٥٥) ، وعزاه ابن كثير (١ / ٤٩٨) لابن أبي حاتم والطبري وقال : ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح.

(*) منه : « نسخة » .

(**) وذلك : « نسخة » .

عدله لم يبق لأحد حسنة .

وأيضًا ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من نُوقش الحساب هلك »[1]، وفي رواية « عُذِّب »[2] ، وفي رواية « خصم »[3] .

وخرَّج أبو نعيم[4] من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا : « **أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : قُلْ لأهل طاعتي من أمتك لا يتكلوا على أعمالهم فإني لا (أقاص) (*) عبدًا الحسابَ يوم القيامة أشاء أن أعذبه إلاَّ عذبته . وقل لأهل معصيتي من أمتك : لا يلقوا بأيديهم ، فإني أغفر الذنب العظيم ولا أبالي** .

وقال عبد العزيز بن أبي روَّاد : **أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود بشِّر المذنبين وأنذر المُصَّدقين : فكأنه عَجِبَ ، فقال : يا رب ، أبشر المذنبين وأنذر (المُصَّدقين) (**) ؟!**

قال : نعم ، بشِّر المذنبين أنه لا يتعاظمني ذنب أغفره، وأنذر المصدقين أني لا أضع عدلي وحسابي على (عبد) (***) إلاَّ هلك[5] .

قال ابن عيينة : المناقشة سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيء .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٩) ، ومسلم (٢٨٧٦ / ٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٦) ، ومسلم (٢٨٧٦ / ٧٩) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٦٢٣) .

(٤) في « الحلية » (٤ / ١٩٥) وقال : غريب من حديث أبي عبد الرحمن ، لم نكتبه إلا من حديث أبي داود الضمري ، تفرد به مختار ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٤٤) ، وقال : لا يروي هذا الحديث عن أبي عبد الرحمن السلمي ، إلا عبد الأعلى ، تفرد به عيسى بن مسلم ، ولا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٠٧): وفيه عيسى بن مسلم الطهوي، قال أبو زرعة: لين ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي يكتب حديثه ، وبقية رجاله ثقات إن شاء الله .

(*) من « الحلية » ، وفي نسخة : « أناضل » وعلى حاشيتها : « أناقش » . وفي نسخة : « أناض » وعلى حاشيتها : لعل الصواب « أقاضي » .

(**) الصادقين : « نسخة » .

(***) أحد : « نسخة » .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ١٩٥) وبين ابن أبي رواد وداود عليه السلام مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي .

وقال ابن زيد : الحساب الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو ، والحساب اليسير الذي تغفر ذنوبه وتقبل حسناته .

فتبين بهذا أنه لا نجاة للعبد بدون المغفرة والعفو والرحمة والتجاوز ، وأنه متى أقيم العدل المحض على عبد هَلك .

ومما يبين ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨]، فهذا يدلُّ على أن الناس يُسألون عن النعيم في الدنيا ، وهل قاموا بشكره أم لا ؟ فمن طولب بالشكر على كل نعمة من عافية وستر وصحةِ جسمٍ وسلامة حواسٍّ وطيب عيش واستُقصي (ذلك عليه) (*) ، لم تَفِ أعمالُهُ كلُّها بشكر بعض هذه النعم ، وتبقى [ق/ ٣ب] سائر النعم غير مقابلة بشكرٍ فيستحق صاحبها العذاب بذلك .

وخرَّج الخرائطي في « كتاب الشكر » [١] من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: « يؤتى بعبد يوم القيامة فيوقفُ بين يدي الله عز وجل (فيقول الله للملائكة)(**): انظروا في عمل عبدي (ونعمتي) (***) عليه . فينظرون فيقولون: ولا بقدر نعمةٍ واحدةٍ من نعمك عليه .

فيقول : انظروا في عمله سيِّئه وصالحه . فينظرون فيجدونه كفافًا ، فيقول : عبدي قد قبلتُ حسناتِكَ وغفرتُ لك سيئاتِكَ ، وقد وهبت لك (نعمي) (****) فيما بين ذلك » .

وخرَّج الطبراني [٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : « إنَّ الرجلَ يأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبلٍ لأثقله ، فَتَقْدُمُ النعمة من نعم الله

(*) على ذلك : « نسخة » .

(١) وأورده ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (ص ٢٤٤) بقوله : وروى الخرائطي بإسناد فيه نظر .

(**) فيقول للملائكته : « نسخة » .

(***) ونعمي : « نسخة » .

(****) نعمتي : « نسخة » .

(٢) في « المعجم الكبير » (١٢ / ١٣٥٩٥) ، وقال الهيثمي (١٠ / ٤٢٠) : فيه أيوب ابن عتبة ، وهو ضعيف .

فتكاد أن تستنفد ذلك ، إلاَّ أن يتطاول الله برحمته » .

وخرَّج ابن أبي الدنيا [1] من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا : « **يؤتى (بالنعم)** [*] **يوم القيامة ويؤتى بالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه : خذي حقَّك من حسناته ، فما تترك له حسنة إلاَّ ذهبت بها** » .

وبإسناده عن وهب بن منبِّه قال : عَبَدَ عابدٌ خمسين (عامًا) [**] ، فأوحى الله إليه : إني قد غفرت لك . قال : يارب (ولم لا) [***] تغفر لي ولم أذنب؟ فأذن الله لِعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصلِّ ، ثم سكن (ونام)[****] فأتاه ملك فشكى إليه ما لقي من ضربان العرق ، فقال المَلَك : إن ربك عز وجل يقول : عبادتك خمسين سنة تعدل سكون (ذا) [*****] العرق .

وفي صحيح [2] الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا عن جبريل عليه السلام : « **إنَّ عابداً عَبَدَ اللهَ - عز وجل - على رأس جبلٍ في البحر خمسمائة سنة ، ثم سأل ربه أن يَقْبِضَه ساجداً .**

قال جبريل : فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا، ونجد في العلم أنه (يُبعث)[******] يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الرب عز وجل: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي .

---

(١) في « كتاب الشكر » (٢٤) ، وأورده ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (ص٢٤٣) بقوله : بإسناد فيه ضعف .

(*) بالنعيم : « نسخة » .

(**) سنة : « نسخة » .

(***) وما : « نسخة » .

(****) وقام : « نسخة » .

(*****) ذلك : « نسخة » .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن سليمان بن هرم العابد من زهاد أهل الشام ، والليث بن سعد لا يروي عن المجهولين . وتعقبه الذهبي فقال : لا والله ، وسليمان غير معتمد .

(******) إذا بعث : « نسخة » .

فيقول العبد : بعملي يا رب ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

ثم يقول الله تعالى للملائكة : قايسوا عبدي بنعمي عليه وبعمله، فيجدون نعمة البصر قد أحاطت (بعبادته) (*) خمسمائة سنة ، وبقيت نعم الجسد له .

فيقول : أدخلوا عبدي النار .

فيُجر إلى النار فينادي (برحمتك يا رب أدخلني الجنة) (**) ، فيدخله الجنة .

قال جبريل : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد » .

***

(*) بعبادة : « نسخة » .

(**) برحمتك أدخلني الجنة ، برحمتك أدخلني الجنة : « نسخة » .

ما يجب على العبد معرفته

فمن حقق معرفة هذه الأمور ، عَرَفَ أنَّ العمل وإنْ عظم فإنه لا يستقل بنجاة العبد ، ولا يستحق به على الله دخول الجنة ، ولا النجاة من النار .

وحينئذٍ فيفلس العبد من عمله وييأس من الاتكال عليه ومن النظر إليه وإن كثر العمل وحسن .

فكيف بمن ليس له (كثير عملٍ) (*) ، وليس له عملٌ حسنٌ ؟

فإن هذا ينبغي أن يشغله الفكر في التقصير في عمله ، ويشتغل بالتوبة من تقصيره والاستغفار منه .

* * *

(*) عمل كثير : « نسخة » .

الاشتغال بالشكر أعظم النعم

فأما من حَسُن عمله وكثر ، فإنه ينبغي له أن يشتغل بالشكر عليه فإن ذلك من أعظم نعم الله على عبده .

فيجب مقابلته بالشكر عليه وبرؤية التقصير في القيام بشكره .

كما كان وهيب بن الورد إذا سُئل عن أجْرِ عملٍ من الأعمال يَقُول : لا تسألوا عن أجرِهِ ولكن سلوا عما يجب على من هُدِي له من الشكر عليه .

وكان أبو سليمان يقول : كيف يعجب عاقل بعمله ؟

وإنما يُعد العمل نعمةً من نعم الله عز وجل ، وإنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع ، إنما يعجب بعمله القدرية .

يعني : الذين لا يرون أن أعمال العباد مخلوقةٌ لله عز وجل .

***

العمل لا يوجب النجاة

وما أحسن ما قال أبو بكر النهشلي يوم مات داود الطائي وقام ابن السمَّاك بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله ويبكي ، والناس يبكونه ويصدقونه على مقالته ويشهدون بما يثني به عليه ، فقام أبو بكر النهشلي فقال : اللَّهم اغفر له وارحمه ولا تكله إلى عمله .

وفي « سنن أبي داود »(1) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا : « **لو عَذَّب الله أهلَ سماواته وأهلَ أرضه لعذبهم وهو غير ظالمٍ لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمتُهُ خيراً لهم من أعمالهم** » .

وفي « صحيح الحاكم »(2) عن جابرٍ رضي الله عنه : أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : واذُنوباه واذُنوباه . قالها مرتين أو ثلاثًا .

فقال رسول الله ﷺ : «**قل: اللَّهم مغفرتُكَ أوسعُ لي من ذنوبي ، ورحمتُكَ أرجى عندي من عملي**» . [ق/ ١٤]

فقالها ، ثم قال : « عد » فعاد ، ثم قال : « عد » فعاد فقال له : « **قم فقد غُفِرَ لك** » .

ذنوبي إن فكَّرتُ فيــــها كثيـرةٌ ... ورحمةُ ربي مِنْ ذنوبي أوسـعُ

وما طمعي في صالحٍ قد عملتُـــهُ ... ولكنني في رحمةِ اللهِ أطمـــعُ

* * *

---

(1) برقم (٤٦٩٩) .

(2) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١ / ٥٤٣ ـ ٥٤٤) . وقال : حديث رواته عن آخرهم مدنيون ممن لا يعرف واحد منهم بجرح ، ولم يخرجاه .

الاعتراف بفضل الله عز وجل

فإذا تقرر (هذا) (*) الأصل الشريف العظيم ، وعُلم أنَّ العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة ، فضلاً عن أن يوجب بنفسه الوصولَ إلى أعلى ما في الجنة من منازل المقربين ، والنظرَ إلى وجه ربٍّ العالمين ، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته .

فذلك يوجب على المؤمن أن يقطع نظره عن عمله بالكلية ، وأن لا ينظر إلا إلى فضل الله ومنّته عليه .

كما سُئل بعض العارفين : أي الأعمال أفضل ؟

قال : رؤية فضل الله عز وجل ، وأنشد :

إنَّ المقادير إذا ساعدتْ   ألحقَت العـاجزَ بالحازمِ

***

(*) ذلك : « نسخة » .

ما على العبد للفوز والنجاة

فيتعين حينئذٍ على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول الجنة ، وللقرب من مولاه والنظر إليه في دار كرامته ، أن يطلب ذلك بالأسباب الموصلة إلى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته .

فبها ينال ما عند الله من الكرامة.

إذ الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول إلى ذلك أسبابًا من الأعمال التي جعلها موصلةً إليها ، وليس ذلك موجوداً إلا فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله ، وأخبر عنه رسوله أنه يقرِّب إلى الله ويوجب رضوانه ومغفرته ، وأنه مما يحبُّه الله، أو أنَّه من أحبِّ الأعمال إلى الله عز وجل ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

فالواجب على العبد البحثُ عن خصالِ التقوى وخصال الإِحسان التي شرعها الله في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ، والتقرب بذلك إلى الله عز وجل فإنه لا طريق للعبد يوصله إلى رضى مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك.



بيان أحبِّ الأعمال إلى الله

وقد أشار النبي ﷺ في هذه الأحاديث المُشار إليها في أول الجزء من رواية عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما إلى أنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله عز وجل، شيئان :

أحدهما : ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلاً .

وهكذا كان عمل النبي ﷺ وعمل آله وأزواجه من بعده ، وكان ينهى عن قطع العمل .

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « **لا تكُنْ مثلَ فلانٍ كان يقومُ الليلَ فترك قيام الليل** » [1] .

وقال : « **يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَلْ فيقول : قد دعوت فلم يُسْتجب لي فيستحسر عند ذلك ويَدَع الدعاء** » [2] .

قال الحسن : إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداومًا على طاعة الله عز وجل فبغاك وبغاك ، فرآك مداومًا مَلَّكَ ورفضك ، وإذا رآك مرةً هكذا ومرةً هكذا طمع فيك .

والثاني : أنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير .

كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة : ٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢) ، ومسلم (١١٥٩ / ١٨٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠) ، ومسلم (٢٧٣٥ / ٩٢) .

وكان النبي ﷺ يقول : « **يسِّروا ولا تعسِّروا** » (1) .

وقال : « **إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين** » (2) .

وفي « المسند » (3) عن ابن عباس قيل لرسول الله ﷺ : أيُّ الأديان أحبُّ إلى الله عز وجل ؟ قال : « **الحنيفية السمحة** » .

وفيه أيضًا (4) عن مِحْجَن بن الأدرع أن النبي ﷺ دخل إلى المسجد فرأى رجلاً قائمًا يصلي فقال : « **أتراه صادقًا ؟** » .

فقيل : يا نبي الله هذا فلان ، هذا من أحسن أهل المدينة ، ومن أكثر أهل المدينة صلاة .

فقال : « (**لا تُسْمِعه**) (*) **فتُهلكه** - مرتين أو ثلاثًا - **إنكم أمة أُريد بكم اليسر** » .

وفي رواية أخرى له (5) قال : [ق/ ٤ب] « **إن خير دينكم أيسره** » .

وفي رواية أخرى له (6) قال : « **إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة** » .

وخرَّجه حُمَيد بن زنجويه وزاد فيه فقال : « **واكلفوا من العمل ما تطيقون فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا ، وعليكم بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة** » .

وفي « المسند » (7) عن بُريدة قال : خرجتُ فإذا رسول الله ﷺ يمشي ،

---

(1) أخرجه البخاري (٦٩) ، ومسلم (١٧٣٤) عن أنس مرفوعًا .

(2) أخرجه البخاري (٢٢٠) عن أبي هريرة مرفوعًا .

(3) (١ / ٢٣٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (١ / ٦٠) : رواه أحمد والطبراني في «الكبير »، و« الأوسط» ، والبزار وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع .

(4) في « المسند » (٥ / ٣٢) .

(*) لا تسمعوه : « نسخة » .

(5) في « المسند » (٤ / ٣٣٨) .

(6) في « المسند » (٤ /٣٣٧). وقال الهيثمي (٩ /٣٦٩) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(7) (٥ / ٣٥٠) ، وقال الهيثمي (١/ ٦٢) : رواه أحمد ورجاله موثقون .

فلحقته فإذا نحن بين (أيديَنا برجلٍ)(*) يصلي يكثر الركوع والسجود .

قال : « **أتراه يرائي ؟** »

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : (فترك)(**) يدي من يده ثم جمع بين يديه فجعل يصوّبهما ويرفعهما ويقول : « **عليكم هديًا قاصدًا ، عليكم هديًا قاصدًا ، عليكم هديًا قاصدًا فإنه من يشادَّ هذا الدين يغلبه** » .

وقد روي من وجه آخر مرسلاً ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « **إن هذا آخذ بالعسر ولم يأخذ باليسر** » ثم دفع في صدره فخرج من المسجد ولم يُر فيه بعد ذلك .

وقد أنكر النبي ﷺ على من عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل ، وصيام النهار ، وقراءة القرآن كل ليلة ، كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم ، وقال : « **ولكني أصومُ وأفطرُ ، وأقومُ وأنامُ ، وأتزوجُ النِّساءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي** » (1) .

وانتهى بعبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في كل سبع ، وفي رواية أنه انتهى به إلى قراءته في كل ثلاث ، وقال : « **لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث** » ، وانتهى به في الصيام إلى صيام داود ، وقال : « **لا صيام أفضل من ذلك** » ، وفي القيام إلى قيام داود عليه السلام (2) .



(*) يدي رجل : « نسخة » .

(**) غير واضحة بالنسختين الخطيتين ، ونقلتها من المسند .

(1) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) .

(2) أخرجه البخاري (٥٠٥٢) ، ومسلم (١١٥٩) .

معنى سدِّدوا وقاربوا

فقوله ﷺ في حديث أبي هريرة وعائشة : « **سَددوا وقاربوا** » المراد بالتسديد: العمل بالسَّداد ، وهو القصد ، والتوسط في العبادة فلا يقصرٍّ فيما أُمر به ، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه .

قال النضر بن شميل : السداد القصد في الدين والسبيل .

وكذلك المقاربة المرادُ بها التوسط بين التفريط والإِفراط فهما كلمتان بمعنى واحدٍ أو متقارب .

وهو المراد بقوله في الرواية الأخرى : « **وعليكم هديًا قاصداً** » .

قوله : «**وأبشروا** » يعني أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر ، فإنه يصل ويسبق الداثب المجتهد في الأعمال .

فإن طريقَ الاقتصاد والمقاربة أفضلُ من غيرها ، فمن سلكها فليبشر بالوصول فإنَّ الاقتصادَ في سنة خيرٌ من الاجتهاد في غيرها ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره .

وليست الفضائلُ بكثرة الأعمال البدنية ، لكن بكونها خالصةً لله عز وجل ، صوابًا على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها .

فمن كان بالله أعرف وبدينه وأحكامه وشرائعه ، وله أخوف وأحبَّ وأرجى فهو أفضلُ ممن ليس كذلك ، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح .

وإلى هذا المعنى الإشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي ﷺ : «**سدِّدوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدْخِل أحداً منكم عملُه الجنةَ ، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإنْ قل** » [1] .

فأمر بالاقتصاد في العمل وأن يضم إلى ذلك العلم بأحبِّ الأعمال إلى الله ، وبأن العمل وحده لا يُدخل الجنة .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤) .

بيان ما تفوَّق به الصحابة

ولهذا قال بعض السلف : ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره.

وقال بعضهم : الذي كان في صدر أبي بكر رضي الله عنه المحبة لله ورسوله والنصيحة لعباده .

وقال طائفة من العارفين : ما بلغ من بلغ بكثرة (صيام) (*) ولا صلاةٍ ولكن بسخاوة (الأنفس) (**) وسلامة الصدور والنصيحة للأمة .

زاد بعضهم : ويذم نفوسهم .

وقال آخر منهم :إنما تفاوتوا بالإرادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلوات.

وذُكر لأبي سليمان طولُ أعمار بني إسرائيل وشدة اجتهادهم في الأعمال ، وأنَّ من الناس من غبطهم بذلك .

فقال : إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده . أو كما قال .

وقال ابن مسعود لأصحابه : أنتم أكثر صومًا وصلاةً من أصحاب محمدٍ ﷺ، وهم كانوا خيراً منكم .

قالوا : وبما ذاك ؟

قال : كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة [١].

(*) صوم : « نسخة » .

(**) النفوس : « نسخة » .

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٥٠١) ، والحاكم في « مستدركه » (٤/ ٣٥٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٤) .

يُشير إلى أن الصحابة فاقوا من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة ورغبتهم فيها وإعراضهم عن الدنيا بتحقيرها وتصغيرها ، وإن كانت في أيديهم ، فكانت قلوبُهُم منها فارغةً ، وبالآخرة ممتلئةً .

وهذه الحال ورثوها من نبيهم ﷺ ، [ق/ ٥/أ] فإنَّهُ كان أَشَدَّ الخَلْقِ فراغًا بقلبه من الدنيا ، وتعلقًا بالله وبالدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره ، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا .

وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده ، وكذلك أعيان التابعين لهم بإحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز ،وقد كان في زمانهم من هو أكثر منهم صومًا وصلاةً ، ولكن لم يصل قلبُهُ إلى ما وصلت إليه قلوب هؤلاء من ارتحالها عن الدنيا وتوطُنها الآخرة .



قاعدة جليلة

فأفضل الناس من سلك طريق النَّبيِّ ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية ، فإنَّ سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان .

جاء رجلٌ إلى بعض العارفين فقال له : قطعتُ إليك مسافةً ،

فقال له : ليس هذا الأمر بقطع المسافات، فارِق نفسك بخطوةٍ وقد حصل لك مقصودك .

وقال أبو يزيد : رأيت ربَّ العزة في المنام فقلت له : يا ربِّ كيف الطريق إليك ؟

قال : اترك نفسك وتعالَ .

ما أُعْطِيتْ أمَّة ما أعطيت هذه الأمة ببركة متابعة نبيها ﷺ حيث كان أفضل الخلق ، وهديه أكمل الهدي ، مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع به من الآصار والأغلال عن أمته .

فمن أطاعه فقد أطاع الله ، وأحبه الله واهتدى بهدى الله .

❋ ❋ ❋

بيان جملة من التيسير في التشريع

فمن جملة ما حصل لأمته ببركته وتيسير شريعته أنَّ : « **من صلى منهم العشاء في جماعةٍ فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله** » (١) .

فيكتب له قيام ليلة وهو نائم على فراشه ، لا سيما إن نام على طُهرٍ وذِكرٍ حتى تغلبه عيناه .

و « **من صام منهم ثلاثة أيامٍ من كُلِّ شهرٍ فكأنما صام الشهر كله** » (٢) ، فهو صائم [لبقية] (*) الشهر في مضاعفة الله ، ومفطر له في رخصة الله ، و« **الطاعمُ الشاكرُ له أجرُ الصائمِ الصَّابرِ** » (٣) .

ومن نوى أن يقومَ من الليل فغلبته عيناه فنام كُتبَ له ما نوى ، وكان نومه عليه صدقةً .

وقال أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يسبقون سهر الجاهلين وصيامهم (٤) .

ولهذا جاء في الحديث الصحيح : « **رُبَّ قائم حظُّه من قيامه السهر ، وصائم**

---

(١) أخرجه « مسلم » (٦٥٦) عن عثمان بن عفان مرفوعًا .

(*) في الأصل : « لنفسه » ، والمثبت من المطبوع .

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٩) ، ومسلم (١١٥٩/ ١٨٧) بنحوه عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا .

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٢٨٩) والترمذي (٢٤٨٦) وابن ماجه (١٧٦٤) وابن خزيمة (١٨٩٩) عن أبي هريرة .

وأخرجه أحمد (٤ / ٣٤٣) ، والدارمي (٢٠٣٠) ، وابن ماجه (١٧٦٥) عن سنان بن سنة مرفوعًا أيضًا .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١١) .

حظه من صيامه الجوع والعطش». [رواه الطبراني [١] وأحمد بن حنبل] [٢] [*].

وقال بعضهم : كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا مستغفر وقلبه فاجر ،وهذا ساكت وقلبه ذاكر .

وقال بعضهم : ليس الشأنُ فيمن يقوم الليل ، إنَّما الشأن فيمن ينام على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب .

وفي ذلك قيل :

من لي بمثل سيركَ المـــــدللِ　　تمشي رويداً وتجي في الأولِ

***

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢ / ١٣٤١٣) ،وقال الهيثمي (٣ / ٢٠٢) : رواه الطبراني في « الكبير » ورجاله موثقون .

(٢) في « مسنده » (٢/ ٣٧٣) .

(*) من المطبوع .

معنى الغدوة والروحة وأوقاتها وفضائلها

قوله ﷺ : « اغدوا وروحوا وشيء من الدُّلجة » ، كقوله في الرواية الأخرى : « استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .

يعني أن هذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات وهي آخر الليل وأول النهار وآخره .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الأوقات في قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ . [الإنسان : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ .[طه : ١٣٠]

وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ [ق : ٣٩ ، ٤٠].

وذكَرَ الله تعالى الذِّكر في طرفي النهار في مواضع كثيرة من كتابه ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ [الأحزاب : ٤١ ، ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [ق/ ٥ب] [غافر : ٥٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢] . وقال تعالى - في ذِكْرِ زكريا عليه السلام : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١] وقال تعالى : ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان وهما أول النهار وآخره يجتمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع ، فأما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما أفضل الصلوات الخمس ، وهما البَرْدان اللذان من حافظ

عليهما دخل الجنة ، وقد قيل في كل منهما أنها الصلاة الوسطى .

وأما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس .

وقد ورد في فضله نصوص كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء ، وفي فضل من ذَكَر اللهَ حين يصبح وحين يمسي .

وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعًا : « **ابن آدم اذكرني ساعةً من أول النهار وساعةً من آخره أغفر لك ما بين ذلك إلاَّ الكبائر أو تتوب منها** » (١) .

وكان السلف لآخِرِ النهار أشد تعظيمًا من أوَّله .

قال ابن المبارك : بلغنا أنه من ختم نهاره بذكر الله كُتب نهاره كله ذكراً .

وقال أبو الجَلْد : بلغنا أنَّ الله تعالى ينزل مساءً كل يوم إلى السماء الدنيا ينظر إلى أعمال بني آدم .

ورأى بعض السلف أبا جعفر القارئ في المنام فقال له : قل لأبي حازم - يعني الأعرج الزاهد الكيِّس إنَّ الله وملائكته يتراؤن مجلسك بالعشيات .

والظاهر أن أبا حازم كان يقصُّ على الناس آخر النهار .

وقد جاء في الحديث : « **إنَّ الذِّكر بعد الصبح (أحبُّ) (*) من أربع رقابٍ، وبعد العصر أحبُّ من ثمان رقابٍ** » (٢) .

وأيضًا فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله لِمَا يُرجى في آخره من ساعة الإِجابة.

---

(١) لم أقف عليه .

(*) أفضل : « نسخة » .

(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٥٦٢) ، (٥٦٣) عن أنس مرفوعا ، وعن رجل من أهل بدر (٥٦٤) بنحوه .

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٣ ، ٢٥٥) والطبراني في الكبير (٨/ ٨٠٢٨) عن أبي أمامة مرفوعًا بنحوه .

وقال الهيثمي (١٠/ ١٠٤) : رواه أحمد والطبراني وأسانيده حسنة .

ويوم عرفة آخره أفضل من أوله ؛ لأنه وقت الوقوف ، وكذلك آخر الليل أفضل من أوله .

كذا قال السلف ، واستدلوا بحديث النزول الإلهي [(١)] .

وهذا كله مما يُرجح به قول من قال إن صلاة العصر هي الوسطى .

وأما الوقت الثالث فهو الدُّلجة .

والإدلاج : سير آخر الليل ، والمراد به ها هنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧]، وقال تعالى : ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨] .

وهو آخر أوقات النزول الإلهي المتضمن لاستعراض حوائج السائلين ، واستغفار المذنبين ، وتوبة التائبين ، وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم ، وآخر الليل للمذنبين يستغفرون (من ذنوبهم) [(*)] .

من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقلَّ من مشاركة المذنبين في الاعتذار .

ورد في بعض الآثار : أن العرش يهتز من السَّحَر .

قال طاووس : ما كنت أظن أن أحداً ينام في السحر .

وفي الحديث الذي خرَّجه الترمذي [(٢)] : « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل** » .

سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا .

ولهذا في الحديث الذي خرَّجه مسلم [(٣)] : « **إذا سافرتم فعليكم بالدُّلجة فإنَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة مرفوعًا : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له** » .

(*) لذنوبهم : « نسخة » .

(٢) برقم (٢٤٥٠) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر .

(٣) لم أجده في مسلم، وأخرجه أبو داود (٢٥٧١)، وابن خزيمة (٢٥٥٥) عن أنس مرفوعًا. وأخرجه أحمد (٣ / ٣٠٥ ، ٣٨١) ، وأبو داود (٢٥٧٠) ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٥) ، وابن ماجه (٣٢٩) ، (٣٧٧٢) ، وابن =

الأرض تطوى بالليل » .

قال بعض الفضلاء :

اصبر على مضض الإدلاج في السَّحَـر وفي الرَّواح على الطَّاعَات والبُكَـرِ

لا تَضجَرَنَّ ولا يعُجزكَ مطلبهـــــا فالهمُّ يتلَف بين اليأس والضجَـــرِ

إني رأيتُ وفي الأيـام تجربـــــةٌ للصـبر عاقبةٌ محمــــودة الأثرِ

وقل مَنْ جدَّ في أمْرٍ تَطـــــلبَّه واستَصْحَبَ الصَّبر إلاَّ فـازَ بالظـفرِ

وقد روي أن الأشتر دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي .

فقال : يا أمير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك !

فلما فرغ من صلاته قال : سفر الآخرة طويلٌ يحتاج إلى قطعه بسير الليل وهو الإِدلاج .

كانت امرأة حبيب بن محمد الفارسي توقظه بالليل وتقول : قم يا حبيب ؛ فإنَّ الطريق بعيدٌ وزادنا قليلٌ ، وقوافل الصالحين قد سارت من بين أيدينا ونحن قد بقينا .

يا نائمًا بالليل كم ترقـد قُم يا حبيبي قد دنا الموعدُ

وخُذ من الليل أوقـاتـه وردًا إذا ما هَجَعَ الرُّقَّـدُ

من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل لو يجهـــدُ

* * *

= خزيمة (٢٥٤٨) ، (٢٥٤٩) ، عن جابر مرفوعًا ضمن حديث طويل .

معنى القصد في السير

وقوله ﷺ : « القصد القصد تبلغوا » حثٌّ على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ، ولذلك كرره مرةً بعد مرةٍ .

وفي « مسند البزَّار » [(١)] من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا : « **ما أحسن القصد في الفقر ، وما أحسن القصد في الغني ، وما أحسن القصد في العبادة** » .

وكان مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ابنٌ قد اجتهد في العبادة ، (ق/ ٦٦) فقال له أبوه : خير الأمور أوسطها ، الحسنة بين السيئتين ، وشرُّ السير الحقحقة . قال أبو عبيد: يعني أن الغلوَّ في العبادة سيئة، والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنةٌ.

قال : والحقحقة أن يلحَّ في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعًا به سفره ، انتهى .

ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا :

« **إنَّ هذا الدينَ متينٌ فأوغلْ فيه برفقٍ ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإنَّ المنبتَّ لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى، فاعمل عملَ امرئٍ يظن أنه لن يموت إلاَّ هَرِمًا ، واحذر حذر امرئٍ (يخشى) (*) أن يموت غداً** » . أخرجه حُمَيْد بن

---

(١) برقم (٢٩٤٦) ، وقال : وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن حذيفة إلا بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٥٢) : رواه البزار من رواية سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب ، ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الرواي عنه ، وبقية رجاله ثقات .

(*) يحذر : « نسخة » .

زنجويه[1] وغيره .

وفي تكرير أمره بالقصد إشارة (إلى) (**) المداومة عليه ، فإن شدة السير والاجتهاد مظنةُ السآمةِ والانقطاع ، والقصد أقرب إلى الدوام ، ولهذا جعل عاقبةَ القصد البلوغَ كما قال : « من أدلج بلغ المنزل » .

فالمؤمن في الدنيا يسيرُ إلى ربه حتى يبلغَ إليه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] ، وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] .

قال الحسن : يا قوم ، المداومةَ المداومةَ فإنَّ الله يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ، ثم تلا هذه الآية .

وقال أيضًا : نفوسكم مطاياكم فأصلحوا مطاياكم تُبلِّغكم إلى ربكم عز وجل .

والمرادُ بإصلاح المطايا : الرفقُ بها ، وتعاهُدها بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها ، فإذا أحسَّ منها بتوقفٍ في السير تعاهدها تارةً بالتشويق ، وتارةً بالتخويف حتى تسير .

قال بعض السلف : الرجاء قائدٌ والخوف سائقٌ ، والنفس بينهما كالدابة الحَرُون [2] .

فمتى فتر قائدها وقصَّر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بها والحدو لها حتى يطيب لها السير .

كما قال حادي الإبل بالبوادي :

بَشَّرها دليلها وقال لها   غداً ترَيْن الطلح والجبالا

---

(١) وأخرجه البيهقي في « السنن الكبير » (٣/ ١٩) .

(**) على : « نسخة » .

(٢) الدابة الحرون : هي التي إذا استدر جريها وقفت لسان العرب (١٣/ ١١٠) .

ولما كان الخوف كالسَّوط فمتى ألحَّ بالضرب بالسوط على الدابة تلفت ، فلا بد لها الضرب من حادي الرجاء ، يطيِّب لها السير بحدائه حتى تقطع .

قال أبو يزيد : ما زلت (أقودُ) (*) نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سُقتُها وهي تضحك .

كما قيل :

إذا شكتْ من كَلالِ السير أو عدها روحَ القدومِ فتحيا عندَ ميعادِ

***

(*) أسوق : « نسخة » .

سلوك صراط الله عز وجل

قال خليدٌ العَصَريُّ : إنَّ كلَّ حبيبٍ يحب أنْ يلقى حبيبه ، فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيراً جميلاً لا مصعداً ولا مميلا .

فغاية السير يوصل المؤمن إلى ربه ، ومن لا يعرف الطريق إلى ربه لم يسلك إليه فيه ، فهو والبهيمة سواء .

قال ذو النون : السفلة من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرَّفه .

والطريقُ إلى الله هو سلوكُ صراطِهِ المستقيمِ ، الذي بعث الله به (رسوله)(*) وأنزل به (كتابه) (**) ، وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : الصراطُ المستقيم ، تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه الجنة ، وعن يمينه جوَادٌ ، وعن يساره جوَادٌ ، وثم رجال يدعون من مرَّ بهم ، فمن أخذ في تلك الجَوَادِّ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه ﴾ [الأنعام : ١٥٣] خرجه ابن جرير[1] وغيره [2].

فالطريقُ الموصلُ إلى الله واحدٌ ، وهو صراطُهُ المستقيمُ ، وبقيَّةُ السُّبلِ كلُّها سبل الشيطان ، مَنْ سلكها قطعت به عن الله ، وأوصلته إلى دار سَخَطه وغضبه وعقابه .



(*) رسله : « نسخة » .

(**) كتبه : « نسخة » .

(١) في تفسيره (٨/ ٨٩) .

(٢) وأخرجه أحمد (١/ ٤٣٥ ، ٤٦٥) ، وابن ماجه (١١) والحاكم (٢/ ٣١٨) .

الأعمال بالخواتيم

فربما سلك الإنسان في أول أمره على الصراط المستقيم ، ثم ينحرف عنه في آخر عُمُره فيسلك بعض سبل الشيطان فينقطع عن الله فيهلك ، « **إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكونَ بينه وبينها إلاَّ ذراعٌ أو باعٌ ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلَ النار** » [1] .

وربما سلك الرجل أولاً بعض سبل الشيطان ثم تدركه السعادة فيسلك الصراط المستقيم في آخر عمره فيصل به إلى الله .

والشأن كل الشأن في الاستقامة(ق/ ٦ب) على الصراط المستقيم من أول السير إلى آخره ، ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [الجمعة : ٤] .

﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ . [يونس : ٢٥] .

ما أكثر من يرجع أثناء الطريق أو ينقطع ، فإنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

خَلِيليَّ قُطَّاع (الفيافي إلى الحما) (*)   كثير وأما الواصلون قليل

***

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ،ومسلم (٢٦٤٣) .

(*) الطريق إليكما : « نسخة » .

فضل تقرب العبد إلى الله عز وجل

وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله عز وجل : « من تقرّب مني شبراً تقربت منه ذراعًا ، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » [1].

وفي « المسند» [2] : « والله أعلى وأجل، والله أعلى وأجل، والله أعلى وأجل».

وفيه أيضًا [3] ، يقول الله : « يابن آدم قم إليّ أمشِ إليك ، وامش إليّ أهرول إليك » .

مَنْ أَقْبَلَ إلينا تَلَقَّيناه من بعيد ومن أراد مرادنا أردنا مـا يُريد

ومن سألنا أعطيناه فوق المزيد ومن عمل بقوّتنا ألنَّا له الحديد

يا هذا لو أنك قصدت باب والي الشُّرطة ، لَمَا أقبل إليك ولا تلقَّاك ، وربما حجبك عن الوصول إليه وأقصاك ، وملك الملوك يقول : « من أتاني يمشي أتيته (هرولة) (*) » .

وأنت عنه معرضٌ وعلى غيره مقبلٌ ، لقد غُبنت أفحشَ الغبن وخسرت أكبر الخسران .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٥٥) وهو ضمن الحديث السابق : « من تقرب إلى الله عز وجل شبراً . . الحديث » .

وقال الهيثمي (١٠/ ١٩٧) : رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن .

(٣) (٣/ ٤٧٨) بإسناده عن شريح قال : سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: . . . فذكره .

وقال الهيثمي (١٠/ ١٩٦ ـ ١٩٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير شريح ابن الحارث ، وهو ثقة .

(*) أهرول : « نسخة » .

والله ما جئتكم زائراً إلا وجدتُ الأرض تُطوى لي

ولا ثَنيت العزم عن بابكم إلاَّ تعثرتُ بأذيالي

يا معشر المريدين قد وضح الطريق فما هذا التأخر عن السلوك والتعويق ؟

لقد وضح الطريقُ إليكَ حقًّا فما خَلْقٌ أرادكَ يستدل

﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ . [الأحقاف : ٣١] .

يا نفسُ ويحكِ قد أتاكِ هداكِ أجيبي فهذا داعي الله قد ناداكِ

كم قد دعيتِ إلى الرشاد فتُعْرضي وأجبتِ داعي الغيِّ حين دعاكِ

* * *

أنواع الوصول إلى الله تعالى

الوصول إلى الله نوعان : أحدهما في الدنيا ، والثاني في الآخرة .

فأما الوصول الدنيوي فالمراد به :

أنَّ القلوبَ تصل إلى معرفته ، فإذا عرفته أحبته ، وأنِست به ، فوجدته منها قريبًا ولدعائها مجيبًا .

كما في بعض الآثار: « ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدتَ كلَّ شيء، وإن فتُّكَ فاتك كل شيء » .

برزَ المرسوم منــــا   لا نُخيب قَط ظنــــا
فاطلبونا تجدونــــا   في قلوب قــد تسعنا
صابرات راضيــــات   بالذي قد يصدر عنّــا

كان ذو النون يخرج بالليل فيردد نظره في السماء ويردد هذه الأبيات حتى يصبح وهي هذه :

اطلبوا لأنفسكــــم   مثل ما وجدت أنا
قد وجــدتُ سكنًــا   ليس في هواه عنّـا
إنْ بعدتُ قربنــــي   أو قربت منــه دنا

وأما الوصولُ الأخرويُّ فالدخولُ إلى الجنة التي هي دارُ كرامةِ الله لأوليائه .

ولكنهم في درجاتها متفاوتون في القرب بحسب تفاوت قلوبهم في الدنيا في القرب والمشاهد بحسب تفاوت قلوبهم في الدنيا في القرب والمشاهدة .

قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾

[الواقعة : ٧ : ١١] .

كان الشبلي يهيج في داره وينشد يقول :

على بُعدكم لا صبــــــر   على مَنْ عادته القــــربُ

ولا يقوى على حجبــــك   من تيَّمه الحــــــبُّ

فإنْ لم ترَكَ العيــــــن   فقد (أبصركَ) (*) القلــبُ

* * *

(*) يبصرك : « نسخة » .

حال من التزم الإِسلام أو الإيمان أو الإِحسان

الصراط المستقيم في الدنيا يشمل على ثلاثة درجات : درجة الإِسلام ، ودرجة الإِيمان ، ودرجة الإِحسان .

فمن سلك درجة الإِسلام إلى أن يموت عليها منعته من الخلود في النار ، ولم يكن له بُدٌّ من دخول الجنة ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه .

ومن سلك على درجة الإيمان إلى أن يموت عليها منعته من دخول النار بالكلية ، فإنَّ نورَ الإِيمان يطفئ لهب نار جهنم حتى تقول : « **يا مؤمن جُز فقد أطفأ نوركُ لهبي** » (١) .

وفي « المسند » (٢) عن جابر مرفوعًا : « **لا يبقي برٌّ ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجًا من بردهم** » .

هذا ميراثٌ ورثه المحبوب من حال أبيهم إبراهيم عليه السلام .

ففي فؤاد المحبِّ نارُ (هوى) (*) حـر نـــارِ الجحيـــم أبردُهـــا

ومن سلك (ق / ١٧) على درجة الإحسان إلى أن يموت عليها ، وصل بعد

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٦٦٨) عن يعلى بن منية مرفوعًا .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٠) : رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف.
وقال المصنف في « التخويف من النار » ص ١٨٤ : غريب وفيه نكارة .
وقد سبق تخريجه في موضعين آخرين .

(٢) (٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩) ، وقال الهيثمي (٧/ ٥٥) : ورجاله ثقات ، وقال ابن كثير في « تفسيره » : غريب ولم يخرجوه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦١٥٦) .

(*) جوى : « نسخة » .

الموت إلى الله ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] .

وفي الحديث الصحيح : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ نادي منادٍ : يا أهلَ الجنةِ إنَّ لكم عندَ اللهِ موعداً يريد أن ينجزكموه .

فيقولون : ما هو ؟

ألم يبيِّض وجوهنا؟ ألم يثقِّل موازيننا ؟ ألم يُدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟

فيَكْشِفُ الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبّ إليهم ، ولا أقرَّ لأعينهم من النظر إليه». وهو الزيادة ثم تلا: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [(١)].

كلٌّ أهل الجنة يشتركون في الرؤية لكن يتفاوتون في القرب في حال الرؤية وفي أوقات الرؤيا .

عموم أهل الجنة يرون يوم المزيد وهو يوم الجمعة ، وخواصهم (ينظرون إلى وجه الله) [(*)] كل يوم مرتين بكرةً وعشيًّا .

عموم أهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا ، وخواصهم يرون الله بكرةً وعشيًّا .

العارفون لا (يسليهم) [(**)] عن محبوبهم قصرٌ ولا يرويهم دونه نهرٌ .

كان بعضهم يقول : إذا جعتُ فَذِكْرُهُ زادي ، وإذا عطِشتُ فمشاهدته سُؤْلي ومرادي .

رُؤِي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حال رجلين من العلماء ؟ فقال : تركتهما الآن بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان ويتنعمان .

قيل له فأنت ؟

قال : علِمَ قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظرَ إليهِ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١) بنحوه ، والترمذي (٢٥٥٢) ، وابن ماجه (١٨٧) بلفظه .

(*) يرون وجهه : « نسخة » .

(**) يلهيهم : « نسخة » .

أنت ربِّي إذا ظمأت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما

وفي « المسند »[1] عن ابن عمر مرفوعًا « إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً لمن ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلةً لينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كلَّ يومٍ مرتين » .

وخرَّجه الترمذي[2] ولفظه . « إنَّ أدنى أهلِ الجنة منزلةً لَمَن ينظر إلى جنانه وأزواجه (ونعيمه)[*] وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمُهُم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيًا » ، ثم قرأ رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] .

ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح ، عن جرير بن عبد الله البَجَلي : « إنكم لترون ربكم يومَ القيامةِ كما ترون هذا القمرَ ليلةَ البدرِ لا تُضامون في رؤيته » .

قال : « فإن استطعتم أن لا تُغلبوا عن صلاة قبل طلوعِ الشمسِ وقبل غروبها فافعلوا » . ثم قرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩][3] .

* * *

---

(١) (٢/ ١٣) ، وقال الهيثمي (١/ ٤٠١) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه .

(٢) برقم (٢٥٥٣) وقال : وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل ، عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا .

ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا .

ورواه عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه اهـ .

ورواه الترمذي أيضًا (٣٣٣٠) وقال : هذا حديث غريب

(*) ونعمه : « نسخة »

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٤) ، ومسلم (٦٣٣)

فضل وَقْتَي الغَدَاة والعَشِي والمقصود بهما

لـمَّا كان هذانِ الوقتان في الجنة وقتين للرؤية في حقّ خواصٍّ أهلِ الجنة ، حضّ ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا

فمن حافظ على هاتين الصلاتين في الدنيا في هذين الوقتين وصلاًهما على أكمل وجوههما وخشوعهما وحضورهما وآدابهما ، فإنه يُرجى له أن يكون ممن يرى اللهَ في هذينِ الوقتين في الجنة .

لا سيما إنْ حافظ بعدهما على الذكر وأنواع العبادات حتى تطلع الشمس أو تغرب، فإن وصل العبدُ ذلك بدلجة آخرِ الليلِ فقد اجتمع له السير في الأوقات الثلاثة، وهي: الدلجة، والغدوة، والروحة فيوشك أن يعقبه الصدق في هذا السير، الوصول الأعظم إلى ما يطلبه ﴿ في مقْعد صدقٍ عند مليك مُقْتدرٍ ﴾ [القمر ٥٥]

من لزم الصدق في طلبه أدّاه الصدقُ إلى مقعدِ الصدق ﴿ وبشر الَّذين آمنوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عند ربِّهِمْ ﴾ [يونس . ٢]

المحبُّ لا يقطع السؤال عمن يحب ، ويتجسس الأخبار ، (ويتنسم) (*) الرياح ، ويستدل بالآثار لسلوكِ الطريق إلى محبوبه

أسائلكم عنها فهل من مخبـــر ... فما لي بنعم بعـد مكثنا عـــلم

فلو كنتُ أدري أين خيَّم أهلهـــا ... وأيُّ بلادِ الله إذا ظعـنوا أمُّـــوا

إذًا لسلكنا مسلك الريح خلفَهـا ... ولو أصبحت نعم ومن دونها النجمُ

لقد كبرت همةٌ (اللهُ مطلوبُهَا) (**) ، وشرُفت نفسٌ اللهُ محبوبُهَا :

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذين يدْعُونَ ربَّهُم بِالْغَداة والْعَشيِّ يُرِيدُون وجْههُ ﴾ [الأنعام : ٥٢].

ما للمحب سوى إرادة حبِّه ... إنَّ المحبَّ (ق/ ٧ ب) بكلِّ بر يضرع

(*) ويشم : « نسخة »

(**) مع الله مطلبها « نسخة »

حال من ركن إلى الآخرة ومن ركن إلى الدنيا

قيمة كل امرىء ما يطلب، فمن كان يطلب الله فلا قيمة له من طلب الله فهو أجلّ من أن يقوَّم ، ومن طلب غيره فهو أخسّ من أن يكون له قيمة

قال الشبْلي مَنْ ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها فصار رماداً (تذروه) (*) الرياح ، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها فصار سبيكة ذهب يُنتفع به ، ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

وسُئل الشبلي هل يقنع المحبُّ بشيءٍ من حبيبه قبل مشاهدته ؟

فأنشد

والله لو أنك تـــــوجتني بتاج كسرى ملك المشـرِقِ

ولو بأموال الورى جُدت لي أموال من بادَ ومن قد بقـي

وقلتَ لي لا نلتقي ساعـــةً اخترت يا مولاي أن نـلتقي

من كبرت همته لم يرص بطلب شيءٍ سوى الله سبحانه وتعالى

كلُّ غدوي ورواحي في مسائي وصباحــي

وكذا ذكرك روحـي ثم ريحاني وراحـــي

أنت سؤلي ونصيبـي ومرادي ونجاحـــي

يا غِياثي ومــــلاذي لرشادي وصلاحـــي

***

(*) تذره « نسخة »

فصل في قوله تعالى :
﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧]

هذه الآيةُ كانت تشتدُّ على الخائفين من العارفين ، فإنها تقتضي أنَّ من العباد من يبدو له عند لقاء الله ما لم يكن يحتسب ، مثل أن يكون غافلاً عما بين يديه معرضًا عنه غير عامل ولا يحتسب له ، فإذا كُشف الغطاء عاين تلك الأهوال الفظيعة ، فبدا له ما لم يكن في حسابه .

ولهذا قال عمر رضي الله عنه : لو أن لي ملء الأرض ذهبًا لافتديت به من هول المطلع (١) .

وفي الحديث : « **لا تَمنَّوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإنَّ من سعادة (المرء)** (*) **أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة** » (٢) .

وقال بعضُ حكماءِ السلف : كم من موقف خزي يوم القيامة لم يخطر على بالك قط .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾ [ق : ٢٢] .

---

(١) أخرجه أبو يعلي (٢٧٣١) ، وقال الهيثمي (٩/ ٧٧) رجاله رجال الصحيح .
وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٩) وقال : لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن عمر إلا مبارك بن فضالة ، وقال الهيثمي (٩/ ٧٦) : إسناده حسن .
وأخرجه ابن حبان (٦٨٩١ ـ إحسان) ، والحاكم في « مستدركه » (٣/ ٩٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٥٥) .
(*) العبد : « نسخة » .
(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٣٣٢) ، وعبد بن حميد (١١٥٥) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٥٨٩) .
وقال الهيثمي (١٠/ ٢٠٣) : رواه أحمد والبزار وإسناده حسن .

بيان ما يصير هباءمنثوراً من الأعمال

النوع الأول :

ويشتمل على ما هو أعم من ذلك وهو أن يكون له أعمالٌ يرجو بها الخير فتصير هباءً منثوراً وتبدل سيئات . وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور : ٣٩] . وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

قال الفضيل في هذه الآية : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] قال : عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات .

النوع الثاني :

وقريب من هذا أن يعملَ الإنسانُ ذنبًا يحتقره ، ويستهون به فيكون هو سبب هلاكه ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥] .

وقال بعض الصحابة : إنكم تعلمون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من المُوبقات (١) .

النوع الثالث :

وأصعب من هذا من زُيّن له سوء عمله فرآه حسنًا قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤] .

قال ابن عُيَيْنَة : لما حضرت محمدَ بنَ المُنكَدر الوفاةُ جزع فَدَعوا له أبا حازم فجاء ، فقال له ابن المنكدر : إنَّ الله يقول : ﴿ ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٢) عن أنس .

يَحْتَسِبُون ﴾ [الزمر : ٤٧] ، فأخافُ أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب . فجعلا يبكيان جميعًا . خرَّجه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم .

وزاد ابن أبي الدنيا : فقال له أهله : دعوناكَ لتخفِّف عليه فزدته فأخبرهم بما قال .

وقال الفُضَيْل بن عِيَاض : أُخْبِرتُ عن سليمان التيمي أنه قيل له : أنتَ أنتَ ومن مثلُك ؟

فقال : مه ، لا تقولوا هذا ، لا أدري ما يبدو لي من الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر ٤٧] .

النوع الرابع :

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية : ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية .

وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار ، العالم ، والمتصدِّق والمجاهد [1] .

النوع الخامس

وكذلك من عمل أعمالاً صالحةً وكانت عليه مظالم فهو يظنُّ أنَّ أعماله تنجيه فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب ، فيقتسم الغرماء أعماله كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار .

النوع السادس

وقد يُنَاقَشُ الحساب فيُطلب منه شكر النعم ، فأصغرها تستوعب أعماله كلها، وتبقى بقية النعم ، فيُطالَب شكرها فيعذَّب ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «من نوقش الحساب عُذِّب أو هَلَك » [2] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٢) سبق تخريجه .

وقد يكون له سيئات تحبط بعض أعماله وأعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار .

وفي « سنن ابن ماجه » [(١)] من رواية ثوبان مرفوعًا : « **إنَّ مِنْ أمتي من يجيء بأعمالٍ أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً** »

وفيه : « **هم قومٌ من جلدتكم (ويتكلمون بألسنتكم)** [(٢)] **ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها** » .

وخرَّج يعقوب بن شيبة وابن أبي الدنيا من حديث سالم مولى أبي حذيفة مرفوعًا : « **لَيجيئ يوم القيامة أقوامٌ معهم من الحسنات مثل جبال تِهامَةَ ، حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباءً ثم أكبَّهم في النار** » .

قال سالم : خشيت أن أكون منهم .

قال : « **أما إنَّهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيهة من الليل، لعلهم كانوا إذا عَرض لهم شيء من الحرام أخذوه ، فأدحض الله أعمالهم** » [(٣)] .

وقد يحبط العمل بآفة من رياء خفيٍّ وعُجْب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه .



---

(١) برقم (٤٢٤٥) قال في الزوائد هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، وأبو عامر الألهاني اسمه عبد الله بن غابر .

(٢) ليست هذه العبارة في ابن ماجه .

(٣) وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٧٨) .

هم الدنيا وشقاء الآخرة

قال ضيغم العابد : إن لم تأت الآخرةُ المؤمنَ بالسرور ، لقد اجتمع عليه همان ، همُّ الدنيا وشقاء الاخرة .

فقيل له : كيف (لا) (*) تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب ؟

قال : كيف بالقبول ، كيف بالسلامة ؟ كم (من) (*) رجل يرى أنه قد أصلح همته يُجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه .

ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وقال ابن عون : لا تثق بكثرة العمل ، فإنك لا تدري أيُقبل منك أم لا ، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري هل كُفِّرت عنك أم لا ؟ لأن عملك مُغَيَّبٌ عنك كله لا تدري ما الله صانع به .

وبكى النخعيُّ عند الموت وقال انتظرُ رسول ربي ما أدري أَيُبشرني بالجنة أم بالنار ؟ .

وجزع غيره عند الموت ، فقيل له : لم تجزع ؟ قال : إنما هي ساعة ولا أدري أين يُسلك بي ؟ .

وجزع بعض الصحابة عند موته ، فسئل عن حاله فقال : إن الله قبض خلقه قبضتين قبضة للجنة ، وقبضة للنار ، ولست أدري في أي القبضتين أنا ؟ [1] .

(*) من المطبوع .

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠ / ٣٦٥) عن معاذ بن جبل ، وقال الهيثمي (٧/ ١٨٧) : رواه الطبراني وفيه البراء بن عبد الله الغنوي وهو ضعيف ، والحسن لم يدرك معاذًا .وأخرجه أحمد (٤/ ١٧٦ ـ١٧٧) ، (٥/ ١٦٨) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ فذكره وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح

الحذر ... الحذر

ومن تأمل هذا حقَّ التأمل أوجب له القلق . فإنَّ ابن آدم متعرض ، لأهوال عظيمةٍ من الموت وأهوال القبر والبرزخ وأهوال الموقف ، والصراط والميزان . وأعظمُ من ذلك الوقوف بين يدي الله عز وجل ودخول النار ، ويخشى على نفسه الخلود فيها بأن يُسلب إيمانه عند الموت ، ولم يأمن المؤمن شيئًا من هذه الأمور ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

فتحقيق هذا يمنعُ ابن آدم القرار .

رأى بعضهم قائلاً يقول له :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أيّ المحلين تنزل

وسئل بعض الموتى وكان عابداً مجتهداً عن حاله ، فأنشد يقول :

وليس يعلم ما في القبر داخله إلا الإله وساكن الأجداث

وقال غيره :

أمَا واللهِ لو علم الأنام لما خُلقوا لما غفلوا وناموا

لقد خلقوا لما لو أبصرتْه عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

مَمَاتٌ ثم قبر ثم حشر وتوبيخ وأهوال عظامُ

ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيامُ

آخرة والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم بقلم العبد الفقير المقر بالذنب والتقصير ، راجي عفو ربه المنان سليمان بن عبد

الرحمن العمري ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه وذريته ، ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، آمين .

وذلك في ٨ من شوال سنة ١٣٣٣ هجرية .

الفهارس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة